مؤتمر الأدباء العرب
الدورة الثانية
دمشق ١٩٥٦

مؤتمر الأدباء العرب الثاني

(المنعقد في دمشق بين ٢٠-٢٧ ايلول ١٩٥٦)

- كلمات الافتتاح
- المحاضرات
- التعليقات
- المناقشات
- التوصيات
- النداء

دمشق كانون الأول ١٩٥٦

مؤتمر الأدباء العرب الثاني

(المنعقد في دمشق بين ٢٠-٢٧ ايلول ١٩٥٦)

- كلمات الافتتاح
- المحاضرات
- التعليقات
- المناقشات
- التوصيات
- النداء

دمشق كانون الأول ١٩٥٦



حضرة صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية المعظم
الذي تفضل فشمل المؤتمر برعايته

المقدمة

للأستاذ فؤاد الشايب

في هذا الكتاب يقدم المكتب الدائم لمؤتمر الأدباء العرب وقائع الاجتماع الادبي الكبير الذي انعقد في بلوادن من ٢٠ الى ٢٧ ايلول ١٩٥٦، واشترك فيه جمهرة من أهل الفكر في البلاد العربية، وهو الاجتماع الثاني من نوعه يأتي بعد اسبوع ادباء العرب في بيت مري لبنان عام ١٩٥٤ الذي دعت اليه جمعية أهل القلم برئاسة الشاعر المرحوم الاستاذ صلاح لبكي، وسيكون العام القادم ١٩٥٧ موعد أدباء العرب مع مؤتمرهم الثالث في القاهرة. واننا لنرجو ان يلتقي الأدباء في أرض الكنانة وقد نزحت عنها وعن ديار العرب قاطبة قوى البغي والشر ليستطيع المفكرون أن يباشروا رسالتهم في جو يسوده الصفاء والطمأنينة والثقة بمستقبل مجيد لأمة العرب، وللانسان الحر اينما كان.

في هذه المؤتمرات الأدبية، محاولات طماحة، يحاولها المفكرون للخروج بالعمل الادبي من نطاقه الاقليمي المحدود الى الافق العربي الأوسع، وهم على قناعة ويقين أن سبيلهم الى الهدف، يجب ان تمهد بالتعارف والتماس وبمثل هذه التجمعات وسواها من أسباب التواصل وتبادل الرأي، مما يشعر الاديب بحاجة اليه ماسة، سواء أكانت الحاجة مادية او روحية وما هي بالواقع إلا شطر من هنا وشطر من هناك. لأن طموح المثقفين الى أن يبروا فكرة الوحدة العربية الجامعة، واقعاً يدعمه الفكر وتتوفر له اسباب الابداع والاشعاع، سيبقى في نطاق التمني اذا لم تفتح الأسواق العربيــة للنتاج الأدبي من أي زاوية صدر بحيث يحس الأديب بجمهوره الكبير يتجاوب معه ويتفاعل مع رسالته، ويكافىء مجهوده في وقت واحد معاً.

وان يكن مؤتمر الادباء العرب قد توفر على معالجة هذه المعضلة، ورغب أن تعمل الحكومات على تيسير اسباب التواصل والتفاعل، وتشجيع اهل الفكر والعناية بناشئتهم وما الى ذلك، فان المعضلة - يجب ان نعترف - تبقى قائمة، لأنها بواقعها جزء من ذات الفعل الأدبي المجرد بالدرجة الأولى. وما لم ينهض للجمهور الكبير اديب كبير، يقفز فوق الحدود المكانية والزمانية،

ليصل الماضي بالحاضر بالمستقبل ، ويطوي خرافة الابعاد والمجاهيل، كما يطويها بساط الريح ، فان تشجيع الحكومات واجراءاتها ، تظل معاملات ورقية وتسويات ترابية لامرار خيوط مائية رقيقة فوق سطح الارض ، مهما يكن شأنها في دفع المواصلات الفكرية ، فانها لا تروي غلة ، ولا تنتج غلة .

وقد قيل من جهة أخرى ان احداث دور نشر كبرى تتولى عمليات الاصدار والنشر على نطاق عربي واسع ، حل لبعض المعضلة ، وهو قول انتباه واقول به مع التحفظ . لأن المادة الجيدة غير متوفرة بعدبكميات تجارية لدور النشر ، وهذه ان القينا نظرة خاطفة على واقعها الفيناها تسود على حساب الثقافة الأصيلة ، ولا تفعل إلا مداولة الزيوف ، والاسفاف الى حيز الرغبات البدائية ، حتى تستوي على سوقها ، وتبلغ قسطها من النجاح المادي . فاذا شهدنا الى جانب ذلك رواج بعض كبار الادباء العرب في الأسواق العربية ، فليس ذلك من تشجيع الدولة ولامن اخراج دور النشر ، بل من فعلهم الادبي بالذات ، وقد ظفروا مع الزمن الطويل بثقة القراء العرب في مختلف ديارهم .

لنقل ان مؤتمر الأدباء العرب ، لم ينعقد لمثل هذا ، بل لم يكن شأن التشجيع والتنشيط والنشر فيه الا هامشيا . والامر على انه جدير بالاعتبار ، في اوضاعنا العربية الرسمية ، وحدودها الضيقة ، وملابساتها السياسية ، فأنه لايسمح للادباء ان يحملوا الهزال الأدبي اكتاف الحكومات ليلقوه عن اكتافهم انفسهم ، ويطووا الصفحة ، شأن كل عاجز عن الأستمرار ومجابهة المسألة .

بل لقد كان المؤتمر بيتاً عائليـــاً واحداً تم فيه التقارب ، والتعاطف، والتعارف والتعرف على مختلف النزعات الفكرية ، والعقليات الأدبية ، وكان في الوقت نفسه ـ وهذا من بعض محاسنه ـ ميداناً لتقارع الآراء والحجج ، في مواضيع ذات قيمة ثقافية انسانية ، كالأدب والفنون ، والأدب والنقد ، والأدب والدولة ، والأدب العربي في مضمار الآداب العالمية ، أسفرت جلسات المؤتمر في التحدث بها ومناقشتها عن آراء ، وتيارات ، ومخاوف ، وهواجس وظنون وتحفظات ، كان من بعض دلالاتها الواضحة اننا بحاجة قصوى الى مواصلة البحث فيها ، وافساح مجالات الرأي حولها، لانها منابع ثقافية ثرة ، كلما وسعناها بالدراسة والمقارنة ، تفجرت وازدادت عطاء وريا ووراء . وهي موضوعات اثبتها نخبة من المثقفين السوريين في جدول أعمال المؤتمر بعد جلسات ومداولات طويلة ، وأرادوا بها رفع سوية البحث الأدبي لدى الأدباء العرب الى افق الثقافة العالميـــة الواسعة ، من جهة ، والانطلاق منها الى معالجة شئوننا الفكرية الخاصة قياساً على ما بين ايدينا

من شواهد ، وخواطر ومعارف من جهة ثانية. اذ لا يصح لنا ان ننطلق الى هذه المعالجة من الصفر، والعالم الكبير حافل باحداث فكرية واجتماعية جليلة عبر قرون اربعة اخيرة كانت التجربة العربية المعاصرة لها مخنوقة بين اسوار السلطنة العثمانية والباب العالي.

ولمؤتمر أدباء العرب في بلودان فضيلته القومية ، الى جانب فضيلته الفكرية. ومثلما كان هذا التجمع ، تظاهرة أدبية عبرت عن شبوب الحركة الثقافية المتمخضة باحداث ابداعية وشيكة الميلاد ، كان كذلك تظاهرة قومية متحفزة ، وضعت الاديب امام تبعاته في معركة النضال التي تخوضها أمته ، في سبيل الحياة والحرية ، وصورت نضاله القومي جزءاً من نضال انساني يؤدي العربي فيه بفكره وبساعده ، دور البطولة والقيادة.

ولعل المؤتمرين في بلودان يوافقون معي على انه من اجمل مشاهد الايام السبعة ، هبوط طه حسين علينا مع اليوم الاخير ، وكان هبوطه تجلياً رائعاً لمجد الفكر العربي في القرن العشرين. فالناس والصحف منذ ثلاثة أيام في حديث الرجل ، وارتقاب اشتراكه في المؤتمر. وما هي الا بضع ساعات بين قرب وصوله ، ووصوله ، حتى عاد خريف القرية صيفاً ، وغصت رحاب الفندق الكبير بالزاحفين من دمشق ليستمعوا الى طه حسين ، او ليصافحوه ، أو ليلقوا عليه نظرة. وقد كان لبعض الرفاق ولي حظوة استقباله ومرافقته من مرفأ بيروت الى دمشق فبلودان فعرفنا أي شعبية يتمتع بها بالتفرد في هذا العصر اديب عربي. فقد توقفنا مرات على الرصيف في المرفأ وفي مواقف السيارات في الشوارع المزدحمة ، وأمام فندق سان جورج حيث استراح الرجل الكبير بعض الوقت ، لنتلقى اسئلة المارة والعابرين ، والذين اكتشفوا وجهه من صوره : اهو طه حسين؟! وكانوا يحيونه ، ويرحبون به ، ويسألون عن موعد محاضرته ، وهل يعود الى لبنان من سورية ، وكنا نمر بالجمارك بلا تفتيش ، لأن الموظفين قد اكتشفوا الرجل ، وماذا يهمهم بعد من امر حقائبه! ان حقائبه ليس فيها سوى الادب ، والأدب شيء فوق الحدود ، والوظائف ، والتعرفات ، والأنظمة الصغيرة. ثم ان حقائب الرجل في صدره ، فماذا يفتشون وأين ؟! ولم يكن موظفو الأمن والجوازات على الحدود السورية اللبنانية بأقل دهشة اذ يكتشفونه بيننا ، او يعرفونه فيحيونه ويهنئونه بسلامة الوصول. ويمر طه حسين عبر الحدود بلا جواز مرور ، ويمر آخرون بحجته ايضاً. لماذا ؟! من الفاتح .. من السلطان ؟! من الضيف العظيم ؟! هؤلاء كلهم يمرون بمراسم ، هي بحدذاتها استئذان ، وهذا الرجل الذي يتلمس طريقه على خطوتين منه لا يدري كيف يجوز الحدود ، فينبسط له بساط العالم العربي وطناً واحداً لا جمارك فيه ، ولا جوازات ، ولا

تعرفات ولا مراسم ؟: اللهم قد آمنت بالفكر جامعة عربية خالدة .

.. ويختصر الرئيس شكري القوتلي مجلسه الوزاري في دمشق ، ليتوجه الى بلودان ، وكان موعدنا مع محاضرة طه حسين في الساعة العاشرة والنصف من يوم الخميس في ٢٧ ايلول عام ١٩٥٦ — ويتسابق الى القرية ، رجال الدولة والفكر ، وكان كثير منهم قد تحلق منذ الصباح حول العميد في الفندق الكبير .. وكانت الابتسامة المشهورة ، في وجه طه حسين ، تنظر الى هذه الوجوه المستبشرة حوله ، وتخاطبهم خطاب رضى واطمئنان وشكر . وكان صوت الساحر يتموج بألفاظ حارة ، تخرج من شفتيه، لتلازم الواحدة جنب اختها بكل اناقة وهدوء ، وتأخذ مكانها بين الجالسين وهم يضمون اطرافهم ويتلاصقون ، ليفسحوا لها رحباً وسهلاً .

وهمس في اذني مراقب حذر كثير الريب ، ونحن في دوار الاقبال على طه حسين ، قبيل محاضرته بدقائق : أليست شهرة الرجل اكبر من ادبه ؟ ! فأعرضت عن السؤال المتشكك ،آنئذ ، لأجيب الآن : لماذا لا ؟ : ان الرجل ليس أدباً وثقافة فحسب ، انه انسانية عربية متفوقة ،يجب ان تكون قبلة كل فرد عربي . انه انسانية تاريخها سلسلة من وقائع وانتصارات . واننا نحن أمام رجل عربي عظيم لم يدخل علينا من تلك الابواب الكبرى التي يدخل منها العظماء ملوكاً ، وقادة ، وحكاماً وساسة ، ووجهاء أبناء وجهاء . . ونبلاء أحفاد نبلاء ، بل ظل يتسرب الينا على مهل ، من تلك الذرى التي تتحدر منها الينابيع ، حتى تجمع لنا في تاريخنا هذا المجد الادبي العريض الذي لايعرف كيف يجلس على الأريكة حتى يأخذه بمرفقيه اليها اثنان ، وانه ليمشي اليها بخطوات حذرة ، كأنها خطوات طفل ، وتظل تتصاغر امامه على جلالها وشرفها حتى يطأها ويستوي فوقها خجولاً حيياً ، يعتذر بابتسامته عن حرج موقفه ، ويبسط أبداً كفيه على ركبتيه... فهاتوا لي المثال ، يوقف بكفه لحظات الزمن وهي تمر ،ليحفر بازميله في جبهة البرونز صورة للعميد كهذه تحكي للأجيال حكاية مشرق الادب العربي في القرن العشرين .

لاريب عندي في انامع طه حسين ، أمام ظاهرة من ظواهر البعث والاشراق في حياتنا العربية الطالعة ،وان تكن الظواهر كثيرة في تاريخنا القريب منها الصحيح ومنها الخادع ،منها السانح ومنها البارح ، فان الرجل شارة ضوء وآية صادقة النبوءة .

لقد عشنا في بلودان اياما عربية حافلة بالرؤى والظواهر ، والتيارات والبوارق . اجيال قديمة ألى جانب مخضرمة ، الى جانب حديثه فتية . افكار تعب من هذا الجرف ، وافكار تعب من ذياك . تأملات هادئة ، وتفجرات صاخبة.هؤلاء يفكرون للحاضر الواقع، واولئك يفكرون

للمستقبل المجهول ، وآخرون ينتشرون في الماضي انتشاراً . واقعيه مضرمة بالحماس تناقر مثالية مثقلة بالتأمل والحكمة ، رياح دافئة كالرمال ، ورياح مرطبة كضباب الشاطىء ، اربعة يتقوقعون كأنهم حزب ، وثلاثة يتلاحمون كأنهم في معركة . وعلى الهوامش ، زاوية شعر ، ودفقات عطر ، واسواق عكاظ ، ومنابر لفلسطين والجزائر والقناة . جزء من التاريخ عاشه هؤلاء النساك من ابناء الفكر بعيداً عن المدينة ، في قرية صغيرة مرتفعة على هضبة عالية هجرها زوار الصيف وقد اغلقت عليهم ابواب الفندق سبعة نهارات وسبع ليال ، لايرون سوى انفسهم ولا يواجهون سوى مشاكلهم ؟

هذا هو بعض مؤتمر بلودان ، وهاهي امام القارىء العربي بعض وثائقه . وهناك بعض أخر لابد ان يستمر غداً في مؤتمر القاهرة . فالى اللقاء .

فؤاد الشايب

حفلة الافتتاح

أقيمت حفلة الافتتاح للمؤتمر مساء الخميس في ٢٠ ايلول ١٩٥٦ على مدرج الجامعة السورية وبعد ان ألقى فخامة الرئيس القوتلي كلمة الافتتاح وألقى معالي وزير المعارف كلمة سورية الداعية للمؤتمر القى مندوبو البلدان العربية كلماتهم حسب التسلسل الابجدي لبلدانهم .

كلمة الافتتاح

لفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية



ايها الاخوان

ارحب بكم في دمشق الخالدة ويسعدني ان يلتقي في هذا البلد العربي الامين نخبة مختارة من رجال الفكر وحملة الاقلام تنادوا الى مؤتمر الادباء العرب من جميع الاقطار الشقيقة، وارادوا ان يكون اللقاء بينهم قومياً تحت لواء الفكر ومن اولى منهم برفع هذا اللواء ومن اجدر بحمل رسالة الثقافة النيرة ليبشر بها في العالم العربي ، والعالم اجمع ، رسالة حق وخير وحرية .

انه لمن ابلغ دلائل النهوض والاشراق في هذه الامة العربية ، ان يتداعى اليوم ادباؤها كما تداعى من قبل محاموها واطباؤها ومهندسوها وسواهم الى مثل هذه المؤتمرات ليتدارسوا فيما بينهم شؤون الثقافة والمعرفة واسباب التعاون وتبادل الاراء وهم الذين لاتنظمهم في العمل الادبي حتى الان ، سوى ارادتهم الواعية ، وطموحهم الى التكاتف والسير في خدمة المثل العليا . واني لارجو ان يبلغوا بنتيجة مؤتمرهم هذا اهدافهم

المنشودة في توثيق اواصر الاتصال والتعارف واقامة المنظمات لهم تتوفر على تحقيق مايصبون اليه من حياة منتجة فعالة تجتمع لها اسباب الطمأنينة وتليق بكرامة الرسالة التي ندبوا نفوسهم لها وعزموا على نشرها في الافاق العربية الواسعة .

انها لمناسبة طيبة ان اعلن لكم بكل اعتزاز مع افتتاح مؤتمركم هذا ، أننا نولي هذا المؤتمر وجميع المحاولات الادبية الصادقة ، كل عناية واهتمام ونريد ان ترسموا منهاج العمل المشترك والاتصال الدائم بين الحركات الفكرية لاننا نضع قضية تعزيز الانتاج الفكري العربي وتشجيعه ونشره على نطاق واسع بين اولى القضايا التي ينهض عليها بناء قومي ثابت الاركان يعتز بقادة الفكر فيه ، ويسترشد بالرأي الصائب ، والتوجيه الصادق ، وما عناية الدولة بادبائها ، الا تقليد عربي اصيل درج عليه اسلافنا في مختلف ادوار حكمهم المجيد ، لتكريم اصحاب العلم والادب ممن طوقوا عنق هذه الامة بالفضل ، وكانوا شعلة الهداية والنور للعالم المستيقظ من ظلام القرون .

أيها الاساتذة الكرام

انتم تعلمون حق العلم اننا في طريقنا الى وحدة عربية شاملة لاتقف امامها عقبة ولن تثنينا عن عزمنا شدة . وان هذا المثل الاسمى نطمح اليه هو من روح الفكرة الجامعة التي تتنادون بالادب اليها وتنظمون صفوفكم حولها . بل نحن على يقين ان اقلامكم هي اقلام رواد في سير الموكب العربي تمهدون بها كل السبل وفي وعي هذه الامة ، وتكونون رسل الفة ووئام وتعارف في رحاب اسرة عربية واحدة .

ولقد كان من احب الصدف وابلغها تعبيرا عن وثبة العرب الجبارة ، ان يلتقي في اسبوع واحد على صعيد دمشق مؤتمركم الأدبي ، والمؤتمر الشعبي العربي لتوحيد النضال القومي في هذه الظروف الحساسة التي تحيط بالعالم العربي ، فكان هذا التلاقي رمزاً لما نطمح اليه في ان تجتمع على الهدف الواحد ، سيوفنا وأقلامنا ، سواعدنا وعقولنا ، قوانا الروحية والمادية لمكافحة الاستعمار وتوطيد دعائم الحرية والسيادة في جميع أنحاء الوطن العربي .

ان رسالة النضال القومي ايها الاخوان رسالة واحدة للمناضلين بسواعدهم ، وللمناضلين باقلامهم ، لانها رسالة الحرية والكرامة الانسانية ونداء الجهاد نداء وحدة وتوحيد لانه نداء في سبيل الحق والعدل للمجاهدين بسيوفهم ، وللمجاهدين باقلامهم وعقائدهم ، وللمجاهدين باموالهم وارواحهم ، وما نحن باغون ولا معتدون ، ولكننا ننشد السلام بالعدل والحرية بالحق ، ونعمل

لفكرتنا القومية وللمبادىء الانسانية السامية التي تنصف الحق من الباطل ، وتنقذ الانسان ممن دأبوا على استثماره واستعماره وراء مظاهر خادعة من اعلان حقوق الأنسان . فتلكم مبادؤهم واضحة للعيان يقولون مالا يفعلون ، ويظهرون مالا يبطنون يبتغون الحرية لانفسهم والعبودية لسواهم . وها هي مبادؤنا نحن ، مرفوعة على ملأ السماء والأرض ، تشهد بأننا نريد لانفسنا ماتريده لسوانا ، ولا نتاجر بالمثل ، ولا نتداول الزيوف ، ولا نمشي في الارض كبراً . ولمثل هذه المبادىء الرفيعة تشحذ الاقلام وتجند الارواح .

على هذا الرجاء العظيم بكم ، وبمستقبل الامة العربية افتتح باسم الله العلي العظيم مؤتمركم وارجو لكم أوفر النجاح والتوفيق .

كلمة سورية

لمعالي الدكتور عبد الوهاب حومد وزير المعارف السورية

سيدي صاحب الفخامة

حضرات السيدات والسادة



يتلاقى في هذا اليوم المشرق، على صعيد عاصمة سورية العربية، النخبة الخيرة الطيبة من ادباء أمتنا، الذين اشعلوا نيران الوطنية بنتاج قرائحهم، وقارعوا بأقلامهم المشرعة حراب الاجنبي الذي كان ينشر في ارجائنا الذعر والجهل، ويعمل على تفكيك أجزاء بلادنا الواحدة، وأقاموا صرح القومية العربية بما فعلوه لبعث الحياة في اعصاب لغة اصابها الشلل، ولاثارة نخوة الماضي الذي تكدست على وجه آدابه الجميلة أتربة الأنكماش القاتل.

وانها لحقيقة صارخة، أن الادباء العرب كانوا رسل الفكر المتحرر عندنا، ورواد القومية المتوثبة، والمصابيح المنيرة التي شقت دياجير الخمول والكسل العقلي، ففتحوا طريق المستقبل لنا ولأجيالنا الصاعدة، وغذوا شعلة الحياة العربية التي يأبى الله لها أن تنطفىء...

انها لفرحة لقاء الاخ بأخيه، يأتينا بنفحة من نفحات الجهاد على جنبات النيل الخالد، ودمعة من دموع الايامى والثكالى تتساقط على رمال الجزائر الذبيحة، ونسمة من نسمات العرار يعبث بها صبا نجد، وهمسة من همسات المزاهر في جنات دجلة، ليلتقي بأخيه الوافد من مراكش العريقة التي عملت الناس فنون البطولة، وتونس الخضراء التي بذلت الدماء سخية ليستقيم لها استقلال ابها، واليمن السعيدة، وليبيا التي صمدت للغزو والغزاة عشرات من السنين، والاردن المزهو بغاره وفخاره، على ضفاف بردى الحالم، المترنح، تجرر عليه العروبة أذيال القومية التي كانت حلماً يدغدغ المشاعر فأصبحت حقيقة يخشاها أهل الجشع والاطماع.

انها ازاهير أمتنا تنضم باقة عبقة لتنشر في جو العالم المشحون بالكآبة والكراهية روائح الادب الرفيع والحب والجمال والدعوة الخالصة الى تعايش البشر في ظلال أخوة وارفة ميمونة الخيرات طيبة الثمرات .

ان الادب لا يستطيع أن ينفصل عن الحياة لأنه ملهمها وخدينها، والمعبر عن افراحها واتراحها، ولأن الادب هو النفس الشاعر الحساس ، في تلاطم الاحداث التى تتشكل من مجموعها حياة الفرد وحياة الامة .

ولحكمة من حكم الله ، ينعقد مؤتمركم هذا، وموجات عاتيات من موجات الظلم والتعسف والكره ، تنقض على قطرين عربيين حبيبين ، هما مصر والجزائر ، للنيل منهما ، والتجني عليهما دون حق أو مسوغ . ولحكمة من حكم الله ان يقف العرب من بحر الظلمات الي اقاصي الخليج العربي ينصرون أخاهم في محنته ، ويبذلون له ما يستطيعون بذله من عون ، ليفرجوا كربته ، ويبعدوا عنه الأذى والاعنات .

تلك هي أمتنا كما هي في مؤتمركم ، أمة واحدة ذات مشاعر واحدة ، وآمال واحدة ، ومآس تكاد تكون واحدة أيضاً : فليكن هذا المؤتمر ينبوع خير وبركة لها يغترف منه أدباء العربية ما يصحح بعض المفاهيم القلقة في أفهامهم ، ويقوم بعض الآراء المعوجة في مقاييسهم ، ولكن ليكن قبساً وهاجاً ينير للضالين السبيل ، ليعلموا أن زمن التجزئة قد انقضى وانطوى ، وان فجر وحدة الفكر التي تمثل وحدة الحياة قد غمر جبين الشرق العربي ، فبدد الظلمات الدكناء ، واضفى على الواقع قوة ورونقاً ، لن تنال منه الحدود المصطنعة ، التي اخذت تتهاوى تحت ضربات الفكر ، وهجمات القومية المندفعة .

بهذه الروح ، دون سواها ، أرحب بمفكري أمتي ، وبناة صرح حياتها ، وبالمشاعل المتوهجة التي تنير للاجيال العربية الصاعدة سبل المستقبل المحفوف بالمكاره والاخطار . أرحب بكم في ارضكم ، وعلى صعيد جزء من وطنكم الأعظم الذي تنتابه هزة من الفرح ، وموجة من الغبطة ، بحلولكم فيه .

ويطيب لي أن أنوه بفضل « جمعية أهل القلم » في لبنان ، لأنها هي التي وضعت اللبنة الاولى في صرح هذا المؤتمر . فمن لبنان العربي انبثقت انوار النهضة العربية الاولى ، وسيظل لبنان العربي مصباحاً من مصابيح الفكر ، نفزع الى نفثات بنيه كلما أناخت علينا متاعب الحياة ، لنجد فيها متنفساً لمشاعرنا وخوالجنا الكظيمة .

أرحب بكم مفكرين ، أحراراً . ثائرين على جمود الفكر ، لتطلقوه من عقاله ، وأسنة مشرعة على الحقد والضغينة ، ودعاة محبة وتعاطف وسلام ، لاتفرقون ـــ فيما تنثرون من نتاج أحلامكم على البشريةمن خيرويمن وسعادة ـــ بين عقيدةوعقيدة ، وجنس وجنس ، وموطن وآخر .

وليبارك الله في مؤتمركم الثاني هذا ، ويجعل التوفيق حليفكم .

كلمة جامعة الدول العربية

للدكتور صلاح الدين المنجد

تحي الامانة العامة لجامعة الدول العربية ادباء العرب اطيب تحية ، ويسعدها ان تراهم مجتمعين هنا وتشكر سوريا التي رأت ان تضم هذه النخبة النيرة فيها ، ليتداولوا الرأي في مشكلات الأدب وواجباتهم حيال مايحيط بهم من مشكلات .



أيها السادة

مضت سنتان على انعقاد المؤتمر الأول للأدباء ، جرت فيهما في البلاد العربية أحداث عنيفة سريعة . وبدأت يقظة واعية قوية ، وبذلت جهود عزامة مثمرة ، لتحقيق الحلم المقدس الذي يخفق به قلب كل عربي ، الا وهو تحقيق وحدة العرب ، ولكن الكثرة من الادباء ظلت بمعزل عما يحدث ويجري ، فلم تجند الاقلام القوية للتبشير باحلام العرب ، وتهيئة اسباب تحقيقها ، فقد كان الادباء والمفكرون دائماً موجهين وموقظين وبنائين ، هم الذين مهدوا للوحدات الكبرى في التاريخ ، وهم الذين استطاعوا بتأثيرهم في العقول والقلوب ان يحققوا مالم تحققه الهيئات والحكومات ، لان تأثيرهم خفي هادىء له فعل السحر

ولكنه يتفجر كالاعاصير ، وهم الذين كانوا عوناً للحكومات على بلوغ الاهداف وادراك الامنيات اما في شرقينا العربي فقد ضعفت الاقلام امام الاحداث وامام الاهداف ، فلم تنتج فيما يشغل العرب جميعاً لم تنتج في سبيل وحدة العرب روائع تذكر او خوالد تؤثر .

لقد استيقظ كل شيء في مجتمعنا ، فان ان يكون ادبنا متأثراً بالحياة التي نعيش فيها مؤثراً في النفوس والعقول والقلوب التي تقرأه وتستمع به ، وان نجد في هذا الادب صدى للحياة العربية المعاصرة في صراعها واهدافها ، وآلامها ، والتفاعل الذي يضطرم في أحشائها ، وفيما يلاقيه العرب من خطوب وتجارب في تقدمهم المتواصل ، وتطورهم المستمر ، وتحررهم السريع .

نعم آن ان ينتج ادباؤنا آثارا عربية لغتها ، عربية في روحها ، واهدافها ، وتمجيدها الوطن العربي الكبير تحيا فيه امة عربية عزيزة حرة .

آن ، أيها السادة ، ان يظهر ، في يقظة العرب هذه ، نتاج عبقريات ادبائهم الدفينة فيسهموا في الانتاج الانساني العالمي ، اذ ادباء العرب القدامى انتجوا كثيراً لانفسهم ، وللعرب وللانسانية كلها ، وما اجدرنا ان ننتج ادبا تتجاوز هذه البقعة من ارضنا الى الأرض كلها فيبشر باهدافنا ، ويعرف العالم بنا ، ويؤلفنا نحن العرب جميعا فنصبح كلنا وحدة في التفكير والشعور كما فعل العرب من قبل فجعلوا عالمهم الذي افتتحوه بادبهم ولغتهم ، وحدة في التفكير والشعور ان يعطي ادباؤنا للعرب شيئا وللعالم شيئا ، يأخذون بقلوبهم وعقولهم من آداب الانسانية المختلفة الثرة ليرفدوها بروائع منهم . لقد فتحنا قلوبنا من قبل للحضارات السابقة فاخذنا منها ثم اعطيناها اشياء انضر وازهى .

هذا ماينتج ادبنا البكر الخالد ، وهذا مايخدم العرب في حاضرهم ، ويعين الجامعة العربية والحكومات العربية على تحقيق الوطن العربي الاكبر .

ايها الادباء ، انتم الصفوة الخيرة من ابناء العرب ؛ وان آمالا كثيرة تناط بكم . فبورك اجتماعكم ، وانا لنرجو ان تكون اعمال المؤتمر علي خير ماتحبون ، وان يصدر عنه خير مايرجو العرب وترجون .

كلمة الاردن

للاستاذ محمد الشريقي

حضرة صاحب الفخامة ، اخواني :

باسم (الاردن) و (اليرموك) وما يفيضان به من مآثر العروبة احيي مؤتمر ادباء العرب



الثاني وقد أظلته دمشق الخالدة وطالعه بالفتح فخامة رئيس الجمهورية السورية مغتبطاً ان يصل بين قديم العرب وحديثهم وان يذكرنا بتقاليد الدولة العربية مما الى الحفاوة بالعلم والآداب ونحن في مطلع فجر جديد وبعث اكيد ينتظم ميادين حياتنا ومثلنا واذواقنا ويتطلب ان تتركز في ادبنا الشخصية العربية على اتم وجوهها وارفع درجاتها . وأنه ليسعدنا ان نتلاقى في (النيربين) ونصل بين عهدين وان نحيي اسواق الادب العربي القديم في مؤتمراتنا الحديثة لنبصر الاديب او الشاعر وقد تحول من مدره قبيلة الى مدره امة يحمل رسالتها ويمد ثقافتها ويستمتع بقدرة التعبير عن ذوقها وروحها بعيداً عن كل ما يستعمر الفكر ويخسر الموازين متطلعاً في مجال

الفنون والآداب الى ذاتية قومية منطلقة متحررة . اما بعد والعرب في وثبة عارمة ومعركة حاسمة فانه لمن بواعث الظفر وايتاء الثمر ان نعيء اقلامنا واعلامنا وان نقف في كل مؤتمر جامع لنحيي الامة العربية من مغربها الى مشرقها من طلائع ثورتها في (مكه) الى طلائع ثورتها في (الرافدين) الى طلائع ثورتها في (دمشق) ففلسطين الى طلائع ثورتها في (القاهرة) فالجزائر . من نيلها الى فراتها ومن (بغدانها) الى (تطوانها) متوجهين بكل مانملك من حق وايمان وعزم وتصميم .

الى وطن واحد وامل واحد ورب واحد

يافتية العرب والآمـــال تحفزكم ... وما تمنون مـلء السمع والبصر
لافرقـــة اليوم في الاوطان فاجتمعوا ... على بلوغ المـــنى والفوز بالوطر
تـذكروا أنكم رواد أمتكـــم ... وان فيكم دم الابطـال من مضر
وأن فيكم بقــد نادت مواطنكم ... بقيةمن (ابي بكر) ومن (عمر)
فاستنفروا المطلب الاسمى ولاتهنوا ... فمـا القعود عن المسمى من العمر
وجـددوا العهد للحريـــة انبثقت ... فأين منها ضيـاء الشمس والقمر
وأرجعوا الوطن الضادي سيرتـــه ... من وحـدة العزم والآمـال والفكر
حريـــة الشعب عزم لامرد له ... وثورة الحق بعث الاربـع الدثر
فتى النضـــال تقدم واستبق سبلاً ... للمجد واشرب وطف بالأكؤس الأخر
حيي الجبـاه كفاح الدهر غضنهـا ... ولم تزل بسناها بهجـــة النظر
حيي الشباب له الاعلام خافقـــة ... له المواكب بزت ليلـــة النفر
حيي الجبال وحيي البيـــد منطلقاً ... حيي الجمال جمال البدو والحضر
وناج أرواح من بانوا فقد تركوا ... ميراثهم للعـــلا والأيد والغرر
في كل قبضة ترب روح حيدرة ... تكاد تنطق فينـــا صامت الحجر
فاستلهم الوطن الغـــالي مآثره ... واستنشق اليوم ربا ذكرها العطر
رو الحياة بدمـــع الوجد منهمراً ... ومن دم القلب أنبت أينع الثمر
من الدماء ومن أضواء أدمعنـــا ... لقد حملنـــا سراج الحق للبشر

كلمة البحرين

للاستاذ ابراهيم العريض

سيدي الرئيس اخواتي ـ اخواني

اني انتهز هذه الفرصة السعيدة ، لاشكر الحكومة السورية في شخص رئيسها الجليل على



ما اتاحته لنا نحن الادباء من شتى انحاء العالم العربي من المجال ، للاجتماع ببعضنا . اني مسرور بهذه المناسبة الذهبية ، فانا اعلم انكم لا تجهلون اسم البحرين ، ولكن كثيراً من اخواني الذين يجلسون على سرر متقابلين من اقطار متجاورة ، لا يعلمون ما نعانيه من الصعوبات ومشقة الطريق لنستطيع الاتصال بمن نقرأ لهم ، وعنهم ولا نراهم من الادباء في هذه الربوع

والبحرين التي اقدم منها ـ هذا الجزء الذي لا يتجزأ من الوطن الام كما قد تعلمون : جزيرة صغيرة بحجمها ولكنها كبيرة بروحها ، بعيدة بطموحها ، عظيمة بأهدافها وآمالها التي لا تختلف فيهـــا عما لكم انتم من اهداف بالعروبة وآمال .

سيدي الرئيس

لقد مضينا في الاعتقاد ان الكلمات تعبر عمايحالج القلوب ،ولكن احد ادباء الغرب يقول أن الكلمات تحجب افكارنا ، وهذا الذي اخشاه ولذلك فلا أرى خيراً للتعبير عما يخالجني بين هذا الحشد الكريم من الاستشهاد بقول صديقي الشاعر فؤاد الخطيب :

لبيك يا أرض الجزيرة . . .

والأولى ان اقول في مثل هذا المقام :

لبيك يا أرض العروبــة واسمعي	ماشئت من شدوي ومــن انشادي
انا لا افــرق بين اهلك أنهــم	اهلي وانت بــلادهم وبلادى
ولقد برئت اليك من وطنية	شلاء تؤثر موطن الميــلاد
فلكل ربع من ربوعك حرمة	وهوى تغلغل في صميم فؤادي

أما دمشق الفيحاء ، عاصمة العروبة وقلبها النابض فقد صح تعبيراً عن لسان حالها قول القائل

ياضيفنا لو جئتنا لوجدتنــا	نحن الضيوف وأنت رب المنــزل

اني انتهز هذه الفرصة المتاحة لاسدي شكري ثانيا لسيدي الرئيس وحكومته الجليلة والقائمين على عقد المؤتمر متمنياً لهم في مشروعهم القومي كل توفيق ونجاح . والسلام .

كلمة العراق

للاستاذ الشيخ محمد بهجة الاثري



صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

ايذن لي ، بعد تحيتي لفخامتكم ولهذه الصفوة المختارة من سيدات وسادة ، أن اشيد بهذه الظاهرة الرائعة من رعايتكم الكريمة لمؤتمر الادباء الذي دعت اليه حكومتكم الرشيدة ، وان اذكر من قدرها في نفسي ما هي خليقة به من الاطراء والتنويه .

وانه ليبدو لي منها ومن غيرها من ظواهر تميزت بها أيامنا ، أن كل حقيقة من حقائق وجود الامة العربية قد برزت في مظهر من القوة والانبعاث يبشر بالخير الكثير ، كما يبشر بدنو المستقبل المرجو الذي بدت تباشيره في الأفق منذ استيقظت « القاهرة » على دوي مدافع نابليون على ابوابها ، ثم ما برحت تستعلن حتى غمرت أضواؤها دنيا العرب ، على ما يمازجها أحياناً من خيوط الظلام .

وان من الحق علينا ، وقد بلغنا هذه المرحلة من التطور ، ان نذكر بالخير والرحمة تلكم

الاجيال التي جاهدت من أجل هذا ، من الادباء الاحرار ، والعلماء المصلحـــين ، والساسة المجاهدين في كل صقع من أصقاع الوطن العربي ، من البصرة الى شواطىء الاطلسي ، ومن تخوم طوروس الى ماوراء نيجريا من بلاد . فها نحن أولاء نستمتع في حاضرنا ببواكير ثمار ماغرسوه وعنوا بتربيبه ، وعلينا أن نهيء لابنائنا وحفدتنا من حاضرنا هذا مستقبلا أفضل وامثل وأحفل بالخير .

ولاريب في ان تبني حكومتكم لهذا المؤتمر ظاهرة خليقة بالتسجيل ، من حيث دلالتها على مدى تفاعل السياسة والادب ، ومدى تقدير الدولة في هذا العصر الحديث لأثر الأدب في حياة الدول والشعوب .

ونحن اذ نطرب لهذه الظاهرة ، انما نطرب لدلالتها على اكتمال الرشد في الدولة فماكانت السياسة لتحيا من غير أدب ، ولا الأدب ليحيا من غير سياسة .

اما سياستنا الأدبية ، نحن الادباء العرب ، التي نحرص على تحقيقها ، فقوامها الصدق والأيمان بحق أمتنا علينا أن نصدق خدمتها ، وبلاغها الدعوة الى الحق والى الخير ، وغـــرس معاني القوة والعدالة والحرية والاخاء والمساواة والحب ونحوها من مثل الحياة الكريمة في نفوس الافراد والجماعات . فمن كرامة الادب أن يكون وسيلة الشعوب الى الحياة الكريمة، ووسيلتها الى المشاركة الاجماعية في بناء الحضارة الانسانية السعيدة .

واني لابتهل الى الله تعالى أن يجعل هذا المؤتمر وأمثاله من المؤتمرات القومية المثمرة مصادر عز وقوة ورفعة لأمتنا ، ومنابع خير لها وللانسانية جمعاء .

كلمة لبنان

للدكتور سليم حيدر

فخامة الرئيس ، ايها الحفل الكريم
في هذه الفترة العصيبة من حياة الامة العربية وقوى الشر تربد بالخير شراً



تنصب القوة حقاً بالنار والحديد وتنصب المكر حقاً بالمبادىء السامية ، ممسوخة على هوى المطامع

كأن الحق ليس له وجه معلوم ،

كأن الانسانية لم تجاهد ولم تكرس جهادها بالدماء الزكية ،

كأن حقوق الانسان لم تعلن ، ولم تعلن حقوق الامم بالحياة ،

كأن العالم الواعي بحاجة الى افاضة في الشرح . والى عقد المؤتمر تلو المؤتمر ، ليعلم ان بلاد العرب للعرب ، لهم وحدهم ، انساناً وارضاً وبحراً وسماء ، لا يشركون من دون الله فيها احداً .

في هذه الفترة العصيبة من حياة الامة العربية ، ينعقد مؤتمر الادباء العرب في عاصمة الامويين .

وانه لمن طبيعة الروح العربية .

وانه لمن سليقة الفكر العربي .

وانه لمن مزايا العروبة الاصيلة ومن صميم رسالتها الانسانية ، ان ينعقد في دمشق العاصمة العربية العريقة ، مؤتمر للفكر والروح ، وقوى الشر تتألب على خنق الفكر والروح .

ونحن ، إذ نتدارس هنا وسائل تعريف ابناء الامة العربية بالنتاج الادبي الحديث لكل قطر ووضع الادب العربي بين الآداب العالمية ، وتفاعل الادب والفنون الجميلة ، والاديب والناقد والاديب والدولة ، ونحن إذ نتناقش في هذه المواضيع الهامة ونحاول ان نرسم لها ، على ضوء الماضي وعلى معطيات الواقع ، خط اتجاه في دروب الفكر ، لانؤدي بذلك واجباً عربياً وحسب، وانما نساهم في اداء رسالة انسانية ، رسالة الفكر والروح ، تلك التي لأبد ان تقضي يوماً على النـــار والحديد .

ولكي نؤدي هذه الرسالة الانسانية ، يجب ان نعد انفسنا ، وان نخرج من عزلتنا . لن استعجل موضوعاً من مواضيع المؤتمر فستبحث كلها بجد وامعان ، وستناقش ، وسنخلص منها ، ان لم يكن الى حلول جازمه ، وذلك مستحيل في عالم الادب والفن ، وجماله وخصبه انه مستحيل، فالى اتجاهات من شأنها ان تنير السبيل .

ولكن الموضوع الثاني ، وضع الادب العربي بين الاداب العالمية ، يلح علي كأنه الوحيد، كأنه هو المؤتمر . وبالواقع ، اذا لم نتساءل اين نحن في ادبنا من الامم في آدابها ، اذا لم نرصد الحساب بيننا وبين الانسانية ، فنعرف ما اعطينا وما كان بامكاننا ان نعطي ، اذا لم نعلم لماذا اخذ الادب العالمي قليلاً من عطائنا الكثير ، اذا لم نجل اسباب الأنطواء على انفسنا ، اذا لم نمهد سبل الانطلاق الى العالم الفسيح ، فسنبقى في عصر الاتصال الاثيري دودة نشيطة تختنق في شرنقة جميلة .

وفي رأيي ان المآخذ التي تؤخذ على لغتنا وعلى اوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، مهما بلغت من الاهمية ، ليست هي العائق .

فاللغة العربية ليست لغة الترف وحسب ، كما يحب أن يصورها بعض الغيارى المصلحين وجميع الاعداء المخربين •

وأية لغة في العالم ارسخ دعائم من هذه اللغة التي تنتصب في زوابع الفكر كالمارد ، منذ عشرين قرناً، لا نعرف لها طفوله ، ولا نتلمس لها شيخوخة ، وانما هي شباب دائم التجدد . لغة تطورت ولا تزال، حتى استوعبت وتكاد اليوم تستوعب جميع خلجات النشاط الفكري

والنفسي ، يسبقها العلم احياناً فتفتقر الى مفردات ، فلا تلبث ان تجدها ، مشقة من صميمها او مستمدة متملكة وأية لغة لا تحتاج الى تركيز كيانها من حين الى حين في مهب عواصف الفكر؟ واية شجرة دائمة الاخضرار لا تغير اوراقها ؟ . .

ولكن الاصول ضاربة في الارض والذين تهولهم الفروع السامقة يتوخدون قطع الاصول . يطالبون بتبسيط القواعد ، والقواعد لايمكن ان تمس ، فلكل لغة روحها وكيانها . اما ما لصق بالاصول من اعشاب الأرض أما ما علق بالقواعد من حذلقات اللغويين في طور من اطوار اللغة، فقد لفظته اللغة ، وقد مجه الناس .

كذلك العبارات المحنطة في « فقه اللغة » وامثال فقه اللغة لم تعد رائد المريدين .

وازدواجية اللغة بين الفصحى واللهجات العامة ليست العقبة الكأداء ، وفي كل لغة ازدواجية ، ويتسع الشق ويضيق بحسب مستوى الامة الثقافي . فالعلاج في العلم لا في بتر اصول اللغة .

وما تحمل اللغة العربية من صعوبات اصيلة بين اعلال وادغام ، وتثنية وجموع ، وسلامة في الجمع او تكسير ، بين قياس وسماع ، بين القاعدة والشواذ . . . هذه الصعوبات وامثالها لاتخلو منها في كثير او قليل لغة من لغات العالم .

وما رأيكم بالألمانية مثلاً والاعراب فيها يلحق حتى الاداة ؟

ولعل المؤامرة الاستعمارية الكبرى على اللغة العربية ، وعلى العرب من ورائها ، هي الدعوة الى الحروف اللاتينية ، والحرف للمعنى ، بعد هذه الملازمة الطويلة ، كالجسد للروح .

اللغة العربية تتبسط من تلقاء نفسها ، بدافع حيويتها ، على كرور العصور ، في كل مايمكن تبسيطه . كتابة الحروف سائرة الى ماهو اسهل ، والالفاظ الاوابد زالت ، والعبارات الجاهزة امست للتاريخ القديم ، وبرزت في النثر وفي الشعر العبارة التي تظهر الفكر بادق مقاصده أو التجربة الشعرية باروع مايختلج فيها .

فاللغة العربية ، مع ماتحتاج اليه من صقل التطور ، ليست هي العائق .

اما الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فخلاصة المآخذ عليها ان الاديب لا يستطيع ان يعبر بحرية عن كل شيء ، وانها لاتوفر له اسباب الحياة والاطمئنان الى الغد . وهذا صحيح . ولكنه لايمنع انطلاق الاديب العربي الى الاجواء الانسانية ، فكم رائعة عالمية أتت وليدة الاضطهاد الفكري ، وكم رائعة ولدت في الفقر المدقع .

المهم في الادب ان تتناول عبقرية الاديب ، باسلوب عبقري ، موضوعاً عبقرياً اذا جازت

التسمية ، موضوعاً انسانياً . بل لعل عبقرية الموضوع شيء ثانوي . فكل موضوع ، الى حدما انساني بطبيعته . وانما طريقة اخراجه هي التي تقرر المصير .

المهم ان نخرج من السطحية اللفظية ، ومن الاطار الضيق الى صلب المشكلة الانسانية اللاصقة بمشاكل الكون ، بمشاكل المادة ، بمشاكل الكينونة ، والعالقة بمشاكل ماوراء الكون بمشاكل الروح ، بالغيبيات واسلاكها الخفية .

ولكي يكون ذلك يجب أن تتوسع ثقافة الادب العربي فتشمل كل شيء .

وثقوا ان الادب العربي واصل بالنتيجة الى هذه الغاية ، فقد استيقظت الروح القومية تلهب الصدور ، وعبقرية الادب موثوقة الى حد بعيد بالوعي القومي المنبثق من عبقرية الامة .

انا نشكر لادباء سورية الشقيقة الدعوة الى هذا المؤتمر الذي يتيح لادباء العرب فرصة التداول في شؤون الفكر ، ونشكر للحكومة السورية جميل رعايتها وحسن ضيافتها .

ونشكر لفخامة الرئيس شكري القوتلي ، رائد الجهاد العربي ، تشجيعه لنا برعايته هذا المؤتمر ، وامدادنا بالنصح الرشيد .

وعشتم للفكر والروح

كلمة مراكش

للاستاذ محمد المنتصر الكتاني

ياصاحب الفخامة

اني باسم مراكش اتقدم بخالص شكري لاهتمامكم تمثيل مراكش في ثلاث مؤتمرات متتابعة



مؤتمرات العقيدة والشعب والادب وان التاريخ بذلك ليعيد نفسه فدمشق مدينة العلم والعروبة كانت منذ القديم مقصداً لطلابنا ورجالنا من بقى بن مخلد فابن ايمن فابن العربي المعافري الى ابن خلدون فالمقري فابن سليمان الروداني فالامير عبد القادر الجزائري وان المغرب العربي بما فيه الاندلس (الفردوس المفقود) لمدين لدمشق قديماً وحديثاً في علمه وادبه ولغته ومن يقرأ تاريخ ابن عساكر الدمشقي ذلك الكتاب الفريد الضخم يدرك مدى ما كان بيننا من تبادل ثقافي شامل بتبادل الرحلات والمشيخات والطلب وان دمشق منذ عصر الفاتحين ابي عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد وان المغرب منذ عصر الفاتحين عقبة بن نافع وموسى بن نصير ليكونان

وحدة متجانسة في العقيدة واللغه والثقافة وادبنا اليوم لم يخرج عن هذا الترابط والتجاوب فمن يقرأ لعبد الله كنون وعلال الفاسي من طنجة ومحمد التطواني وابراهيم الكتاني من سك والرباط ومحمد بن الحسن الوازاني ومحمد البغلتي من فلس والبشير الابراهيمي وأحمد توفيق المدني من الجزائر والفاضل ابن عاشور من تونس فمن يقرأ لهؤلاء ادبهم من نثر وشعر يشعر وكأنه يقرأ لمحمد كرد علي وخليل مردم وانور العطار وبدوي الجبل وان حملة الاقلام عندنا هم انفسهم جملة السيوف بمراكش فشاعرنا الذي يقول .

نحن الجنود ونحن الدرع مابقيت سواعد لصرير الكتب والشطب

قد عبر عن الواقع اصدق تعبير اذ معركة الحرية والاستقلال التي ربحنا جولتها الاخيرة كانت وسائلها الادب والقوة متعاونين .

ياصاحب الفخامة

اني لاكرر شكري لسوريا في شخصكم الكريم الى هذه الرعاية التي اوليتم بهـــا الادب العربي على مختلف شعوبه واقطاره وانه ليسعد مراكش ان تكون دائماً بجانب اخوتها في الشرق العربي لتقوية الاواصر اواصر العقيدة والادب واواصر الالام والآمال حتى تتحقق دولتنا المنتظرة الولايات العربية المتحدة ليتابع العرب في مهمتهم التمدينية بنشر حضارتهم وثقافتهم وأدبهم اذ حينما غضت هذه المساهمة اضطرب سير الحضارة في العالم .

كلمة مصر

للاستاذ يوسف السباعي

سيدي فخامة الرئيس .. سيداتي .. سادتي

باسم كتاب مصر وشبابها والمجاهدين من ابنائها وكلهم الآن تهفو قلوبهم الى العاصمة السورية



الحبيبة نقدم اليكم اخلص الشكر واسمى العرفان على كريم دعوتكم وحسن ضيافتكم . واؤكد لكم ايماننا العميق بما يمكن ان يحققه مؤتمرنا هذا من غايات فكرية واهداف عربية فنحن نستطيع كعصبة مؤتلفة الجهود موحدة الاغراض ان تفعل لوطننا العربي الشيء الكثير .

ونحن جميعاً .. مهما اختلفت مذاهبنا . لا اظن أثنين يختلفان على هدف اسمى نسعى جميعاً من اجله وهو الحياة الكريمة لوطننا العربي في عالم يسوده الرخاء والسلام .

اننا نمر بمرحلة حاسمة من تاريخ هذا العالم . حيث يبدأ عهد المساواة بين الشعوب .. بعد ان اختلت موازينها . وسادت السيطرة والاستعمار والاستغلال .. وطالت رفاهية بعض

الشعوب على حساب حرمان البعض الآخر من ادنى درجات القوت .

اننا نمر الآن بفترة بعث .. وقد يستطيع كل منا على حدة ان يسعى ليحصل على بعض حقه في الحياة .. ولكننا ككتلة موحدة .. تستطيع ان تقفز لتختطف هذا الحق كله .

وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العالم يرى العالم العربي اليقظ بوضوح تربص الاستعمار له . ولكنه مسلح بايمانه وقوة ابنائه وثقتهم بالمستقبل الحر الكريم .

وان مؤتمر الأدباء العرب الذي يعقد اليوم دورته في دمشق ليمثل القوى الفكرية والروحية الناهضة النابضة في كيان كل قطر يتكلم العربية . والكتاب الآن يعبئون اقلامهم ويعبئون كل القوى الفعالة في الشعوب العربية لتستمر في انطلاقها الموفق الذي لن يتوقف حتى تنال الرفاهية الكاملة وتحطم البقية من قوى الشر في العالم .

نحن نملك كل الامكانيات الذهنية والمادية ، نحن نؤمن بأهدافنا ونثق في انفسنا وفي بعضنا وفي قدرتنا ككتلة موحدة على الحصول على حقنا الكامل في الحياة .. واتخاذنا موضعنا اللائق بين شعوب العالم .

واصل الفكر والادب كانوا دائماً اسبق الى تحقيق وحدتنا .. فما اظن هناك محلية في الادب .. فتاريخ ادبنا يجزم دائماً بأنه لم يكن لدينا ابداً .. الا ادب عربي وادباؤنا لم يكونوا قط ادباء محليين بل ادباء عرباً .. وما كانت مواضعهم في بلادهم بأقل من مواضعهم في بقية بلاد العرب الأخرى .

والادب العربي كان ولا يزال باعثاً للكفاح في سبيل حرية العرب وقد ادى دوره في خلق نهضتنا الكبرى التي بدأنا نجني ثمارها التي اطاشت صواب الغرب وافقدت رشده .

وقد هيأ الادب لها . . سبلا من النجاح والتوفيق واسسا قوية للرفعة . . كانشاء مختلف الهيئات الادبية في مصر كنادي القصة وجمعية الأدباء التي انشئت لتحقيق الصلات والاخاء بين الادباء وتنسيق جهودهم . وحماية الادب من الضعف والابتذال والاتجاهات الضارة بمصلحة العرب والانسانية .

وقد قامت ثورتنا التي تقدر الادب والفن حق قدرهما وتعرف عظـــم آثارهما في توجيه الشعوب قامت بانشاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الذي يهدف الى الارتفاع بمستوى الانتاج الفكري في مجالات الفنون والآداب ويبحث عن الوسائل التي تؤدي الى تنشئة اجيال من اهل الاداب والفنون يستشعرون الحاجة الى ابراز الطابع القومي في الانتاج الفكري بشـــتى

صنوفه ويعملون على التقارب في الثقافة والذوق الفني بين المواطنين مما يتيح للامة العربية ان تسير موحدة في طريق التقدم محتفظة بشخصيتها وطابعها الحضاري الممتاز .

وكان زعيمنا الرئيس جمال عبد الناصر اول المؤمنين بقيمة الادب فقد قال لي قبيل انشاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب انه يكتب الجزء الثالث من فلسفة الثورة الخاص فهو يؤمن بأن الثورة السياسية والاجتماعية انما هما دعامة للثورة الفكرية التي يمكن تؤدي الى نهضة كبرى تقودنا قدما في سبيل الحرية والكرامة والرخاء والسلام .

كلمة اليمن

للاستاذ احمد محمد نعمان

باسم اليمن السعيدة أحيي أعلام الفكر وأساطين الأدب

وان احرار الفكر اليمنيين وحملة الاقلام منهم ليباركون هذا المؤتمر العظيم مؤتمر ادباء العرب وهم يتطلعون الى اليوم الذي تتاح لهم الفرصة ، وتساعدهم الظروف كي يساهموا اخوانهم في الاقطار الشقيقة التي تمكنت من السير في طريق الحرية وتخلصت من القيود ،وتحررت من الرجعية البليدة والجمود .. ويسرني وانا اتطلع الى هذا الجمع الحاشد في هذا المؤتمر العظيم ان انشر قول شاعر اليمن الاستاذ محمد محمود الزبيري رئيس الاتحاد اليمني بمصر .

سجل مكانك في التاريخ ياقلم … فهاهنا تبعث الاجيال والامم
هنا القلوب الأبيات التي ائتلفت … هنا الحنان ، هنا القربى ، هنا الرحم
هنا البراكين ثارت من مضاجعها … تطغى وتكتسح الطاغي وتلتهم
لم يبق للظالمين اليوم من وزر … الا انوف طويلات ستنحطم
ان الانين الذي كنا نردده . … سراً غداً صيحة تصغي لها الامم
والحق يبدأ في آهات مكتئب … وينتهي في زئير ملؤه نقم

يا حضرات السادة ـ ان تأثير الأدب في حياة الامم لم يعد محل شك او ريب فما قامت الامم الا على صوت شعرائها ، ونبرات خطبائها ، واقلام ادبائها . والادباء هم الموقظون للراقد المحركون للجامد ، المتصرفون بقلوب الامم وعقولها ومشاعرها والحافزون الى طريق المجد والتحرر والانطلاق ورحم الله أمير البيان شكيب ارسلان القائل :

والعرب لا تبدأ بجمع جموعها … الا سمعت نشيدها وحداءها

وبعد فاني اختتم كلمتي هذه بتحية الشعب اليمني لسوريا الشقيقة الخالدة . سوريا موطن العروبة ومركز الوحدة ؛ سوريا التي وقفت الى جانب مصر الشقيقة الكبرى وقفة عزم وتصميم لم تتردد ولم تخادع ولم تماطل ولم تسوف . سوريا التي اعتز العرب اجمعين بوقفتها الى جانب

مصر ، وتضامنها مع مصر ، وايمانها بحق مصر .

ان وقوف القوتلي رئيس الجمهورية السورية وشيخ المجاهدين والمناضلين الى جانب أخية جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر وبطل العروبة ورمز القومية العربية اثلج صدور ابناء العروبة وملأ قلوبهم غبطة ورضى .

ان رئيس جمهورية سوريا ارضى امتهالعربية وأرضى ضميره واراد الله ان يمد له في العمر حتى تقر عينه بوحدة الامة العربية ولم شعثها وجمع كلمتها تحقيقاً لكفاحه ولنواياه الطيبة . . وان الله ليرزق العبد على قدر نيته وهمته .

لقد وقف القوتلي الى جانب جمال رغم انف المستعمرين ووعيدهم وتهديدهم · انني طالما تحدثت عن محاولة ايدن رئيس حكومة بريطانيا العظمى التفريق بين الامة العربية وجمال عبد الناصر فقد وقف هذا الاستعماري العتيد يعلن للعالم ان ليس بينه وبين البلاد العربية ولا بينه وبين مصر خلاف ولا خصام وانما الخلاف والخصام قائم بينه وبين جمال عبد الناصر · · وتالله لقد جمع القلوب كلها على الايمان بجمال عبد الناصر والالتفاف حوله والتضامن معه · ان المستعمرين جمعوا العرب حيثمن ارادوا تفريقهم ورفعوا جمال عبد الناصر حين حاولوا ان يضعوه وهكذا ·

حاولوا هدم سورها فبنوه وأتوا كي يقصروه فطـــالا

ان القائدين العظيمين للامة العربية في مصر وسوريا اصبحا رمزين للتضامنالعربي وللوحدة العربية والاخوة الصادقة .

حيا الله سوريا وبارك للعروبة في جهادها ونضالها وكفاحها . وانه ليسعد اليمن في هذه اللحظات الغالية ان يكون شعبهاالمتطلع للحرية والاندماج في الامة العربية ممثلا في هذا المؤتمر الذي يجمع قادة الفكر العربي ورجال الادب بعد ان مثلت في مؤتمر الشعوب العربية للنضال لتحقيق وحدة العرب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرات

القي في المؤتمر خمس محاضرات ننشرها
حسب تسلسل زمن القائها

الأديب والناقد

للاستاذ ميخائيل نعيمة



لو شئت ان احدد النقد بكلمات ثلاث لقلت أنه عمل الحياة الدائم . فهي ما زرعت الفضاء شموساً واقماراً وكوكبات ومجرات ، ولا فجرت من أديم الأرض هذه الاشكال ما بين سائل وجماد ونبات وحيوان وانسان ولونتها بسائر الالوان ، ولا ربطت كل ذلك بنظام شامل مانع لتقبع من بعدها في زاوية من المسكونة ، وتنظر الى زرعها بعين الرضا ، ثم تقول معتزة بما صنعت .« انه حسن جداً » • فلو أنـــه كان أقصى ما تستطيعه او تتوخاه لما امعنت فيه تبديلا وتغييراً ، وتحريفا وتحويراً فما تفتتت نجوم وتكورت نجوم ، ولا انقرضت اجناس وبرزت الى الوجود اجناس ، ولا هاج بركان ، وطغى بحر . وزمجر إعصار ، وقرقر زلزال ، ولا كان انطلاق بعد انغلاق وانغلاق بعد انطلاق ، ونمو ينتهي الى انحلال وانحلال ينتهي الى نمو • ولاكان « هذا الحيوان المستحدث من جماد» الذي حار في نفسه على قدر ما حارت البرية فيه •

لو كان لنا ان نجري على هذه الحركة الكونية التي لا تنقطع ولا رفة جفن مثل الاحكام التي نجريها على حركاتنا البشرية لقلنا انها ناجمة عن قلق وشوق في آن معاً • فنحن لا نأتي حركه من الحركات ـ عفوية كانت او عن سابق قصد وتصميم ـ إلا نتيجة لعدم اطمئناننا الى وضع نحن فيه والا تشوقاً منا الى وضع أفضل منه •

ما هو الجوع ؟ انه قلق الجسم اذ يشعر بحاجته الى الطعام • وهـذا القلق يرافقه الشوق الى الطعام والسعي اليه • حتى اذا ظفرنا به انتقلنا الى قلق جديد هو قلق الهضم ، وشوق جديد هو الشوق الى التخلص من بقايا الطعام التي لا قبل لنا بهضمها • وما ان تنتهي الدورة حتى تعود

لتبتدىء من جديد .

كذلك هي حالنا مع العطش والري ، والتعب والراحـــة ، والنوم واليقظة ، وكل عمل نعمله ، وفكر نفكره، وكلمة ننطق بها . فما من حركة نأتيها الا كان الدافع اليها قلقنا من حالة نحن فيها وشوقنا الى حالةافضل منها .

في مثل هذا العالم الذي كله قلق وشوق يعيش هذا « الحيوان المستحدث من جماد » . فلا غرو ان يكون هو كذلك في شوق وقلق دائمين . اذ لا مندوحة له عن مطاوعة الكون الذي هو بعض منه وعنصر متم لعناصره . لكنه لا يعيش في هذا العالم العجيب نظير ما تعيش قطرة الماء في البحر ، او نسمة الهواء في الفضاء ، او عشبة في مرج ، أو ضفدع في مستنقع ، او بومة في خربة . فهو يملك في عيشه فوق ما تملكه سائر الكائنات حواليه من مقدرة على التفكير والتمييز والخلق والتخيل والارادة والافصاح عن هذه جميعاً بكلمات واشارات تؤدي معاني بذاتها .فهو من هذا القبيل نسيج وحده ما بين كل شركائه في الارض .

ما كان الانسان في حاجة الى التفكير والتمييز والخلق والتخيل والارارة والافصاح من هذه جميعها لو لم يكن العالم الذي يسكنهعالماًازدوج ثم تناقض كل مافيه. فذكروانثى،وبعيدوقريب وطويل وقصير وحار وبارد ، وثقيل وخفيف ، وابيض واسود ، وحلو ومر الى آخر ما هنالك من متناقضات . ولا كان القلق والشوق لولا الحاجة الدائمة الى الاختيار ما بين هذا الشيء او نقيضه . او ذلك الفكر وعكسه ،او هاتيك العاطفة واختها التي على الطرف الآخر منها . فنحن مدعوون في كل لحظة من وجودنا الى التفكير والتمييز والاختيار - اي الى النقد .

ان طفلا يبكي لطفل يحتج بصوته ود موعهعلى الحالة او الحالات التي سببت له البكاء ،سواء اكان المسبب برغثة او انسانا . واحتجاجه ضرب من النقد .

وان تلميذا يهرب من مدرسته الى البرية لتلميذ يقول لمعلمه : اني اوثر خوار الثوار ، او خرير الساقية ، او صوت العصفور على صوتك واوثر مدرسةالغابة والحقل والواديعلىمدرستك، فقوله نقد كذلك .

وان شيخاً هرماً يتبرم بضعف بصره وركبتيه ، وبرجفة في يديه ، وطنين في اذنيه ، ودوار في رأسه ، وقشعريرة في دمه لشيخ يلوم القدرة التي اوصلته الى ماهو فيه . ولومه نقد كذلك .

وان شاعراً يسأل : (١)

(١) نسيب عريضة في قصيدة «لماذا» — الارواح الحائرة.

لماذا السفينة تطلب ريحا ومن تحتها ابحر طائلة ،
وفي القفر عطشى يريدون ماء
وريح السموم بهم نازلة ؟
لماذا التناسل ، والنسل ندري بان الحياة له قاتلة ،
أكيما نزيد المقابر رمساً ، ونصغي الى انة الثاكلة ؟

ان شاعراً يطرح مثل هذه الاسئلة لشاعر يفضي بما في نفسه من قلق تجاه امور يجهلها ويتشوق الى معرفتها ، فهو شاعر ناقد .

وهاهي صحافة العالم لايشغلهاشيء مثلما يشغلها نقد مافي العالممن أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية واخلاقية وسواها . فالنقد دينها وديدنها . اذا تخلت عنه فقد تخلت عن وجودها . كذلك قولوا في جميع علوم الناس وفنونهم فهي من أجلها حتى اقلها قيمة ضروبمن النقد المنبثق عن الشوق والقلق .

ثم هاهي السنة الناس في كل زمان ومكانلايلذها امر من الامور على قدر ما يلذها التحدث عن معايب الاخرين ومحاسنها . ومن منا لم يبتل بجماعة او جماعات ينفقون الساعات الطوال في تشريح الناس لايوفرون قريباً او غريباً ، ولا يعفون عن صديق او عدو ؟ انهم النمامون والمغتابون والثرثارون ، ونميمة هؤلاء وغيبتهم وثرثرتهم ضروب من النقد كذلك . فهم ، من حيث يدرون ولا يدرون ، يفرجون عن قلق او عن كربة في نفوسهم ويفضحون فقرهم وشوقهم الى صفات أحسن من تلك التي ينتقدون .

والآن اذا عدنا من بعد هذا التمهيد الى الكاتب والناقد - وهما موضوع الحديث - وجدنا ان ذلك وهذا يعملان بدافع من القلق والشوق . فالكاتب في ما يكتب انما يعبر عن قلق تثيره فيه حواسه الخارجية والباطنية من اوضاع بعينها ، وعن شوق الى التخلص من ذلك القلق . ويأتي الناقد ليعبر عن القلق الذي يثيره فيه عمل الكاتب ، وعن شوقه الى الانعتاق منذلكالقلق

واذ ذاك فعمل الناقد هو نقد النقد. وهو مدين به الىعمل الكاتب . فلولا الكاتب لما كان الناقد . ولا يصح العكس وذلك هو الفارق الاول والأهم مابين الاثنين .

وانا عندما اقول في الكتابة انها - كاي عمل بشرى اخر - تصدر عن قلق وشوق لستاريد ان يتبادر الى الذهن انها عملية بسيطة . بل هي عملية في منتهى التعقيد . فلا القلق ولا الشوق من المشاعر التي يسهل فهمها وتحليلها . فنحن اذ نحس القلق لانحسه بالعين دون الاذن ، او

بالاذن دون الانف اليد واللسان، أننا نحسه بكل قطرة من دمائنا ، وكل نبضة من قلوبنا • وكل جارحة من جوارحنا – نحسه بكل مافي جهازنا البدني من دقائق لاتدرك ولا توصـف ، مثلما نحسه بافكارنا واذواقنا وميولنا وجميع مايدخل في تركيب جهازنا المعنوي أو الروحي . كذلك هي حالنا مع الشوق . وكلا الشوق والقلق يتفاوت عمقا وعنفا ومدى بتفاوت البواعث الـتي تبعثه ثم بتفاوت القوى التي تعيه وتتأثر به . وهذه القوى هي العقل والوجدان والخيال والذوق والارادة . وهي لاتتساوي ابداً حتى عند اثنين من الناس • فكيف بها تتساوي عند جميع الناس؟

من هنا هذا التنويع الدائم في مانقول ونكتب ونعمل . فما اتفق اثنان يوما من الايام في القلق والشوق ، وفي كيفية التعبير عنهما ، حتى وان وضعناهما ، أو وضعتهما الحياة ، في عين الظروف والاحوال • وكيف يتفقان وجسم ذلك غير جسم هذا ، وعقله غير عقله ، ومزاجه غير مزاجه، وذوقه غير ذوقه ، وميزان الخير والشر عنده غير ميزانه ، وارادته غير ارادته؟ ان هذه جميعها تتكون وتنمو فينا عن وعي وعن غير وعي منا . لانها نتيجة تفاعل دائم بيننا وبين سائر الـكائنات – منظورها وغير منظورها – فلا سبيل لنا الى سكبها في قالب واحد . لئن كان لنا ان نتحكم في عقولنا واذواقنا وارداتنا وميولنا الى حد ما ، فمن اين لنا ان نتحكم في تكوين اجسادنا وما نحن هيئناها وهيئتها لنا قدرة غير قدرتنا . ؟ ثم كيـــف لنا أن نتحكم في الارض وما عليها والسماء وما فيها – واقلها يفرض وجوده وسلطانه علينا فرضا ؟ فاي عجب اذ ذاك ان لانتساوى في الشوق والقلق وفي كيفية التعبير عنهما ؟

يؤلف احدهم رواية أو اقصوصة او مسرحية ، او ينظم قصيدة ، ويدبج مقالة فلا هو يدري ولا نحن نستطيع ان نحكم ، كيف فعل ذلك ، ولماذا ، فدوافع الشوق والقلق التي من وراء عمله هي في الغالب أعقد من ان يحللها فكره او قلمنا . فقد تكون رغبة منه في الشهرة او طمعا في المال ، او حبا بالارشاد او ترضية لصديق او حبيب ، مثلما قد تكون مخاضا كمخاض الحامل فليس علينا ان نتقصى الدوافع التي دفعته على الكتابة ، ولا ان ندينه لانه كتب . ولنا اذا نحن شئنا ، ان نقرأ ما كتب . فاذا قرأنا فيه قلقا يشبه بعض مايقلقنا ، او شوقا يضارع بعـــض اشواقنا ، ثم وجدناه يعبر عن ذينك القلق او الشوق تعبيرا نصدقه ونطمئن اليه ، أو نتمنى لو يكون لنا مثله . شعرنا بشراكة الحياة بيننا وبينه وقلنا : بارك الله فيه . انه لحم من لحمنا ، ودم من دمنا . ولقد ترجمنا الى انفسنا ، فكان خير الترجمان •

الا ان من الناس من يقرأون ولا يفهمون كل ما يقرأون ، او يفهمون عكس ما يقرؤن .

فيمرون باللؤلؤة الفريدة وكأنهم يمرون بأكرة من زجاج . او يمرون بأكرة من زجاج فيحسبونها لؤلؤة فريدة . ان لمثل هؤلاء قام النقد والناقدون .

قلت في بداية هذا الحديث ان النقد هو عمل الحياة الدائم . ولا بد من القول هنا ان الفرق بين نقد الحياة ونقد الناقدين منا وفينا لفرق شاسع جداً . فالحياة تنقد ذاتها بذاتها . اذ ليس ما هو خارج عنها لتوجه اليه نقدها . ولأننا بعض من ذاتها فهي تنقدنا كذلك في كل لحظة من وجودنا في حين اننا ننقد الغير وقلما نوجه نقدنا الى أنفسنا . ومن ثم فالمقاييس التي تستند اليها الحياة في نقدها لذاتها نستند نحن اليها في نقدنا الغير . فما هي مقاييسنا بالنسبة الى مقاييس الحياة ؟



والحق والخير والجمال - هذه الكلمات الثلاث تتردد على اقلام الكتاب والنقاد والسنتهم كلما حدثوا عن الأدب وقيمته ورسالته . واذن فالناقد الذي يتعرض الى اثر من الآثار الادبية عليه ان يعرف الحق وان يميز الخير وان يحيط بسائر صفات الجمال ، كيما يحق له ان يصدر حكمه في ذلك الاثر . الا ان مثل هذا الناقد لا وجود له على الاطلاق ، اذ ليس في الناس من يعرف الحق كل الحق ، ويميز الخير كل الخير ، ويحيط بالجمال كل الجمال . فنحن ما نزال من الأدراك في عالم النسبة . فما كان حقاً بالنسبة الي قد يكون باطلاً بالنسبة اليك . وما كان خيراً عندك قد يكون شراً عندي . وما كان جمالاً في عيني قد يكون قباحة في عين جاري . وعندئذ فمقاييس الناقد هي مفاهيمه الخاصة للحق والخير والجمال . وهذه تسمو وتنحط على قدر ما يكون نصيب الناقد من

التفتح الروحي ، والاتزان الفكري ، وسلامة الذوق ، وحدة الذهن ، وصفاء العين والقلب ، واتساع الخبرة بآثار الانسان واخباره منذ اقدم العصور حتى الساعة .

ان على الناقد ان يخلق مقاييسه من نفسه وعليه ، إذا كانت له المقدرة ، ان يحمل القارىء والكاتب الذي ينقده على احترامها والايمان بها . ولن يتسنى له ذلك الا اذا كان انقى بصيرة واوسع آفاقاً واسلم ذوقاً ، واصدق نية ، وامضى عزماً ، واشد ثقة بنفسه وبمقاييسه من قارئه ومن منقوده . اما اذا كان في كل ذلك على مستوى واحد مع قارئه ومنقوده فنقده لايزيد عن ان يكون ضرباً من التنبيه والتسجيل . واما اذا كان دون مستوى قارئه ومنقوده فنقده تعب مهدور ودواء لمن ليس يشكو أي داء . بل انه في مثل تلك الحالة ، قد يكون تحقيراً له وتشهيراً . وما اكثر ما يحقر بعض النقاد انفسهم ويشهرونها من حيث يقصدون تحقير الغير وتشهيرهم .

اجل . ان كل مايفعله الناقد في نقده هو ان يعرض نفسه بما فيها من قلق وشوق وذلك في عرض الكلام عن غيره . فقد يقلقه اشد القلق ان يقع في كتاب ما على مجرور بحرف اللام بدلا من الباء . فيثور ثائره ولايهدأ باله حتى يعلن للملأ انه ارسخ قدماً في علم النحو من مؤلف الكتاب . وان اللام لاتجوز في هذا المقام . وتجوز الباء .

وثورته هذه قد تعميه عن حسنات جمة في الكتاب الذي بين يديه . ومن جهة ثانية ، قد تشوقه من شاعر براعة في وصف الثغر او النهد او الردف فيمضي يكيل المديح كأنه حاتم الطائي يوزع اللحم على الجياع والدراهم على الفقراء . ويعميه الثغر او الهند او الردف عما قد يكون في الديوان من فحش وفجور واسفاف خلقي ، كأن هذه كذلك من مقومات الحق والخير والجمال !..

مامن شك في ان مستوى النقد يرتفع ويهبط بارتفاع مستوى النتاج الادبي وهبوطه . فالادباء الكبار يمهدون الطريق للنقاد الكبار . ولا اعكس فاقول ان النقاد الكبار يمهدون الطريق للادباء الكبار . فالعبقرية الحقة تشق طريقها بقدرتها لا بما يقوله فيها مادح او قادح . وهل في استطاعة نقاد العرب مجتمعين ان يخلقوا متنبياً واحدا أو أن يحولوا دون خلقه ؟ امهل في استطاعة جميع نقاد الفرنجة ان يأتونا بشكسبير آخر ؟ واذا قام شكسبير آخر فهل في مستطاعهم ان يطفئوا الشعلة التي في صدره ؟ ولوان كل من في الارض من نقدة حاولوا أن يجعلوا من شويعر شاعراً ومن كويتب كاتباً ، وان يسدوا السبل على الكويتبين والشويعرين فلا يقتحمون حومة الادب ، لباءوا بالفشل من غير شك . اما كبار الكتاب والشعراء فقد خلقوا نقدة كثيرين ما بين كبير ومتوسط وصغير .

مثلماخلقوا الكثير من المقلدين والطفيليين .

حيثما كثرت القمم الشاهخة قلت الدهشة للتلال . وحيثما كانت الانهار الكبيرة قلت قيمة السواقي . اما حيث لا قمم شاهخة ولا انهار كبيرة فالكثبان والسواقى تبدو كما لو كانت ابدع آيات الله في خلقه ، والمثل العامي يقول : من قلة الرجال سموا الديك أبو علي . وعندنا من كرم المولى كثبان وسواق كثيرة . فلا عجب ان يكون نقدنا حتى اليوم في مستوى الكثبان والسواقي ، ثم ان يكون لنا في كل يوم كاتب « كبير » وشاعر « عظيم » !

لست أريد أن اقلل من قيمة الناقد وعمله فاقول ان وجوده وعدم وجوده سيان . ولكنني لا أريد كذلك ان ابالغ فيها فاقول ، ان النقد دعامة لا يقوم الادب الا بها وعليها ففي استطاعتنا أن نؤلف الروايات والاقاصيص والمسرحيات وان ننظم القصائد ونحبر المقالات ، وان نخطب في شتى الموضوعات ثم ان نترك امر تقدير ذلك كله للقارىء والناظر والسامع وللزمان . فان اخطأ تقدير القارىء والناظر والسامع لن يخطىء تقدير الزمان في المدى الطويل . واذا كان من الناقدين من بلغوا مرتبة عالية من الاحترام والتقدير امثال « سنت بيف » و « تين » عند الفرنسيين ، و « التر بايتر » و « جان رسكين » عند الانكليز ، و « بيينسكي » عند الروس ففضل هؤلاء في انهم كانت لهم في نفوسهم كنوز من الافكار والاحاسيس وبراكين من الاشواق . وهذه الكنوز والبراكين ما تكشفت ولا تفجرت الا لدى احتكاكها بكنوز وبراكين مماثلة لها في نفوس بعض العباقرة من الشعراء والكتاب . فهي ثمينة في ذاتها لا في كونها جاءت تعليقاً على هذا الكتاب او ذاك . والذي يزيد في اثمانها انها برزت الى الوجود في اكسية تكاد تبهر العين بما فيها من دقة ومتانة في النسج والحبك ، وتكاد تلتهب بما فيها من حرارة ونور .

ان الناقد الذي لا يعيش على حساب غيره كما تعيش الطفيليات على بعض النباتات والحيوانات ، بل يعطيك من وهج روحه مقاييس للحق والخير والجمال تستهويك وتفرض احترامها عليك لهو الناقد الذي يرفع النقد الى مرتبة الفن العالي ، والذي يسر الأدب بأن يتبناه ويعتز به . فهو مرشد من مرشديه ، ومنارة من منارانه ، وبان من بناته ، وكثيراً ما يكون نقده من قوة الاشعاع والاقناع بحيث يقضي قضاء مبرما على اتجاه قديم في الادب ويدفع به في اتجاه جديد ، وبحيث يغدو الزعيم الذي بفضله تتفتح وحواليه تلتف المواهب الفتية في الامة ، انه روح الثورة في الادب . والادب الذي لا تهزه الثورات من حين الى حين الأدب همدت ريحه ، وشح بصره ، وتصلبت شراينه ، فهو

الى الموت اقرب منه الى الحياة .

اما الناقد الذي لا يجد لقلمه مادة الا في كتاب يؤلفه غيره ، والذي يحصر همه في الكشف عما في ذلك الكتاب من معايب ومحاسن ـ حسبما تتراءى له المعايب والمحاسن ـ فناقد نفعه للأدب قليل مهما بلغ من براعة في السبك والسخرية والتهكم . انه كالدجاجة التي لا تبيض ، ولكنها تقوقىء كلما باضت رفيقة من رفيقاتها . او كبعض الطيور التي لا تبني لنفسها اعشاشا ، ولكنها تضع بيضها في اعشاش غيرها . وأمثال هذا الناقد هم الكثرة الساحقة بين النقاد في بلادنا ، العربية وفي كل البلاد . انهم لا يخلقون ولا يوجهون ولا يثورون . ولكنهم يضجون . وضجتهم لا تمضي بغير اثر . فقد تكون بمثابة اعلان للكتاب او للكاتب الذي ينقدون ـ او لأنفسهم : فما اكثرما يتهافت القراء على كتاب تافه لأن النقاد اثاروا حوله ضجة ، وما اكثر ما يعرضون عن كتاب قيم لأن النقاد اعرضوا عنه .

ويمشي الزمان شوطاً ، واذا بالكتاب التافه يغدو طعاما للفأر او للنار ، او مسكنا للعث والغبار . واذا بالكتاب القيم الذي اعرض النقاد عنه يشق طريقه على مهل ، ويشقه بعزم وثبات ، وبرغم انوف النقاد . وما ذلك إلا لأنه غني بجراثيم الحياة ، ولأن الكتاب التافه الذي هلل له النقاد وكبروا غني بجراثيم الموت .

لست اجهل ان الحديث عن النقاد ، كالحديث عن الكتاب ، حديث ذو شجون كثيرة ووجوه كثيرة . الا انني ، وقد قلت في النقاد ما قلت ، اريد ان اقول كلمة بعد في العلاقة بين الكاتب والناقد : ما هي في الواقع وكيف يحسن ان تكون .

الشائع عن النقاد انهم قلما اتفقوا على رأي واحد في تقديرهم للأثر الواحد . ولا عجب فهم ينظرون الى الامور بمنظار واحد . والشائع عن الكتاب انهم يتلهفون الى كل كلمة تقال في مؤلفاتهم . ولكنهم يريدونها كلمة نجلاء لا عمراء .

فان جاءتهم مذمة حيث كانوا يتوقعون العكس فاضت مرائرهم وثارثائرهم وتولاهم الشعور بان لا بد من رد الاذى بالاذى ، ومحو المذمة بالمذمة . وهكذا ينطلقون في نقاش لا طائل تحته مع الناقد الذي غمز من قناتهم . وان هم لم يناقشوه أعرضت عنه قلوبهم في كل حال فبات وكأنه الشوكة في جنبهم او الصل في دارهم . ورد الفعل هذا اذا نحن غفرناه للكتاب الناشئين شق علينا كثيراً أن نغفره للكتاب الذين لهم في الأدب قدم راسخة وقامة بعيدة الظل . ولقد عرفت من هؤلاء من اذا عابهم عائب او لامهم لائم أصيبوا بما يشبه الكلب . فلا يحلو لهم اكل ولا نوم . ولا يرضيهم الا ان ينهشوا الذي عابهم او لامهم بكلمة . واذا مدحهم مادح ، ولو

ما ليس فيهم ، ماعت قلوبهم في صدورهم ، واشرقت اسـاريرهم وطفرت دموع الفرح من عيونهم ، حتى العبقرية لا تصفو من الاكدار ـ ولا تخلو من الرواسب .

وعرفت ادباءناشئين ، وادباءبين بين، يؤذيهم النقد اذا جاء في غير صالحهم الى حد ان يقضي او يكاد على مواهبهم التي لم تستكمل بعد نضجها . فعلاقتهم بناقديهم لا يمكن في أي حال ان تكون علاقة مودة واحترام متبادل .

ان علاقة الكاتب بالناقد هي على الاجمال علاقة قلق وحذر وحرب ، قد تكون سخنة وقد تكون باردة . وكان من الاحرى ان تكون علاقة اطمئنان وثقة وسلام لوصفت نية الناقـد ، واستقامت موازينه ، واخلص لنفسه ولعمله ، ولو اتسع افق الكاتب وصدره ، واستأنست نفسه بمايكتب شاعرة بانها ما كتبته ارضاء لفلان ونكاية بفلان وحبا بشهرة او بمال ، بل خدمة للحق والخير والجمال كما تفهم الحق والخير والجمال ، وانها قد استخدمت في كتابته منتهى ما تملك من قوة الفكر والخيال ، والوجدان والبيان ، فما همها اذ ذاك ما يقوله فيه ناقد او قارىء ؟ العل الناقد والقارىء يفهمان دخليتهما خيراً بما تفهمها هي ؟ وكيف ترضى ، وهي الواثقـة من صدق ما تقول ، ان تقيم الغير حكما على صدقها ؟ إن لها مقاييسها . وموازينها . وهي ما اختارتها الا بعد جهد وعناء فاي بأس اذا اختلفت هـذه المقاييس والموازين عن مقاييس الغير وموازينهم ؟ ومن يدري ؟ فقد تندثر مقاييس الغير وموازينهم وتبقى مقاييسهـا وموازينها .

وهكذا يجدر بالكاتب الذي يكتب ويعرف قيمة ما يكتب ان يخاطب نفسه . فلا يزعجه ذم ناقد ولا يستخفه مدح قارىء . وعلى الاخص اذا هو احسن نقد نفسه . فناقد نفسه في غنى عن نقد الناس . وهو يطاوع في ذلك الحياة التي لا تنفك تحاسب نفسها في كل طرفة عين . فهي الناقد الاكبر والمبدع الأعظم .

وانه لمن حسن حظكم وحظي وحظ جميع الكائنات التي تستطيب البقاء ، مع كل مافيه من قلق وشقاء ، أن الحياة لاتأبه بقيلنا وقالنا ، وأن لاوجه شبه على الاطلاق بين مقاييسها في النقد ومقاييسنا . والا لما كان لنا في الوجود من نصيب . فهل في مستطاعكم أن تتخيلوا ماذا كان يحل بالناس وسائر الكائنات لو كانت لكل منا الحرية وكان له السلطان ، أن يطبق على الطبيعة مقاييسه الخاصة في الحق والخير والجمال ؟ لقد كنا نبدأ ، أول مانبدأ بابادة جميع الحشرات والنباتات والحيوانات التي تزعجنا إما بحركاتها أو بأصواتها ، أو بأشكالها ، أو بألوانها . فلا نبقي على

دودة أو ذبابة أو برغشة أو بقة أو قملة أو زنبور أو عقرب أو حية . ولا على بومة أو وطواط أو غراب . ولا على ثعلب أو ذئب أو ضبع أو ظربان . ولا على عشبة أو شوكة أو أي نبتة وجودها يؤذي عيوننا وأنوفنا أو يؤذي الزرع في حقلنا أو الزهر في حديقتنا ، أو الاشجار في بستاننا . وننتهي بأن نزيل من طريقنا جميع الذين آراؤهم تخالف آراءنا ، وأذواقهم لاتأتلف وأذواقنا ، وصورهم لاتصادف استحساناً ورضى في عيوننا .

وقد تتمادى بنا الغيرة على الحق ـ حقنا ، وعلى الخير ـ خيرنا ، وعلى الجمال ـ جمالنا ، فنمضي نشذب حتى الشموس والاقمار والنجوم على هوانا . فهذا نجم لا هداية لنا فيه فلنمحقه . وهذه شمس تحرقنا . فلنطفئها . وهذا قمر يضيء ساعة لا نريده أن يضيء . ولا يضيء ساعة نريده أن يضيء ، فلنطرحه في هاوية العدم . ونرتد بعد ذلك الى هذا الكوكب الصغير الذي هو أرضنا ، فنرفع هنا وادياً ، ونخفض هناك جبلاً ، وهنالك نجفف بحراً ، ونسد منافخ الرياح اللافحة بحرها وبردها ، ونلجم البرق ، ونخرس الرعد ، ونحذف من الفصول مانشاء ، ونبقي ما نشاء ، ونعدل حرارة الشمس وسرعتها حسبما يحلولنا في هذه اللحظة او تلك من وجودنا .

إن مجرد التفكير في مثل هذه الافتراضات ليبعث القشعريرة في أجسادنا وينشر الظلمة في نفوسنا . فمن الاكيد انه لو صح لكل منا أن يطبق على الكون مقاييسه في الحق والخير والجمال لما بقي هناك من كون ، ولكان العدم نهايتنا ونهاية كل شيء .

أما قصدي من هذه الافتراضات فليس اكثر من أن أبين لكم أن الاحكام التي نصدرها نحن على الناس والأشياء هي ، في الغالب ، أحكام مبتورة ، لأنها صادرة عن بشر ماأكتملت بعد معرفتهم للناس والاشياء ، وللغاية من وجودهم ووجودها ، والاساليب التي تستخدمها الحياةمعهم بغية الوصول بهم الى تلك الغاية . فجدير بنا ، ونحن من المعرفة حيث نحن ، أن لانتصلب في مفاهيمنا عن الخير والحق والجمال ، وأن لانتحمس لها الى حد أن لانترك مجالاً لسواها . بل علينا أن نجري في ذلك على السنن التي تجرى عليها الحياة في الطبيعة من حولنا .

وهاهي الطبيعة تهتم بالقملة والنملة ، وبالحرباء والخنفساء اهتمامها بالفراشة والنحلة ، وبالأسد والغزال ، ولا تحنو على النسر والهزار فوق حنوها على الخفاش والغراب . ولا تمطر على الارزة والسنديانة وتحبس غيثها عن العوسجة والعليقة . ولا تشرق شمسها على العمالقة دون الاشرار ، فحقها للكل ، وخيرها للكل ، وجمالها للكل . وهي اذا ماغيرت او بدلت في أوضاعها

وأشكالها وألوانها فخباً بالكل وغيرة على صالح الكل . وهي لاتبصر ذاتها أعضاء وأجزاء مبعثرة بل وحدة متماسكة ، متآلفة ، متآخية ، أقل مافيها يتمم أجل مافيها .

ان الاشجار الباسقة وحدها لاتؤلف الغابة . بل لابد في الغابةمن أدغال وأشواك ولبلاب .وان البناء لايقوم بالحجارةالكبيرةوحدها . بل لابدمع الكبيرة من صغيرة ، ولابد من الطين . والصورة لاتتم بالنور وحده . بل لابد مع النور من ظل .

وهـــكذا الأدب يستحيل ان يكون ادب عبـــاقرة لأغير . بل لابد مـــع العباقرة من انصاف عبـــاقرة ، ومن كتاب وشعـــراء مازارتهم العبقـــرية حتى في الحلم ولا لمستهم بنفس من انفاسها . لابد مع المبدعين من مقلدين ، ومع النسور من خنافس ، ومع البلابل من غربان . واذا ذاك فما هو عمل الناقد ؟ اليس من الافضل له وللأدب ان يصرف مواهبه في الانتاج ، وان يهتم بنقد ما ينتج بدلا من الاهتمام بنقد ماينتجه الغير ؟ وفيم ضيق صدره بما يقوله ويكتبه الغير ؟ ولو أنه تعلم من الطبيعة لاتسع صدره لمن يقول : نحن بنو العباس نجلس على الكراسي » اتساعه لمن يقول : « خفف الوطء ما أظن اديم الأرض الا من هذه الاجساد »

أجل . فلنخفف الوطء . لا لأننا اذ نمشي على أجساد الغير . بل لاننا نمشي على اجسادنا وأجسادهم ، وعلى ارواحنا وأرواحهم كذلك . وليكن همنا الاول والاخير أن ننطق بالحق كما نفهم الحق ، وان نعمل الخير كما نفهم الخير ، وان نخدم الجمال كما نفهم الجمال . ثم أن نترك للغير مثل ما نترك لانفسنا من الحرية في قول ما يرونه حقاً وخـــيراً وجمالا . والحياة كفيلة بغربلة ما نقول ونفعل . فلها وحدها القول الفصل والحكم الأخير .

الأديب والدولة

بقلم

للأستاذ فؤاد الشايب

في عصر الملوك ، والحكم المطلق ،حدث حدث فذ في تاريخ العالم كان منطلقا لأفكار جديدة ، واحداث دامية على المسرح الاوروبي ، ففي عـــام الف وستمائة وتسعة واربعين ، قهر البرلمان الانكليزي في حرب مسلحة ، ملك الانكليز شارل الأول من آل ستورات ، فحكم المجلس على العاهل بالموت ، وسقط الرأس الملكي على التراب مضرجاً ، معفرا ، بينما كان الثائر كرومويل ، يقفز الى العرش ليجعل منه جمهورية الكومونولث البريطاني عام الف وستمائة وواحد وخمسين .



لقد ذعر العالم ، واستبد به خوف شديد . وكان اديب فيلسوف من رعية الملك يشاهد الحدث الدامي على المسرح الرهيب فيفرق لهقلبه ، وتميد به اعصابه ، وهو بعد ، وليد عصر اجتاحته المجاعة ومزقته الاحداث بين داخلية وخارجية ، ومواطن وطن تكاد تمزقه مطامع الطامحين الى العرش بينما الصراع العنيف على على سيادة البحار يبلغ الذروة بين الاسطول البريطاني الناشيء ، والارمادا الاسبانية التي لا تقهر . وقد القى الفيلسوف نظرة على عصره ونفسه فقال : ولدت انا والخوف توأمين.

في هذا الوسط المحموم ، وامام مشاهد الدم ، والذعر ، وبين نيران مشادة فكرية عارمة ارتفعت الى فوق لتطال حقوق الملوك ،وسلطة السماء ، وصحة التوراة ، وحصانة الدين ، ظهر (توماس هوبس) في ميدان المشادة ، بكتابه الشهير (ليفياتان) ، الذي اعتبره تاريخ الفلسفة السياسية ، سفر الاسفار ، وتوراة العصر ، ومورد كل مثقف فيما يلي من العصور ، يشرب منه ويرتوي او يمالح فمه فيلقي فيه حجرا • فمن هو هذا (الليفياتان) وهو اسم لحيوان هائل الحجم من التوراة يتخذه الفيلسوف عنواناً ورمزا لما تمثله افكاره وتأملاته . ؟ ؟ لنبدأ بصورة

الليفياثان، التي ظهرت على صفحة الغلاف في الطبعة الاولى من الكتاب . ثم بموجز عن وصف الكاتب لها .

تمثل الصورة عملاقاً انسانيا ضخماً كث الشعر ، اسمر الوجه ، حاد النظرات ، يطل بنصف جسمه من وراء التلال ، فوق المدينة وقصورها وحقولها ، وقد نقش على صدره وذراعيه خليط محشود من ألوف الرؤوس والاجساد البشرية التي بدت وكأنها تؤلف بدقائقها تكوين جسده الهائل . وقد امسك بيمناه سيفاً مشهوراً فوق المدينة وضاحيتها ، وبيسراه صليبا . ثم يأتي عنوان الكتاب ضمن اطار من الصور التي تمثل قلعة ، وكنيسة وتاجاً ، ومدفعاً ، وصاعقة ، ومعركة على احصنة ، ورهبانا بمسوح طويلة .. ! فماذا وراء الصورة ؟ !

يقول هوبس في المقدمة أن باستطاعة الفن أن يصنع حيواناً ، ويقلد به صورة الانسان أروع مخلوقات الطبيعة . إن لفياثان هذا ، الذي يسمى الشيء العام ، أو الدولة ، هو بالواقع صنيعة فن لا أكثر . وقد صنعه الانسان على مثاله ، بحجم أضخم وقوة أكبر ، ليعيش في حمايته ، ويتلقى منه الحياة والحركة . فالمكافأة والقصاص ، اعصابه ، وثراء جميع الافراد قوته ، وسلامة الشعب وظيفته ، والعدل والقانون عقله وارادته ، الوئام عافيته ، والفتنة مرضه ، والحرب الاهلية موته ثم أن هذه العقود بالتراضي بين الافراد التي ألفت وجمعت اجزاء جسده ، تشبه صوت الله عندما أمر بخلق الانسان .

وهكذا فان لفياثان العملاق هو الدولة ، وهؤلاء الأفراد هم مادة كيانه . لقد اعتصروا أنفسهم فى اهابه ، طائعين لا مكرهين ، لانهم رغبوا أن يصنعوه بفنهم من أجسادهم فقط : أما أرواحهم فلأنفسهم ، ولربهم . ومهما يكن من أمر نفوسهم ، فهم مدعوون الى الاندماج في الدولة اندماجاً تنفقد معه كل ارادة ، وليس أمامهم سوى الطاعة المطلقة . وليس من سيادة في نطاق الحكم الا للدولة . والكنيسة جزء من الدولة .

ولعله من الواضح أن الفيلسوف يصدر في احكامه عـــن وساوس ذاته ، ومخاوف محيطه ، فيجعل هدف الدولة الاول أن تحافظ على السلامة وتضمن الاستقرار الداخلي ، لتتفرغ الى مقارعة العدو الخارجي . والتاريخ ، لا يظلم (هوبس) اذ يلجأ بخوفه الى عملاق الدولة ، لأن كل كيان اجتماعي تتهدده الفتنة ويتربص به الاعداء ، لابد أن يتجمع ويحشد قواه ، ويتنازل عن كثير من حاجاته وحرياته ، ليضعها في خدمة الدولة ، مهما كان لونها ، ونوع الحكم فيها .

على ان الخوف يبلغ مبلغه في نفس هوبس ، فيذهب مذاهب عقلية مادية في تقسيم الانسان

الى انسان طبيعي ، وانسان اجتماعي . فالانسان في طبيعته ورغم عقله ذئب لاخيـــه الانسان شرس شرير ، لا يجتمع الا على نفع ، ولا يتقارب الا لدفع اذى ، فردي عريق في فرديته ، وهو اما قوي فيصرع ، او ضعيف فيتقي الاذى بالحيلة والخداع . أما وانه في صراع دائم مع سواه من امثاله ، الذين ينازعونه رزقه ومجالات حياته فانه لا مجال لزراعة ، او صناعة . أو علم أو أدب ، أو أي حياة اجتماعية ، ولا معنى للاستقرار والتملك ، (وكل شيء هو ملك المقتدر طالما هو قادر على الاحتفاظ به) . وبذلك يرفض هوبس نظرية ارسطو المشهورة بأن الانسان حيوان اجتماعي ؛ ويصر على ان الطبيعة لم تضع فيه غريزة الاجتماع ولا يجتمع الا بدوافع عقله وبحساب نفعه عندما يتهدده الموت والدمار ، فيمر مقسوراً من حالة الطبيعة الى حالة الاجتماع ، ويصنع بفنه ووعيه سلطة عليا يقيمها على نفسه ، بعقد يعقد بين كل فرد من الافراد ويتنازل الجميع لها عن حقوقهم الطبيعية ،فتغدو هذه السلطة او هذا الطرف الثالث كما يسميه جمعية كانت أم فرداً ذا سيادة عليا لا تنتقل ولا تتجزأ . لان العقد يتم بين الافراد انفسهم لا بينهم وبين الشخص الثالث المتنازل له ، عن كل حـــق ، وعن كل حرية يمكن ان تؤذي السلام . فالحقوق الطبيعة ، لا تبقى لدى الافراد ، لتكون حجة في تحديد السلطة المطلقة ، كما ارادها بعض الفلاسفة قبل هوبس ، ومن بعد ، بـــل هي تنصهر انصهارا تاما في ارادة الحاكم المطلق .

وان يكن من وظائف السلطان المطلق ، تسوية القانون ونشر العدل ، وتشغيل العاطلين عن العمل ، وصيانة الملكية ،وتأمين الرخاء العام ، وحماية الضعيف من القوي ، وتوزيع الاراضي على الفلاحين ، فان من واجباته ان يكون قوياً ابدا . فاذا ضعف ، او هزمه في حرب اعداؤه من الداخل ، كان ذلك المبرر الوحيد ليخرج المتعاقدون عن طاعته ،ولهم أن ينضموا الى صف عدوه وقاهره طالما انه قادر على تأمين حياتهم ، وضبط نظام مجتمعهم .

وهكذا فان جماع نظرية هوبس سلطان مطلق قوي ينال قوته وهيبته من أفـــراد الشعب المتعاقدين فيما بينهم ، لامن السماء ولامن الكنيسة ولا من سلطات غيبية . فكان أقوى الفلاسفة الذين فصلوا الدين عن الدولة . وجعل الملك تحت رحمة (القوة) وحدها اذا كان بها جديراً والا فان دمه مهدور ، وسلطانه زائل . ولقد قيل في هوبس يومئذ انه سوط الارهاب في زمانه لقد خافه الملوك ، ورجال الدين معاً ، فلحق به وصف هوبس الملحد، كما لحق بسلفه مكيافيللي وصف مكيا فيللي المجرم . ولكن الملوك وهم يأمرون بأخفاء كتبه ،كانوا يتناولونها، ليقرأوها

في سرهم وليتعلموا كيف يبرروا سلطانهم المطلق ، وإن باتوا يخافون على انفسهم من نقمة الشعب بعد ان زالت عنهم حماية السماء . ولقد كان هوبس اول فيلسوف ظهر على انقاض القرون الوسطى ، فبنى عمله السياسي على قواعد ثلاث هي قواعد الدولة الحديثة مهما كانت أشكالها : اولها فكرة الدولة كأمة واحدة ، وكوطن ، وكان التجمع القومي من قبل ان يوضحه هوبس موزعاً بين الافراد بالنسبة الى المدينة التي تطويهم جدرانها ، او الحرفه التى ينتسبون اليها ، او الدير الذي يلتفون حوله ، اوالبارون الملاك ، أو الملك والسلطة الدينية ، فنسفت نظرية هوبس كل هذه المؤسسات لتنشىء مؤسسة الدولة كأمه واحدة .

وثاني القواعد التي اطلقها هوبس هي (الفردية) فاعترف بقيمة الفرد ، وخطره معاً وان يكن قد البسه جلد الذئب بالنسبة لاخيه وجاره وأراد له التنازل الطوعي عن حريته في سبيل الأمن والسلامة وبحجتهما . وثالث القواعد : الاختصاص في الحكم ، وعلى ضوء هذه النظرية أخرج الدين من ادارة الدولة على انه غير ذي اختصاص . فالفرد يتوجه بوجدانه الى ربه عن طريق كنيسته ، ولكن ليس من شأن هذه المؤسسة الدينية ان ترى مصالحه الزمنية . وقد رأينا من قبل ما ترمز اليه صورة (لفياتان) وهو يمسك بيمناه السيف ، وبيسراه الصليب فاجتمعت له السلطتان الكبريان في عصر هوبس ، ومن تحت ، تجتمع في ظل العملاق كل رموز الدولة الأمة ، من قلعة الاقطاعي ، الى دير رجل الدين .. الخ .

من فلسفة روسو بعد هوبس :

بعد قرن كامل بمئة عام على الضبط ، يظهر الى العالم ، كتاب آخر . كان في تاريخ الفكر السياسي بارقة من بوارق العبقرية الفلسفية ، هو كتاب العقد الاجتماعي لجان جاك روسو ،ولقد اخترت الآن (روسو) اختياراً مقصوداً ،وبعد مئة عام بين لفياتان ، والعقد الاجتماعي لأن فلسفة الحياة الاجتماعية التي طمح الادباء الى وضعها في الاطار السياسي المناسب ، وأقول الانسب ، للانسان والمجتمع ، هذه الفلسفة ، لاتزال تفتش عن الحلقة المفقودة التي مر بها الانسان من حالة الطبيعة الى حالة الاجتماع ، وكان روسو مثل هوبس ، يقول بنظرية العقد أيضاً ـــ كحلقة المرور ـــ ولكن الزمن الذي مر بتجاربه واحداثه ، قد اضفى على عقد روسو ،الوانا من المعرفة الجديدة ، جعلته أعظم سعة ، وابعد طموحاً ، واكثر تعقيداً .

بالعقد الاجتماعي الذي يعقده كل فرد مع نفسه ، يتنازل عن المساواة والحرية ، ليتناولهما ثانية بين مجموعة اقرانه ، تحت ظل ماسماه روسو (الارادة العامة) . ففي ظل هذه الارادة

العامة ، يعطي كل فرد نفسه للمجموع ، ولا يعطي نفسه لاحد . وكل يتناول من الآخر ، ما اعطاه اياه بقدر متساو ، اذن فكل واحد يكسب بقدر ما يخسر ، وهو بالتالي مرتبط وليس بمغلوب وان يكن عنصر الحرية غير مفتقد في المجموع ، فان عنصر الطاعة متوفر في الوقت ذاته ، اذ بلا طاعة ، لا يقوم شعب ، ولا ذات مشتركة ، ولا عمل سياسي . ولقد دار روسو دورات عنيفة ، ومعقدة ، حول موضوع الارادة العامة ، والارادات الخاصة ، حتى ليظن انه لم يخترع هذا الاصطلاح ، الا لتحقيق المساواة التي ينشدها اكثر مما ينشد الحرية . وروسو ، الشاعر النقاد الحساس ابن الشعب احق من يشعر بفداحة الظلم الاجتماعي الذي يضع في الطبقة العليا ، اصحاب المصالح الكبرى ، والامتيازات من ارستوقراطيي زمانه ، وفي الطبقة الدنيا ، حشود الفقراء والمحرومين . وهو بالرغم من انه حاول بالتعقيد والتفاصيل المتلابسة الا ينكر حق الحرية على الفرد المسلوبة حريته الطبيعية ، في ظل الارادة العامة ، فقد أراد ان يؤكد المساواة دون ان يمس الحرية وترك تقريب الأبعاد بين المتخومين والمحرومين ، للسلطة الوسيط ، بين الافراد ، وبين الارادة العامة ، وهذه السلطة سماها الحكومة التي كان يكره ان يفترض مجرد وجودها ، ولكنها داء لاغنى عنه .

ثم اتى روسو بالقانون ، ووضعه فوق الهرم السياسي ليحقق المساواة ، ولينصف الفرد من طغيان الفرد الاخر في مجالات الحياة الاجتماعية ، وعندما تهبط به تأملاته من حالق المثالية الى حضيض الوقائع ، يروعه ان تصبح الدولة سوقاً ، لتجارة الحرية كما يقول : احدهم يبيع وآخر يشتري ، فقال اذا أردتم للدولة بقاء فقربوا مابين المنعم عليهم والمحرومين ، فلا يصبح مواطن بحريته قادرا ان يشتري حرية الآخرين ثم لايقول لنا كيف . وبأي اسباب يتم هذا التقارب بل أنه ليشعرنا بعجزه ويهدد الدولة التي لا تحقق المساواة بالانحلال ، وبانقلاب نظام الارادة العامة الى طغيان .

وبالواقع ان روسو ، كفردي متمسك بفرديته حاول بقوة المنطق المتدفق ، ان يجمع بين حسنات الحياة الفردية التي يعشقها كشاعر متأمل ، ومنافع التعايش المشترك وهي اعنف محاولات الانسان الفيلسوف ، والانسان الحاكم معاً ، فوقع في مزالج التناقض مرات ، وترك بعض الخيوط تنساب من نظريته على الأرض غير مرتبطة بسواها او بأي شيء .

فهو قد اعرض عن سهولة الحل الذي وقع عليه هوبس ، بتسليمه زمام الافراد المتعاقدين احراراً الى سلطان فرد ، لأن روسو يقوم بالاساس على كره الحكم الفردي والطغيان . وبذلك

يتصل بجذور الثورة الفرنسية التي عندما قامت بعد حين ، لم تر أمامهاسوى روسو كتاباً ناطقاً ، فأعلنت الجمعية الوطنية انها تمثل الارادة العامة ، والغت جميع المؤسسات والجمعيات على اعتبار أن الارادة العامة لا تتجزأ — وهي نظرية روسو — الذي لايسمح لارادات متجمعة ، أن تتناقض مع الارادة العامة الواحدة . ولقدكان الثائرون يمتحون من (روسو) لتوطيد الحكم الثوري المطلق ، كما كان الملوك يقرأون هوبس في السر ليجدوا لأنفسهم مبررات الطغيان .

لقد أراد روسو أن يعزز قوة (الارادة العامة) فجعل لها قوة السلطان المطلق ، وبرر لها القوة سلاحاً ، تضع به الجزء في خدمة الكل ، تماماً كما تعطي الطبيعة الجسد العضوي سلطاناً



مطلقاً على جميع الاعضاء — كما يقول — وهي نظرية فاسدة كما سنرى .

ثم يخشى الفيلسوف على الفرد أن تنعدم فرديته في ظل هذا السلطان المجتاح ، فيعود ليرد عليه حقوقه الطبيعية ، كانسان ، ازاء حقوقه الاخرى كانسان اجتماعي . فالفرد بهذا ، انما يعطي المجموع ، من أمواله ، وحريته وقوته ، ماهو ضروري للمجموع ويحتفظ لنفسه بما تبقى وبما هو ضروري لذاته . وكأن أحداً يسأل روسو المتشكك المتملص من تداخل شباكه بصعوبة : ومن يقدر هذا العطاء ، فيسارع الى الجواب وهو بعد حريص على سلطان الارادة العامة : أن السيد وحده ، حقيق بهذا التقدير .

من هذا السيد ، وما هي هذه السيادة ؟! كيف نعبر عنها بالحكم السياسي ؟!

جواباً على هذه الأسئلة ، يستعرض روسو أنواع الحلول ، وهو راغب في الأصل أن يحكم الشعب مباشرة ، فلا يفسده ، تدخل الوسيط . ولما كان لا بد للارادة العامة من ادارة وقد وضع لها تشريعاً عبقرياً عظيماً أي دستوراً عبر عن ارادتها — فان روسو يستعرض أشكال الحكم وهي معروفة في زمانه : فأما أن تكون الادارة للشعب او لأكثريته بالاقتراع . وهـــذه هي الديموقراطية ، أو تكون لعدد محدود وهذه هي الارستقراطية أو تكون لحاكم فرد يستمد الجميع منه أسباب السلطان وهي النظام الملكي وهـــو اذ يرفض الحكم الارستوقراطي رفضه حكم الفرد ، لايرضى أيضاً بالديموقراطية كحكم الشعب ، يشرع وينفذ معا . وكأنه في طموحه وارتفاعه ، ييأس من بلوغ وقائع الحياة هبوطاً دون أن يحطم مثاليته فيكتب وكأنه يصيح ألمـــاً : (اذا وجـــد شعب مـــن آلهـــة ، كان باستطاعتـــه ان يحكم نفسه حكماً ديموقراطياً) ثم يقول ان الشعب لايمكن أن يظل مجتمعاً في جمعية واحدة دائمة الانعقاد ، ليحكم ، وقد يصح ذلك في دولة صغـــيرة ، ذات تقاليد ساذجة ، وأفراد مزودين بالشجاعة والتسامح ، والا فالحرب الأهلية ، والاضطرابات الداخلية ، وهي التي يتضور روسو منها هلعاً مثل سلفه هوبس ، ومثله يشرع السلطان المطلق ، ووحدة الدولة ، ازاء تنازع الافراد وتقارع الارادات الخاصة

اذن لابد من التمثيل ولا بد من سلطة تنفيذية ، لايخضع لها الافراد ، انما يخضعون للقانون وحده ، الممثل الأسمى للارادة العامة . ولما كانت السلطة التنفيذية ، كما شاهدها روسو أمامه في جنيف حيث كان يعيش ، وقوامها المجلس العام المؤلف من مجموع المواطنين ، ثم المجلس الصغير المندوب للتنفيذ ، تحاول باستمرار الاساءة الى الأرادة العامة ، وتمتد على حسابها ، فقد قرر والتجربة أمامه ان مصير كل حكم سياسي الى هوان فزوال ، بالرذيلة التي تقرض فيه وهي رذيلة السلطان الذي لا يشبع سلطة وقوة ، حتى يموت بدائه ، كما يموت الجسد العضوي بالشيخوخة . ثم يحاول روسو ان يعالج داء السلطة ، باقامة سلطان الشعب مباشرة في جمعيات وطنية دائمة وهذا غير محتمل الامكان في كل مكان ، لأن الحرية ثمرة كما يقول — لاتعيش في كل اقليم ، وهو يردد بذلك قول سلفه مونتسكيو . ويحاول روسو ان يعالج الداء فيعود الى التاريخ مستنجداً ، واذا به مع سبارطة ، مع القضاة يفصلون بين الحكومة ، والسيادة . — واذ به مع روما مع قضاة الشعب ، لايشرعون ولا يحكمون ، ولكنهم يتصرفون كيفما يشاؤون في الحكم والتشريع لتسوية النزاع بين الشعب والحكومة . وأخيراً فها هو في روما ثانية مع الدكتاتور ، الذي يفصل في

النزاع ، عندما تكون سلامة الدولة في خطر ، فيقف روسو معجباً بالليفياتان المنقذ ، لأن السلامة الوطنية عنـــده فوق كل اعتبار ، ولا بد ان يوجد ذاك الفرد على هامش العقد الاجتماعي ، ليتولى في ظروف استثنائية سلطات استثنائية . ويبرر روسو هذا الاستسلام بعد ماصدعه البحث والتنقيب. بأن الشعب لم يتنازل عن إرادته العامة ، وهل يريد السيد أن تهلك الدولة ؟ !

فالعبرة في روسو ، ليست النهاية التي بلغها ، وقد أعلن عجزه عن بلوغها ، واستسلم لليأس عندما نادى بشعب الديمقراطية ، شعب آلهة ، ولكن العبرة في هذه الدورة الكاملة التي احاط بها ، بكل مفاهيم المجتمع فكانت مبادئه ، بصرف النظر عن وهمية العقد الذي أمر الانسان من حالة الطبيعة الى حالة الاجتماع ــ وهي مبادىء سيادة الشعب ، وتعبير القانون عن هذه السيادة ، ووحدة الدولة ، وفضيلة الانسان ، المكتسبة في الوسط الأجتماعي بتوطيد الحريـــة والمساواة ، والشك في خلق السلطان يحاول ابداً ان يسيء استعمال مابين يديه من سلطة ، والحدود التي تخيلها لانقاذ سيادة الشعب مرة وسلامة الدولة مرة أخرى كانت هذه المبادىء اسساً لبحوث ضافية في التفكير السياسي ، وعلم الاجتماع كما كانت منطلق ثورة فكرية اجتاحت اوروبة ، وكانت فرنسا في البدء مسرحاً لها ولقد جاءت الثورة الفرنسية على صورة روسو ومثاله مشوشة مضطربة متدفقة فكأن الفيلسوف يصفها بواقعها عندما كانت وساوسه تصور له كيف يحكم الشعب مباشرة في دولة كبيرة ثم كيف ينهار الحكم في حروب أهلية ساحقة .

سيداتي سادتي !

عرضت لكم نموذجين من نماذج نظرة الفلاسفة والمفكرين الى الدولة ، في القرنين السابع عشر والثامن عشر الأول منهما ــ نموذج للتفكير الفلسفي الواقعي ــ وقد مثله هوبس الانكليزي حتى أصبح فيما بعد مدرسة للواقعية السياسية ، والثاني منهما نموذج للتفكير الفلسفي المثالي ، وقد مثله روسو الفرنسي . وغدا في تاريخ الفلسفة وبحث انظمة الحكم السياسي مدرسة كبرى تتلمذ عليها كثيرون من مفكرين ورجال دولة ، وظلوا يبحثون ومازالوا ، في كيفية اخراج هذه المثالية الى نطاق العمل ، وكيف يمكن ان تصبح الارادة العامة واقعاً ، وكيف يمكن ترجمتها الى نظام حكم .

ورأيتم معي ـ في روسو على الاخص ـ كيف تترامي نجوم المثاليات على الأرض حصـــى جامدة وقد غادرت الأرض قبل قليل كالصواريخ ، وكالاسهم النارية في اعياد الليل ، تنطلق ناراً وتفرخ في الفضاء نجوماً وألوانا تشرئب لها الاعناق ، وتتابعها الابصار ، ثم لاتلبث أن تلوي

الى الارض منطفئة رويداً رويداً فلا تبلغها الا مادة باردة . رأيتم هذا ، ولعلكم ترون معي ان هذه الحجارة الساقطة من الابراج المنهارة لاغنى عنها لكل من اراد أن يبني شيئاً في التفكير السياسي الحديث ـ فالحجارة ذات جوهر كامن ، وان تكن هندسة البناء قد خان مهندسها الفن واي فن امنع على الانسان ، منذ ارسطــو الى كارل ماركس من فن بناء دولة ، وتشييد ملك على أساس العدل والحرية واقامة التوازن بين حقوق الفرد وسلطان الدولة .

وانني لأرجو أن تكون هذه النماذج والأخيلة من روسو وهوبس وراءنا أبداً ، ونحن نوغل في بحث الدولة صعداً حتى منتصف القرن التاسع عشر ، في وسط أوروبي مرت على مسارحه أكبر تجارب الحكم ومدارس التفكير السياسي في موضوع الفرد والدولة .

يوصف النصف الأول من القرن التاسع عشر وهو على بعد مئة عام من روسو ، بأنه عصر الحرية الفردية الغالبة ، ومن ادبائه وكتابه ، البارزين جون ستوارث ميل ، وهربرت سبنسر . ومن نظريه في الحقل الاقتصادي ، جيريمي بنتام ، وأدم سميث . ويوصف النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى الحرب الكونيـــة الاولى ، بأنه عصر انتكاس الحرية الفردية ، لمصلحة المجموع . ومن الجدير ذكره في البدء وفي كلا الحالين ان علم الاقتصاد دخل الحياة العامة مع القرن التاسع عشر ، فبدل المفاهيم ، وطور الأحداث فالعامل الاقتصادي في مطلع القرن الذي اتخذ له (حرية العمل) شعاراً كان بالواقع في أساس اعتناق مبدأ الفردية السياسية ، وهكذا تأثر هربرت سبنسر (الفردي) ، بأدم سميث الاقتصادي وبالمفهوم السائد آنئذ عـــن الحرية الاقتصادية الملقى زمامها بأيدي الأفراد ، بعيداً عن تدخل الدولة . كذلك فان الجنوح الى تقييد الحرية الفردية لمصلحة المجموع ، والى دراسة نشاط الفرد من ناحية طغيان حريته على وسطه ، كان ضرورة ملزمة أقرها العامل الاقتصادي نفسه ، بتفاقم شأن الصناعة وبظهور العامل ، الى جانب رأس المال ، وتعقد أسباب الحياة الاقتصادية ، واختلال التوازن الاجتماعي بين العمل والدخل ، وبين العامل وصاحب المال : قيم اجتماعية جديده ، لابد من مجابهتها بفلسفة جديدة .

ويحسن بي قبل أن أستطرد في شرح المبادىء الفردية والمبادىء الجماعية التي شب اصطراعها ولا يزال منذ أواخر القرن التاسع عشر ، أن أذكر بايجاز أن الظاهرة الكبرى التي طغت على هذا العصر ، وميزته عن عصر روسو ، هي ظاهرة العلوم الجديدة ، التي كان لامناص للادباء والفلاسفة من الرجوع اليها ، والمتح من اصولها . وكان أول هذه العلوم ، علم الحياة البيولوجيا ، والاقتصاد السياسي ، ثم انضم اليها علم التشريع ، ووسع علم النفس دائرة الفلسفة السياسية توسيعاً كبيراً واخذ الباحثون

يحللون على هديه مظاهر الحياة الاجتماعية ، وبواطنها الخفية . كذلك تكشفت مجاهل التاريخ للباحثين ، فأخذ اصحاب النظريات الفلسفية يستلون منه مايشاؤون من أسلحة ، لتدعيم نظرياتهم ، والتاريخ ترسانة من الاسلحة ، تعطي كل خصم سلاحاً مناسباً يقارع به خصمه . وأتى علم السلالات البشرية – الانتروبولوجيا ، فأضاف انواراً كشافة على أعمــاق التاريخ البعيدة وكان لابد للفيلسوف السياسي ان يلم بالاكتشافات الجديدة المتزايدة عاماً بعد عام ، وان يصوبها على سلوك الانسان السياسي ، وكان لهــذه البابلية محاذيرها في أن الفلسفة الاجتماعية أخذت في البدء تستخدم أدلة البيولوجيا ، او السيكولوجيا ، والانتربولوجيا لتفسير بواعث السلوك الانساني في الحياة الاجتماعية على أساس العلم الواحد منعزلاً عن الآخر ، كأن ترد كل جميع مظاهر السلوك الى بواعث باطنية بحتة ، أو تزعم بأن طبيعة الدولة كطبيعة الجسد بيولوجيا ، يتحرك أفرادها كما يتحرك أعضاء الجسم الواحد ، أو يوضــع العامل الاقتصادي في المقام الاول من بواعث السلوك ، أو يردف الى آخر العوامل المؤثرة تم استطاعت الفلسفة الاجتماعية والأدب الأجتماعي عامة ان يتحرر من هذا التجاذب ، ليجزم أن الطبيعة الخلقية في الانسان لايمكن أن تعزل في فراغ ، بل هي وطيدة الواشجة بالتكوين الطبيعي ، وبالحافز الاقتصادي وبالوضع الحقوقي ، وبالغرائز الاجتماعيــة ، وبالمؤسسات التي عرفت في مجاري التاريخ ، والتي كانت في منابعه فلا يمكن للتفكير السياسي أن يحجب نفسه عن هذه الحقائق كما انه لايمكن لفرع واحد من هذه العلوم أن يتفرد أو يتقدم على سواه في ايضاح واقع المجتمع الانساني وتقدير قيمه فهو مع سواه حزمة أنوار ، ووحده ليس الا دليلاً مضللاً .

من هنا نشرف على ساحة الصراع في ميدان النظريات الاجتماعية والسياسية ، لنرى التناقض في استخدام مفاهيم العلوم الناشئة بقصد الانحراف بهــذا الأدب عــن طريق البحث ، الى طريق الحصر والالزام أو التوجيه . فمنذ أخــذ العامل الاقتصادي يستوى بأثره الواسع في الحياة العامة نشأت بعلم الاقتصاد مدرستان : المدرسة التي تستند الى الاقتصاد لتجعل من مبدأ العمل الحر – مبدأ سياسياً ، والمدرسة التي استندت الى نفس العامل ، لتجعل من تدخل الدولة في عمل الأفراد مبدأ سياسياً أيضاً .

ولقد دارت المدارس الفلسفية كلها في القرن التاسع عشر حول موضوع الفرد والدولة ، مدفوعة بالحافز الاقتصادي الصناعي وبالحافز الاقتصادي التوسعي معاً ، اذ عقبت تضخم الصناعة ، حاجة تلازمها وهي تصريف الانتاج . وانتقلت النظرية من ميدان حرية العمل ، الى ميدان توجيه العمل ، ومن

فكرة عدم التدخل الى فكرة التدخل ، ومن حدود الحاجة المحلية الى آفاق العالم الخارجي وهكذا يرافق نظرية التدخل مبدأ التوسع لايجاد أسواق خارجية ومنه انطلق التوسعيون والاستعماريون الى نظرية حاول مخترعوها ان يضعوا لها قالباً انسانيا ، وما هي الا حجج هزيلة للتدخل الخارجي فسموها (عبء الرجل الأبيض) وواضح من هذا الاصطلاح ان الرجل الابيض انما يتوسع في آسية وأفريقية حاملا رسالة في التمدين ، وليس فتح الاسواق الجديدة للصناعة المتضخمة هدفا له . ولهذا الاتجاه موضوع آخر . يحتاج الى فصل خاص يخرج بنا عن نطاق بحثنا بالرغم من اتصاله به ، فحسبي الاشارة اليه عبوراً ونحن لانزال في موضوع الدولة والفرد وحدود كل منهما في تماسه مع الآخر .

اذن فالعامل الأقتصادي ، كان مبعث ثورة جديدة في العالم ، لم تقتصر على تطوير نظرية الدولة والفرد فحسب ، بل تعدتها الى نطاق عالمي اوسع ، هو نطاق الدول كلها ، والانسانية جمعاء . ومن هذه المنافذ تدق الاشتراكية ابوب اوروبة دقا عنيفاً ، بدأ من الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، لتؤلف من العمال ، جامعة واحدة تناهض جامعة رأس المال ، وتذهب الى ابعد من ذلك ، فتشرع الجامعة الانسانية للعمال اينما كانوا ، ضد رابطة رؤوس الاموال اينما كانت ، لان الحدود القومية ، غدت مع أوج عصر المواصلات اضيق من ان تتسع لمعالجة المعضلات الكبرى على صعيد الدولة الواحدة ، وكانت نظرية كارل ماركس ، محاولة جديدة لاعادة النظر في مفاهيم التاريخ ، والاقتصاد معاً .

وعلى ضوء النظرية الماركسية والنظريات الاشتراكية السائدة في اواخر القرن التاسع عشر التي كان فيها لستورات ميل الانكليزي ولهنرى جورج الامريكي ، وبرودون الفرنسي ، بالاضافة الى ماركس ، دراسات وتوجيهات قوية التأثير ، نشأت في اوروبة مدارس واحزاب اشتراكية متعددة ، مهما اختلفت فانها على وفاق على انهاء عهد الحرية الاقتصادية . لان هذه الحرية الى جانب الملاكين واصحاب رأس المال ، غدت عبودية وشقاء للملايين من الفلاحين والعمال . فاذا كانت الحرية ، تتضمن معنى القدرة على استعمالها ، فان الحرية في ظل الاقطاعيات الكبرى والاموال الضخمة ، اصبحت نظاماً سياسياً يضع الحرمان مع العجز الى جانب الاكثرية في حكم يزعم لنفسه عنوان الديموقراطية اي حكم الشعب .

فالاشتراكية الماركسية ، تدعو الى الأنقلاب العام ، بلا تدرج ، لأن وسائل الأنتاج يجب أن تكون ملكا للمنتجين وهم العمال ، فلزم أن تكون الحكومة منهم ولهم . والثروة التي أنتجتها

الجمعية العامة يجب أن تكون لها كلها ــ وهنا نلمح مثالية روسو بوضعه الارادة في رأس الجهاز السياسي ــ والشعب في قمة الحكم بلا وسيط .

أما الاشتراكيات الوطنية أو العالمية ، غير الثورية ، فقد دعت الى تمثيل القيم الاجتماعية الجديدة ــ كما يسميها الفابيانيون ، جماعة برناردشو في بريطانيا ، عن طريق النظام البرلماني ، واللامركزية في الحكم ، وتتولى المجالس البلدية كثيراً من سلطات مجلس النواب المركزي . ولبست كل اشتراكية محلية لبوس الوسط وحاجاته قياساً على القيم الاجتماعية الجديدة ، فانصب هدف الاشتراكية البريطانية مثلا على دخل الأرض ، لا على رأس المال ، وطالبت بجعل الأرض كلها ملكا للدولة ، لتوزيع الدخل والعمل توزيعاً عادلاً ــ باعتبار أن الملكيات الكبيرة ، انما تحصل على (دخل غير مكسوب) أي غير محصل بالعمل .

وهكذا نرى أن علم الاقتصاد السياسي قد ولد انماطاً واشكالاً متضاربة لسلطان الدولة في تنظيم او قلب الأوضاع الاجتماعية ــ لاتزال موضع جدل ، وصراع وتجارب كبرى ، منها تلك التجربة الضخمة التي تجري بين شعوب الاتحاد السوفيتي ، ومنها تجارب ذهب ريحها في ايطاليا وألمانيا ، حيث كانت تقوم في ظل مايسمى بالاشتراكية الوطنية ، أو الاشتراكية السنديكالية .

سيداتي وسادتي !

لعلكم ترون معي أن هذا (اللفياتان) العملاق الذي وضعه (هوبس) ، غدا مع الأيام ، أكثر تعقيداً وهولا ، وغدت الحاجات الاجتماعية المتراكبة تدعوه الى ما هو أثقل من السيف بيمناه ، والصليب بيسراه ، وسنرى الآن على ضوء العلوم الجديدة ، كيف تغدو صناعات اللفياتان في العالم ، وهي فن قائم بذاته ــ من أمنع الصناعات على ذكاء الانسان فلنلق نظرة خاطفة على التفكير السياسي في القرن التاسع عشر ، تتنازعه تيارات متضاربة كل منها يدعي نسباً عريقاً للعلم .

كان هربرت سبنسر مؤلف كتاب (الفرد ضد الدوله) واحد رواد المدرسة العلمية في التفكير السياسي الأروبي أعنف رجال هذه المدرسة الذين استندوا الى العلم ، في التفريق بين وظائف الدولة مع تحديدها تحديداً ضيقاً ، وبين وظائف الفرد في المجتمع باطلاقها اطلاقاً ، ولذلك اخترته دليلاً في هذه الدراسة . ولقد طفق سبنسر يرسم نوعاً من المشابهة بين جهاز الانسان العضوي ، وجهاز الدولة أوصله الى الجزم بأن الدولة مؤلفة من جهازين : عصبي ، وغذائي . فالأول للحرب فقط . والثاني للحياة العامة بمعنى أن كل عضو يعيش بما يعمل ، وغذاؤه على قدر وظيفته ، فالجهاز الغذائي لايتلقى أوامره من الجهاز العصبي الا في حالات تمس سلامة الدولة ، وأهمها

الحرب أو اتقاء شر حرب عدوانية . وعلى هذا فالدولة يجب أن تبقى بعيدة عن ممارسة أية سلطة توجيهية في شئون المعارف والصحة ، والدين والتعايش المشترك . . وما الى ذلك .

كذلك استعمل رجال هذه المدرسة العلمية في التفكير الفلسفي ، المبادىء السائدة في علم الحياة ، لتبرير التنازع وبقاء الانسب ، كقاعدة للحياة الاجتماعية ، فما على الدولة اذن الا أن تقيم مسرحاً بحواجز من حبال حوله ، تترك للناس فيه حرية الصراع المطلقة ، ليتغلب من أوتيت له الغلبة ، ولن يرفع يده الى فوق في نهاية الدورة الا الاصلح والأنسب .

وإنطلق أكثر أنصار الحريه الفردية ، في أوروبة وعلى الاخص بريطانيا ، من نظرية حقوق الانسان الطبيعية ، التي يدعمها علم الحياة - كما يقول سبنسر - لتثبيت مبدأ حرية العمل الاقتصادية بمعنى أن الفرد ، وان قبل حياة الاجتماع والزم نفسه بضروراتها وقيودها رغبة في التعاون ، والعمل المشترك للخير العام ، فهو لا يفقد كل حقوقه ، وعلى الاخص حقوق التملك ، وحماية الملكية كذلك فهو لم يقبل على حياة المجتمع مختاراً بقصد انشاء الدولة ، بل لتحديد نطاق شمولها .

وواضح من هذه النظريات السياسية التي تعالـــج على ضوء العلم ان العلم سخر تسخيراً لاستنباط المبررات لمبدأ سياسي مقرر مسبقاً . ومن هذا الاستنباط ، يدرقون التهاتر في الحجج المدعومة بالعلم فيصبح علم الحياة سلاحاً بيد النظرية الفردية والنظرية الجماعية معاً . فان يصح تشبيه الجسد الاجتماعي بالجسد الطبيعي ، فان نظريات سيادة الدولة أولى أن تستمد مبادئها من هذا التشبيه ، لأن الاعضاء في الجسد لاتشكل وحدات ذات ارادة ولأنها تعمل للمجموع ، ولا وجود لها مستقلة عنه . فالقول بالتركيب العضوي الاجتماعي ، يجعل الافراد في الدولة كالاعضاء في الجسد خاضعين لمركز اعلى يوجه فعالياتهم ونشاطهم . وهذا واضح البطلان لان الفرد ابداع ، والعضو وظيفة

كذلك اذا صح تطبيق مبدأ تنازع البقاء وبقاء الاصلح على الافراد في مجتمع منظم ، لاعمل فيه الدولة الا مراقبة الصراع ضمن شريط الحلبة فان القائلين بمذهب القوة دون الحق اولى ان يفيدوا من هذا التطبيق لانه في مذهب القوة والقسر لايبقى مجال لان يتمتع اي انسان بحريته وبحقه في المساواة مع مواطنيه امام القانون . وان صح تطبيق طبيعة الصراع ، وبقاء الاصلح بين الافراد ، فمن شأنه ان يطبق في مجالات عالمية اوسع بين الدول ليذهب ضعيفها ويبقى قويها كما تهدف اليه تماماً نظريات التفوق والعرق ، والسيادة العالمية ومن الطريف في باب هذه المفارقات ان نظرية الحقوق الطبيعية ، تناولها في نفس العصر ، سبنسر الانكليزي ، ليدعم بها

حرية الفرد الاقتصادية والفكرية وهيغل الالماني ، ليبلغ بها ذروة التمجيد للفرد ثم يتناولها من بعده في خط منحن ليبلغ تخصيص (الذات) بنوع من العبادة لاتلبث ان تؤلف الحجر الاساسي في بناء الاشتراكية الالمانية التي تحقق - كما تقول - ذات كل فرد الماني ، بتحقيق الذات الجرمانية الكبرى ، وفي ظل هذه الغيبية ، توطأ حقوق الفرد الاقتصادية والفكرية ، لأن الذات العليا تولت عنه العمل والتفكير معاً . ومنذ زمن ليس ببعيد قال موسوليني : ان الأنسان حر في المجموع ربه والمجموع وحده يستطيع ان يكون دولة ذات سيادة ، لاتتسامح ازاء اي نقاش أو رقابة .

ويجدر بنا هنا أن نذكر بأن الخط غير المستقيم الذي أوصل هيغل بهتلر وموسوليني ، كانت نقطة الانطلاق فيه فلسفة روسو في عدم تجزئة (الارادة العامة) التي أراد لها سيادة مطلقة ، وعجز عن تصويبها تصويباً واقعياً ، فجاء بعض الفلاسفة بعده ليبدأوا من حيث انتهى هو — ويجعلوا من جهاز الدولة تجسيداً للارادة العامة .

كذلك ، بدأت النظريات السياسية عملية التضليل في استعمال علم النفس ، وشرح تأثير الغرائز الفردية في الحياة الاجتماعية ، بقياس الأدنى على الأعلى ، أي بقياس النفس الفردية على النفس الجماعية وبقياس الحياة الحيوانية على الحياة الانسانية . فتوصل رجال هذه المدرسة - وأكثرهم فرنسيون - تارد ، باجيهو ، دوركهايم ، غوستاف لوبون - الى نتائج نهض لها خصوم يقارعونها في ميدان علم النفس ايضاً ، كما حدث في ميدان علم الحياة . مثال ذلك ان يدرس المجتمع على اساس غريزة التقليد فالتقليد كما يقول باجيهو - هو منطلق تكون العادات في مجتمع ما فالصفات الغالبة هي التي يجول حولها الناس ليقلدوها ، ومازال هكذا ، حتى تحل عادة محل عادة ، وتعامل مكان تعامل وبذلك يغلب التقليد على الأبداع في حياة الانسان المتطور ولو ان هذا صحيح ، لما خرج الانسان بالتقليد عن مدارج الحيوان عبر ملايين السنين .

كذلك انطلق البعض من الابعاد البعيدة من تكون الجماعات البشرية ، ليدرسوا السلوك الانساني على ضوء علم النفس ، ولم يأخذوا بالاعتبار ان البسيكولوجية البدائية لايمكن ان تسري مبادئها على جمعية منظمة حديثة غدت فيها الحياة مجموعة مركبة من العقد ، مهما يكن تأثير الغرائز واللاوعي ، في السلوك الانساني مثال ذلك ايضاً ان أرباب مذهب اللذة الذين يعتبرون اللذة غاية تنشد لذاتها ، ينكرون تحت تأثير التحليل النفسي - أن يقصد الانسان من وراء أي عمل سوى سعادته وسروره ولذته ، مهما كانت مظاهره قادرة على طي الهدف البعيد . فاذا قيل ان الانسان قد تدفعه

حماسته للحقيقة ان يذهب الى المحرقة في سبيلها ، وأن المؤمن بعقيدة، أو فكرة، انما يتحمل من اجلها انواع الاضطهاد والعذاب ، أو أن شخصاً عادياً يشاهد طفلاً يغرق في النهر ، لايتردد عن القاء نفسه في الماء لانقاذه ، كان الجواب أن الشهيد الذي يتوجه الى المحرقة أو المقصلة ، انما يجنب نفسه عذاباً كبيراً ، اذ يشعر بأن العار الذي سيلحقه من خيانته مبدئه ، اوحقيقته ، هو أعظم من عذاب النار . وأن الذي يلقي بنفسه لينقذ غريقاً ، انما يسعده أن يرى أهل الطفل حوله سعداء ، وكل له اسلوبه في متابعة اللذة . وواضح ان انكار الصفة الخلقية السامية على الانسان وتحليل سلوكه على اساس ابتغاء النفع أو اللذة ، هو انكار للقيم المجردة التي يمكن للانسان وحده أن يتابعها بين مخلوقات الطبيعة . والعلم عاجز بعد عن أن يحلل بقواعده الجامدة الوان النفس الانسانية مهما بالغ في ارجاعها الى اصولها واعماقها ، كما هو عاجز عن ان يدرك بالمحسوسات سر الجمال في لوحة من لوحات رافاييل ، وأن يضبط بمقاييس وأوزان روعة بيت من الشعر أو مقطعاً من سمفونية .

ان الفلاسفة ، وبعضهم علماء مثل توماس هكسلي ، لايحجبون ابصارهم عن اضواء العلم ليزجوا سلوكية الانسان في ميثولوجيات افتراضية ، ولكنهم ينكرون على المتمذهبين بالعلم والمسخرين قواعده وقياساته ، تطبيق سنن الطبيعة الكونية على الانسان الاجتماعي تطبيقاً شاملاً ، صحيح أن الانسان هو عبد الطبيعة ، ولكنه سيدها أيضاً ،ولقد وضعه مصيره بين عجزه وطموحه ، - كما يقول هكسلي - لتكون حياته أبدا حياة كفاح ، وشقاء وتفوق فاذا كانت الطبيعة تنادي بتنازع البقاء وبقاء الانسب، فهو يدعو الى التعاون في سبيل أنسب بقاء ، لأكبر عدد، ففي العالم الذي ينشده ، لايبقى الانسب بجسده وقوته ، وبطشه ، بل بذكائه وعقله وهكذا يحاول الانسان وقف عمل الطبيعة الكونية ، لتعمل القيم الخلقية ،ويحول التنازع من اجل البقاء - كما يقول هكسلي أيضاً - الى تنازع من اجل وسائل البقاء ، وهذا النوع من التنازع ، هو الذي يفتح الأبواب لمساهمة الفكر البشري في تحسين نوع البقاء . والا فبماذا يتميز الانسان على الحيوان . وشريعة المدنية عن شريعة الغاب ؟ !.

ايها السيدات والسادة !

يروي هيرودتوس ، ابو التاريخ ،وينقل عنه داروين ، انه في الحرب القبلية القديمة ، كان الابناء المحاربون يحافظون على اطفالهم ونسائهم ، ويقتلون آباءهم ، أو يأكلونهم ، لأن الاولاد والنساء ، حاجات البقاء بعد التنازع ، ولأن الاباء الشيوخ عبء لامناص من اطراحه في المعركة

التي تقرر البقاء او عدم البقاء - بهذا تقضي الطبيعة . البيولوجية

ان صحت الصورة ، ولكن صحيحة ، فانني افضل عليها صورة الشاعر فرجيل في (الاينياد) وقد مثلت البطل يمشي الى الامام ، يقود ابنه بيمينه ؛ ويحمل اباه على كتفيه . انني لا انكر بعض الحقيقة في صورة البيولوجي ، ولكن بأي حجة استطيع أن انكر وجه الحقيقة في صورة الشاعر ؟ ! بل أي علم يمنعني من أن أرجح واقع هذه الصورة على تلك ؟ !

الجواب يسير . ان العلم يقف عند حدوده في اجواء الانسان العليا ، ويتجاوز اختصاصه عندما يخرج من القيم المحسوسة الى القيم الوجدانية والخلقية ان العلم بكل ما هيأ للانسان من وسائل الثراء والقوة والرخاء ووسائل الارهاب ، والفتك والتدمير ، ليس خيراً مجرداً ، أو شراً مجرداً آفا ، لعلم لا يأبه لما يمنح من النتائج ، ولا العلماء ينظرون الى ماوراء حقائق العلم ، فلم يخطر ببال داروين ، أن يضع علمه في خدمة نظريات الحرية او الطغيان او الخير او الشر اطلاقا . فاذا اسلمنا بحقيقة حياد العلم ، وجب ان نترك تحديد ميدان الخير والشر ، والنفع والضر ، لمهندسي الحيـــاة البشرية ، وهم الباحثون والمفكرون ، الذين ان تجردوا في ميدان البحث واحاطوا به ، كانوا اولى من يوجه الى استعمال اسباب العلم حيث يجب ان تستعمل في حقل الخير العام لأن هذا النوع من الأدب وهو أدب الثقافات الانسانيه مجتمعة قادر وحده ان يلقي نظرة شاملة على البرج الضخم من جميع جوانبـه . كذلك يجب ان نعرض عن الفلسفة التي تتخطى حدودها ، لتعتدي على حقائق العلم ، وفي الوقت نفسه ، يجب ان نسلم بوجود حدود للعلم في دراسة سلوك الانسان الاجتماعي ، ونظامـه السياسي ، لا يمكنه ان يتعداها الا عاثرا .

وان صح هذا ايضا ، فاولى ان يكون صحيحا عندما يتصدى فرع واحد من فروع العلم ، كالاقتصاد ، او علم الحياة او علم النفس منفردا ليستبد في تعليل سلوكية الانسان المتطور .

سيداتي سادتي !

رأينا معا ، في عرض سريع اعترف بقصوره عن الاحاطة — لأن الموضوع اجل من ان يحصر بين دفتي محاضرة — كيف عالجت الفلسفة الاجتماعية والسياسية ، موضوع الفرد والدولة عن طريق (هوبس) و (روسو) وكيف تناولت المدارس العلمية الحديثة هذا الموضوع الآخذ بالتوسع ابدا ، عبر القرون الثلاثة الاخيرة ، وان تكن الفلسفة اليونانية قد ارست قواعده منذ اربعة وعشرين قرنا . وقد رأينا معا خلال المدارس والنظريات والمذاهب ، وعبر الاحداث الانقلابية فى القرن التاسع عشر ، واهمها الحدث الصناعي — ان مرد الموضوع الى نقطـــة

البداءة فيه ، وهي ان الانسان اراد ابدا ان يصنع بنفسه دولة صناعة فنية بارعة — كما يقول هوبس — فماذا يعطيها ، وماذا يأخذ منها ؟! وماهي حدوده وماهي حدودها ؟! وكيف يوفق بين مصيره كأنسان ومصيره كمواطن ، وعضو في مجتمع ؟! ، اي جزء من نفسه اسلمه للدولة ، واي جزء منه اعتصم به عزيزا منيعا ؟! هل يستطيع أن يسيطر على الالة التي اخترعها لنفسه ، ام ان الامر مصيره الى اختلال التوازن بين الدولة والانسان ، ولابد له من ان ينهار في عبادة العجل الذهبي ؟ وهل من سبيل لانقاذ الانسان المغلوب على امره . وماهي ؟! سنحاول الجواب بايجاز ضمن حدود ادب المحاضرة — اذ صح التعبير والمشقة كل المشقة في التزام هذا الأدب .

لقد رأينا هوبس ، يعطي الدولة كل شيء ، لأن الخوف في قلبه ، والقلق يستبد بتفكيره . فبنا الدولة على أساس الامن الداخلي ، والسلامة الخارجية ، وهو اساس لايزال الآن وسيبقى ابداً من وراء كل بناء للدولة ، تمزقها الاضطرابات ، ويهدد سلامتها العدو . ففي جو القلق والخوف لامجال للتجربة الفردية ، فلا مجال اذن للحرية نفسها ، فالحرية مقرونة بالقدرة على التجربة لذلك نمت الديموقراطية التطورية ، وعاشت ايامها الحافلة في بلاد مثل بريطانيا ، وامريكا وسويسرة ، حيث احاطت نفسها باسباب السلامة والعزلة ، وافسحت المجال ، لصراع الافكار والاراء والتفاعل الاجتماعي على رحبه . فصراع الأنسان الحديث ضد الحروب انما هو بالاصل صراع ضد القوى التي لاتحتجز حريته فحسب ، بل تلجم تفكيره ، وتهدر قيمته كانسان وتحول دون تعاقب التجارب ، في سبيل حياة افضل لاتقوم على السيف . فالحروب عامل رجعي في سير الحضارة ، يعود بها القهقرى الى عملية الصراع والانتخاب الطبيعي ، بينما يتولى العقل الانساني ارادة الانتخاب ، والتطور ، ليقرر وحده مصير الانسان على ضوء القيم . لا على ضوء السنن الطبيعية .

هناك حالة ثانية غير حالة السلامة الخارجية المهددة تبرر تدخل الدولة وذلك عندما تنشأ قيم اجتماعية جديدة ، لاطاقة للفرد ، او لمؤسساته في معالجتها وتسويتها ، بحيث يغدو عجزه سبيلا الى حالتين : اما الفوضى او حكم الطغيان . مثال ذلك نشوء (العمل) في القرن التاسع عشر كقيمة اجتماعية جديدة ، الى جانب رأس المال ، او ضد رأس المال ، وواضح ان قفزة العمل الى ميدان الاقتصاد ، قد بدلت الى حد بعيد كما سبق وعرضنا مفاهيم الحرية . فالمالكون سعداء يدافعون عن حريتهم وليس عن فكرة الحرية . فاذا أتسعت الهوة بين المحرومين والمالكين ، أختل التوازن الاجتماعي ، وضاعت قيمة أساسية من قيم الدولة . وقد كتب (توكفيل) فيلسوف الحرية

الامريكية قائلا ان روح الديموقراطية في هذا العصر هي الزحف المشترك نحو التساوي في الانتفاع من نعمة الحرية .

كذلك فان بين القيم الاجتماعية الجديدة التي اسلم الفرد أمرها الى الدولة بلا تردد ـ او سلم بهـــا نظرياً على الأقل ـ منذ ان ذرت الاشتراكية ، هي قضية الدخل غير المكسوب التي سبق ان اشرت اليها . وهي قضية المئات يجوعون ، اوهم دون مستوى العيش اللائق بكرامة الأنسان، بينما يعيش سواهم من الملاكين من دخل لم يكسبوه بجهدهم . وهنا تدخل الدولة ـ والفـــرد عاجز ـ لتجعل الارض ملكا لها ، وتعطي لها قيمة اجتماعية جديدة . وما يقال في توزيع ثروة الارض ، وثروة العمل ، من حيث الدولة واعتداؤها على حرية الفرد ، يقال في نشر التعليم ، وصيانة الصحة العامة ، وتنظيم مواصلات الدولة . فاذا تفشت الأمية في مجتمع أصبح التعليم قيمة اجتماعية، للدولة مبرراتها في معالجتها مباشرة . واذا انتشر وباء بنتيجة العدوى والأهمال ، عمدت الدولة الى مايشبه النظام العسكري لمكافحة الداء الوبيل . كذلك فان المواصلات في العصر الحديث أصبحت من القيم الاجتماعية الجديدة التي يعجز الفرد عن التصدي لها أو التفرد بها فبادرت الدولة الى تنظيمها .

فاذا كان المبدأ المقرر لحياة ديموقراطية ، يحكم فيها الشعب بأي واسطة من وسائط الحكم الا تمس حريته حرية الاخرين ، والا تحول حريته دون انتفاع الآخرين من استعمال حريتهم ـ وان يسعى وراء الخير لنفسه ، بوسائله الخاصة ، دون أن يحجب الخير العام عن بقية أفراد المجتمع الذي يعيش فيه بل أن يعمل من أجل هذا الخير العام ـ كان على الفرد أن يواجه أحد أمرين عندما يخرج عن هذه المبادىء : طغيان الدوله ، أو طغيان الفوضى .

على أن الفرد ، وهو يرى زحف الدولة على معاقله يوماً بعد يوم ، وقد تضاعفت حاجاته ، وتداخلت مرافق حياته ، وطغت عليه الوسائل المادية بين يديه مما خلقه ليكون وسيلة فكاد أن يكون غاية ـ ليخشى أن تصبح الدولة بما توفر لها من أسباب السيطرة والقوة غاية تنعدم فيها ، وتتلاشى كل إرادة مبدعة وفكرة حرة . لذلك فقد بادر في بعض المجتمعات الى انشاء منظمات له ومؤسسات على نطاق واسع كاتحادات نقابات العمال ، والتعاونيات الزراعية والصحية ، وعلى نطاق أقل سعة ، كالأندية الرياضية ، والمدارس والجمعيات الثقافية ، والخيرية تقوم بما يراد للدولة أن تقوم به مباشرة ، حتى بات مصير الديموقراطية معلقاً على نشاط هذه المؤسسات ، حسن ادائها واجباتها فاذا أراد الفرد أن يحيى بالمجموع ، وإلا يكون هذا المجموع دولة تنقلب مع الزمن طغياناً ،

فما عليه إلا أن يكثر من هذه الوحدات الاجتماعية العاملة على أساس القاعدة العامة المقبول منطقها والتي تقول أن الأفراد اذا لم يعملوا مجتمعين قامت الحكومة بالعمل عنهم - كما يقول توكفيل في كتابه (الديموقراطية في أمريكا) ولا يعجب توكفيل أن يرى مئة ألف أمريكي يقررون مجتمعين عدم شرب الخمور، فتلك هي طريقه صالحة للعمل والاعراب عن الرأي ويستمر توكفيل قائلاً: (ولو أن مئة ألف فرنسي اجتمعوا على مثل هذا المبدأ ، لتفرقوا غداة يومهم ، وراح كل منهم يراجع الحكومة منفرداً طالباً اليها التدخل لمنع المسكرات ومراقبة الحانات) يريد بذلك التمييز بين العقلية الفرنسية والعقلية الامريكية — .

وهنا في هذه الزاوية نعود فنذكر (روسو) الصارم ، في عدم تجزئة الارادة العامة ، واصراره على منع نشوء المنظمات والتجمعات في ظلها ، خوفاً من أن يدين الأفراد بالولاء لها ، وتنفقد الارادة العامة بتجزئتها . لذلك انطلق منـــه هيغل ، والمدرسة الألمانية في التفكير السياسي ، لتجعل التجمعات الفردية منوطة بارادة الدولة وادارتها ، ومن هنا يذر حكم الدولة الطاغي ، ولم يكن قط في حساب روسو أن تصبح فلسفته مطاراً لهبوط النازية والفاشستية فوق الارادة العامة على أنه من ناحية أخرى ، لابد من الاعتراف بصحة جانب من جوانب نظرية (روسو) بأن الولاء للمؤسسة الخاصة التي ينتمي اليها الفرد مباشرة ينقص لزاماً من ولائه للمؤسسة الاكبر التي هي الدولة . اذ لو شاهد (توكفيل) الامريكي ، فيلسوف ديمقراطية القرن التاسع عشر ، كيف تغدو الحياة الأمريكية عقداً مركبة من منظمات وشركات ومذاهب وتحشدات لايعرف الفرد الدولة الا عن طريقها لهاله مايرى . ومع ذلك ، فان الولايات المتحدة الامريكية ، تبقى بنظامها السياسي والاجتماعي أمنع الديموقراطيات على الاشتراكية ، لأن الفرد امتنع عليها ، بهذه المنظمات والوحدات الصغيرة التى ينتمهي اليها .

وعلى هذا ، فالبرغم عن امتداد اللفياتان في حياة الفرد عن طريق تنظيم حياته الأجتماعية ، ورغم قناعة الفرد في أحوال مركبة العقد بأنه لا مهرب له من التنازل عن جزء أو أجزاء من فرديته العاجزة ،وعلى الأخص في عصر الصناعة الساحقة، فهو يطمح أبداً في صراع ليس له نهاية ولن تكون له نهاية - الى التحصن بمعاقله والامتناع على قانصه ، وقد يسلم يديه ، ولكنه لن يسلم جناحيه ، وقد يطاطىء رأسه ، ولكنه لن يضعه بين قدميه . أنه مـــن نسل بروميثيوس العملاق العظيم ، الذي استل النار من يد الآلهة خلسة ليودعها ايدي بني الانسان ، فيعملوا ،ويبنوا ، ويعمروا الأرض . فعاقبه (زوس) بالصلب مسمراً بين الصخور تسفعه الرياح ، وتأكل قلبه

النسور ، ولكن صوته كان يعلو على هدير الرعود ، فيسمعه (زوس) يتكلم عن اليوم الذي ينتصر فيه الخير ، ويسحق السلطان الظالم الى الأبد .

ومن هذه النار المقدسة ، سلالة الانسان المفكر الجريء ، الذي اقرت له حقوقه في حرية الفكر ، وارادها معاقل له يعتصم بها وهو ينزلق يوما بعد يوم في التنظيم والتقنين والتوجيه . انها معاقل فردية خالصة . لم يتنازل عنها الانسان قط ، في اظلم عهوده ، بل كانت في اسوئها مراكز انطلاقات متعاقبة في مصير الأنسانية المتطورة لانها تناولت عملية التطور من يد الطبيعة عبر الدهور لتضعها في يد الأنسان اخيرا . . وقد كانت العملية خبطا اعمى بلا هدف ، فغدت بالعقل ادراكا وهدفا مقصودا .

من هذه المعاقل الفردية — ولم تكن قط جماعية — انطلقت الفلسفة ، والادب ، والفنون والعلوم ، وبها اشرق فجر الانسان الذي انفصل عن سديم الفوضى ، كما انفصلت الشمس في البدء ، وكان بعدها الكوكب الذي انار الوجود ، وزين الكون ، وجعل الحياة جديرة بمجد الانسان . ومن هذه المعاقل العليا ، التي شهدت الأنسان خالقا مبدعا . صاح ارخميدس جذلا : وجدتها وجدتها . ومشى (جورد انوبرونو) الى المحرقة ، وتجرع سقراط السم . لانهما قررا وجود حقائق غير مألوفة ،اعتبرتها الاوضاع السائدة والمصطلحات الاجتماعية السياسية المتداولة — ثورة عليها وتحديا لها ، وسخرية من سلطانها . فكيف يمكن للانسان ان يخدم التطور . وقد طمح الى زمامه ليسير به مئة الف عام في عام — وهو راضخ لما تعورف عليه من معارف واصطلح عليه من قيم وفرض عليه من اوضاع . او ليس التطور تبدلا ابدا ؟ واذا أسنت الحياة في نظام متحجر فمن ذا الذي يعيش على حفافي المستنقع ؟ العقل المبدع ، ام الحشرات المتكيسة بالحمأ ؟! ومن يكشف الحدث قبل وقوعه ، ويعلن الحقيقة عند ميلادها ، سوى هؤلاء الرواد الافراد ، الذين لا يأبهون لمقررات ثابتة ، وآراء رائجة وتقاليد متداولة ، اذا عزموا على مقارعتها ؟! وهل كان جوردانو برونو على صواب ، عندما اعلن حركة دوران الارض ام نصوص التوراة . . . ام سيادة الكنيسة التي رمته الى النار ، بعد ان قطعت لسانه . . ولم تعترف بحقائقه الا بعد قرنين !! وهل اعترفت ؟!

ومن هنا تقر الجمعية المتمدنة ، للفرد المفكر ، حتى حرية الخطأ فلا تحاسبه عليه ، لأن الرقي والصواب هما حصاد عملية التجربة والخطأ ، فاذا اردنا للانسان بلوغ اهدافه البعيدة بالفكر والتجارب بلوغا واعيا حرا من فروض الطبيعة اوقسر الدولة ، اومصطلحات المجتمع اعترفنا له في البدء

بحصانة معاقله الفكرية ؛ التي نبعث منها تيارات كرامة الانسان ومجده ، وتفوقه ، عبر تجارب كبرى من الخطأ والصواب

أن أي جمعية منظمة عادلة واعية ، لا يكبر عليها أن تضع الفكر الحر والمفكرين الأحرار فوق ضرورات الرائج والدارج ، مهما كان للدولة من مبررات في تقويم القيم الاجتماعية الجديدة، والسيطرة عليها ، في سبيل التوازن ، والعدل ، والخير العام ، لأن اليد المقيدة ، لا توجب معها تقييد الفكر ، ولأن تجربة الخطأ والصواب يجب أن تستمر وراء حدود الزمان والمكان ، ولأن المفكرين والعلماء والادباء ورسل الفن ، إنما يمثلون وحدهم طموح الاستمرار في كل ما هو جميل وحق وحقيقة وهذه آثارهم في الدنيا ، لاتزال وستبقى العقد الذي لاينفرط ، والمصباح الذي لا يخبو والحكم الذي لا يزول ، والصلة الواشجة بين الأزل والأبد . انهم عزاء للعالم المادي المسكين ، المنهار في دوامة الغرق والانتحار ، ينظر في الليل البهيم ، الى نجوم السماء ، ويوقن أن الكون لم ينطفىء بعد ، ولن ينطفىء أبداً .

ومن هنا نقطه الانطلاق في اعتبار الحقيقة والجمال من القيم غير الاجتماعية ، لأنهما إنما ينشدان لذاتهما ، دون مانظر الى مردودهما في المجتمع ، وحصادهما في حقل الخير العام ، وأثرهما في الأخلاق ، فوجب بنتيجة هذا الاعتبار أن تخرج الآداب والفنون ، والعلوم التي تنضوي تحت راية الجمال والحقيقة ، من حدود الدولة والقيم الاجتماعية الى حدود الفرد والقيم غير الاجتماعية .

فالفنون الجميلة ، وإن تكن نفعية الأصل فقد ارتقت لتتجرد عن مظاهرها وبواعثها ، وتصبح تعبيراً روحياً . فالرسم بدأ تمثيلا لمشاهد محسوسة لأغراض محدودة ثم غدا رمزاً لمرئيات قد لاتدرك بالعين المجردة ، لأن صاحب الفن أراد أن يمثل بها فكرة لا واقعاً . وهكذا ينتقل العمل الفني من المشاهدة الى التأمل ، ومن الفائدة الى القيمة ومن التصوير الفوتوغرافي الى اللوحة ، وينتقل الناس حوله من رغباتهم النفعية الى تذوق الجمال نفسه . ومن حساب الجزئيات والمرئيات، الى أجواء الغبطة والطوبى ، حيث الجمال غير مقترن بالجنس أو بالنفع . وهي حالة نفسية ، اذا اتصلت بالعامة ، بله الخاصة من الموهوبين كانت من أوصاف مجتمع راق ، مرهف الحس ، مهذب الذوق .

وما يقال في صاحب الفن المستغرق في رؤى الجمال ، يقال في العالم الذي يقضي الايام والليالي يراقب زحف حشرة في طين ، او فوران بخار في قدر لينفذ الى حقيقة مايرى ، ويجيب

على السؤال الازلي ، لماذا ؟ !

وفي الجواب على هذا السؤال ، لاينظر مخترع البارود الى ماقد يحدث البارود من نتائج التعمير او التدمير . كذلك لايسأل الذي يراقب الحياة في المريخ ، ايكون هذا الكوكب صالحاً لحل ازمة ازدياد عدد السكان في هذا العالم . حتى لو اقتنع مخترع البارود بأنه سيدمر العالم ، واقتنع عالم الاطباق الجوية بالافائدة ترجى للأرض ، من البحث في السماء ، فلن يكف الواحد والاخر عن البحث توصلا لذات الحقيقة .

فاذا قبلنا مبدأ لااجتماعية هذه القيم ، وجب الانضعها في حيز الأعمال الصادرة عن الانانية الفردية ، لانها قيم تسمو عن حدود المجتمع والفرد معاً . فالساعي وراء التعبير عن قيمة جمالية بالرسم او بالنحت او بالموسيقا او بالشعر او الباحث عن الحقيقة المجردة بالعلم ، لايسمو عن المجتمع فحسب بل عن ذاته ايضاً ، وقد يلزم بتضحية كل الطموحات والرغبات ، ويثابر حتى الجوع والعري والموت . ولا سبيل للمجتمع الذي ينظر باستهجان الى هذه النفوس النادرة الا ان يقرر احد امرين : اعتبار هذا النشاط مؤذياً وهداماً ، وغير خلقي ـــ او الاعتراف بأن هذه المثالية في نشدان الجمال والحقيقة . لاتقاس بمقاييس الجمعية القائمة . أما وقد ثبت باليقين في تاريخ المجموعة البشرية الراقية ان الجمال والحقيقة لم يكونا مصدر شر واذى وفساد ، فلابد من تقرير الحقيقة المقابلة وهي ان هذه القيم تخرج عن موازين القيم الاجتماعية ، فهي ليست نفعية ولا يجوز ان تضبط بحساب ماتقدم وماتؤخر او ما يجب وما لا يجب مهما كان حصادها بالتالي منسجما مع النفع العام ، او غير منسجم ، متقيداً بالوجوب الاجتماعي او الخلقي او غير متقيد . ومن هنا منشأ القوة في حجة الحرية لها .

ومع ذلك ـ وهنا اريد ان أحاول الخروج من سفسطة الجدل حول وجود البرج العاجي او عدم وجوده ـ فان تقرير لااجتماعية الفنون والعلوم ، كمعبرة عن قيم الجمال والحقيقة ، لاينفي عنها قط صفة التحسس بنبضات المجتمع حولهـــا بل قد يكون التحسس أعمق ، من حيث يبدو للعيون العاجزة انه أضعف . وقـــد يكون أرمى شعاعاً في شعاب المستقبل من حيث يبدو تافه الحاضر سقيماً . وقد تظهر هذه النبضات في قصة تروى ، أو موسيقا تهدر ، أولوحة تزخر بأمواج الضوء والظلال ، وترتد الى المجتمع في صور من الجمال والحقيقة ، غير مألوفه ، ثم تخرج ثانية عن حدود الزمان والمكان ، لتبقى الصورة الحية الخالدة لانها لم تضع في الأطار أشباحاً تمر ووقائع تمحى ، وأهدافاً يطالها المرء برأس أنفه ، بل قد دمغت بالفن حقائق خالدة لايستطيع

أن يعيها سوى أصحاب المواهب والعبقريات ـ فخرجت بالصورة من يومها الى غد ليس له حدود، ومن مكانها الى الآفاق التي لايستوعبها مكان .

ان الشعوب التي لايتوفر لها عنصرا الفعالية المبدعة والفراغ الضروري ، لممارسة هذه الرياضة الانسانية السامية ، في نشدان الجمال والحقيقة ، يجب أن تكون شعوباً بدائية تعيش بغرائزها ، وتلتهم من نزواتها ، أو شعوباً طغت عليها المادة ، حتى باتت لاتعنى إلا بصناعة كل رخيص وقذر ـ كما يقول كارلايل ـ والدولة التي توفرت لها الفعالية والفراغ فوضعتهما تحت أبطها ، لتوجه الأدب والفنون والعلوم ، دولة محكوم عليها بالفشل لأن جهاز الدولة لن ينال في معاصره منها سوى نماذج متشابهة في بوتقة التوجيه ، لا تلبث أن تنصب في الأسواق أكواماً ، الى جانب كل مقذوفات الآلة من أكوام الاحذية ، والأقنعة المستعارة ولعب الأطفال . فالاصالة في الابداع الفني ، وفي الاكتشاف العلمي ، وفي البحث الفلسفي الاجتماعي ، لم تكن قط يوماً وعبر ألوف التجارب في التاريخ من عمل الجماعات والدول بل من عمل الأفراد وحدهم . وقد كانت حركة الجماعات في التاريخ ، زحفاً صاعداً ، وراء الكلمة والرسالة التي أعلنتها عبقريات الكشف والابداع في الوقت المناسب .أوقبل الوقت المناسب وكانت الرسالة في حينها دعوة الى الثورة وفي غير حينها أي قبل أوانها ، ذريعة للمجتمع أو للدولة في نفي الغريب عن ما لوفها الجامد ، واجتثاث الفساد من طهرها الأسن . وكثيراً ما انطلقت الرسالات الضخمة قبل اكتمال اسباب النمو الاجتماعي الذي يلائمها . فدفعت بالتطور البشري مئات الأعوام والوفها الى الأمام ، في دوار صاعق ، لم يمهل القوى الراكدة حتى تتألب على فعل الرسالة المبدعة .

ان عمل الدولة في مد سلطانها ، لتقويم انحراف الحرية ، بالعدل ، والعدل شرط من شروط السلامة الاجتماعية ، والسلامة الوطنية انما هو واجب من واجباتها ، واختصاص من اختصاصاتها ، تنجزه في حقل القيم الاجتماعية وحدها وهي قيم تتزايد مع حاجات العصر ، وتعقد مرافق الحياة العامة ، واستغلال الحريات لتكون كسبا للبعض وحرمانا للآخرين .

انما يساعدها في اختصاصها ، هذا رجال الفكر ، والبحث والفن ، بما يصبونه مباشرة في الحقل العام اذا شاءوا او بما ينصب فيه تلقائيا بعملية التفاعل بين الفرد والمجتمع او بين القيم الاجتماعية والقيم غير الاجتماعية وبذلك تتمكن الدولة من اداء رسالة العدل بالقسط والميزان ـ لان العدل ذو حدين في الدولة فهو اما عدل يمهد لجهاز الحكم سبيل الطغيان ، فهو عدل كاذب على حساب الحرية وامـــا عدل موزون ، يساوي بين الناس في زحفهم المشترك الي الانتفاع

بنعمة الحرية . ولن تعدل الدولة او تستطيع العدل اذا لم تترك مناطق التفكير الفردي ، حرة الينابيع ، لتتلقى من تلك المناطق روافد القيم الخالصة .

ان الدوله في تطلعها الى هذه الروافد وفي عزمها على الاستقاء منها ، بتيسير مشاربها ، انما تقف من الاديب والفنان والعالم ، موقف من يلقي خبزه على وجه المياه ليجده بعد ايام كثيرة . فاذا لم يكن لديها ماتلقيه ، فلا اقل من ان تترك النهر صافياً حراً . كذلك لن تستطيع الدولة ان تعتصر الورود ، لتغل عليها زيتا ، الا اذا انقلبت الى سبع معد للادخار والاجترار ، يستوي فيها الشوك والحصى وزنابق الحقل .

بل بامكان الدولة التي اتيح لها ان تعتبر بتجارب التاريخ وطمحت الى كيان اجتماعي يليق بكرامه الانسان ، ان تحيط مرابع الفكر والمفكرين باسباب العناية والرعاية ما استطاعت الى الى ذلك سبيلا . والا فالمفكرون بحكم معايشتهم للقيم وخوفهم على حريتهم - اقل الناس اقبالا على اسباب الرزق وتهافتا على رعاية الدولة . ولن يكون موقفهم من حكامهم ، سوى موقف ديوجين من الاسكندر في الحوار المأثور عنهما عندما قال القائد للفيلسوف وهو قابع في برميله يأكل من اعشاب الارض : ماذا عسى ان افعل لك ايها الحكيم ؟! فاجاب الحكيم : ازح ظلك عني ، فلا يحجب نور الشمس .

يبدو لي انني اوشكت ختاما ، ولم ينجل بعد الى المدى الذي اريد ان يندفع معه كل لبس ، هذا الخيط الدقيق الذي يجرى بين الدولة والأديب ، على غير ما جرى فيه اسلوب القائد مع الحكيم ،وهو اسلوب من وتصاغر واحتراف لباقة .

بوسعي ان اتمثل الدولة ، صاحب دار في جوار بستان وحشي ، اكلت الاشواك اعنابه منذ زمن فلم تذر فيه سوى الطحالب ، والهشيم والحشرات السامة . فهو اما ان يعنى ببستانه ،كجزء من ارضه ، ويزرع فيه الزهور ، ويجري بينها السواقي ، ليردها الى حياته نعمة لنظره ، وارجا لروحه ، ووحياً لتأملاته وتجميلا لحياته . وأما ان يشيح عن ارض لاقبل له بغرسها ،فيقبع في وجاره ، ويصطلي بناره ، ويغلق نوافذه اذ لاصلة لحياته الداخلية بالبستان ، وهو بعد في أمان. واما ان ينصح لصاحب الدار جار له ان ازرع الفصة ، أو البطاطس في بستانك واقم في ركنه بعض دجاجات ، فالايام مقبلة ، وزرعك موفور الريع . ففي الحالتين الثانية والثالثة لاتستطيع الدولة ان تعطي أكثر مما لديها ، ولا أن ترتفع الى مافوق قامتها شأنها شأن صاحب هذه الدار ، اما ان تزرع وتغرس وتسقي ، وتطيب الثرى وترتقب الربيع ، فانها انما تزرع لنفسها ، وتطيب

الثرى ثراها ، وترتقب الربيع ربيعها . فهي ليست ملزمة الا بما تطيقه ، وتعيه وتشعر بالحاجة اليه . وماذا يرتقب الأديب من دولة بدائية او دولةلاتقيس القيم الا بمقاييس الانتاج الزراعي والثروة الحيوانية ؟! وبماذا يلزمها ؟ !

وسواء امنحت الدولة ، أم بخلت ، فما هو موقف الأديب ، وصاحب الفن ، وكل ذي موهبة مبدعة ازاءها ؟ !

انه مثل دولته وجمعيته ليس ملزماً • يبقى الفرق بينه وبينها ، انه ملهم .فاذاقرت لهبصفة الالهام في علاقته معها ، لا بصفة الالزام ، استطاعت ان تعدل مع ذاتها ومعه وارتقبت منه خيراً من حيث تظن ان لاخير منه .

انه ملهم ، ووشائج الالهام ، هي هذه القيم العليا التيتتصل جذورها بجذوره ،لانالتراب واحد وان يكن مابين السطح الذي يتحرك عليه ، وعرانين الدوحة التي يسمو اليها ، مابين كل قمة ، وكل تراب .

انه ملهم في كل رعشة من رعشاته ، وخطوة من خطواته . فاذا ماالتقى بهذا الشيء العام الذي يسمى دولة ، التقاءعفوياكالتقاءالنسائم بالزهوو ، ينشر أرجا . . أو كالتقاء الغيمةالمكهربة بالارض ، يفجر صاعقة وناراً ودويا ، أدركنا أنه الألهام ، الذي يضيع عطراً هنا ، ويتفجر صواعق هناك ، وتسألون لماذا لم ينشأ في اللغة العربية في هذا العصر أدب عالمي رفيع ، أو أدب بطولي جليل خالد . . أقول لكم لأن الادب والفن لم يكن مصدرهما الالهام ، الا في القليل من من هذا الادب ولدى القليل من أربابه - وغالباً ماكان مصدرهما ، انملتين تعصران زهرة بعثت أمام الشاعر آخر انفاسها الهالكة . . أو هو عملية حداد يستنبط النارمنشحذ فولاذة علىقطعة من صوان . . وهذا كله ليس بالالهام . . انه عملمن صنع الايدي المحترفة ، وصناعة منصناعات البلاستيك . بل هو أحياناً عمل من انتاج الحاجة الصارخة ، والسياط القارعة تقول له اصنع . . تقول له انتج . . لماذا لاتتحرك ولا تحرك ساكنا . . ألا ترى الى سواك . • ألا تشعر . . ألا تتحسس . . ألا تفهم . . أليس عندك شعور ؟ ! ويروح المسكين يعمل بمهارة صانعمأمور تحت طائلة بقائه عاطلاً عن العمل .

أقول ملهم . • فاتركوه لالهامه ، واعترفوا بأنه ملهم . فان لم يكن صاحب ابداع ، فانه لن يأتيكم الا بخرثي المتاع ، وان كان مبدعاً ، فارتقبوه وارتقبوا معه المعجزات .

ذروه والهامه ، وحذار ، ان تقولوا لكل معتزل مبتهل ، أنت في (برج عاج) لأن بين ساكني

بروح العاج ، أناساً خانهم الالهام وهم محسوبون عليه ملهمين ، فهربوا الى البروج ، حيث لاشيء الا الصقيع وأجنحة الخفافيش .

أقول انه ملهم ، وهذه هي طريقه الينا ، والى الحياة الدنيا . وعن طريق هذه القيم تتحرك روحه لتلامس المرئيات باحثاً أبداً عن الجمال وراءها . فأين يجده ؟ !

منذ أجيال كان فتى مثله يبحث عن موضوع جماله ، فعثر على ابتسامة حائرة - لاتدري في أي زقاق - اخذها بين انامله الراعشة ، وغرسها في شفتي (الجو كوندا) جمالاً خالداً .

ومنذ أجيال عثر المتنزه الوحيد على لؤلؤة في غلافها ، صقلها ثم سماها الارادة العامة فرفعها الى فوق ليضعها في صورة الشعب الذي أحبه جمالاً مطهراً ، وترك الصورة معلقة في مثالياتها لأنه خشي عليها من حضيض الحكم ، ومرض السلطان .

وظل فتى الصحراء يهيم في سعير القيظ حتى عثر على العرارة الغبراء ، ترسل آخر انفاسها المحترقة ، فصاح والشوق في روحه : تمتع من شميم عرار نجد . . ! فاي سحر أحال هـــذه الشيحة المرموضة ، جنة في نجد ، ومن غير الساحر الملهم ، يصل قلبه بقلب وطنه بصيغة هـذا شأنها من صيغ الجمال .

كذلك خلق الشاعر ديار ليلى ، واخذ يطوف حولها بالحنين ، وقد جعل بالالهام ديار الجمال وطناً خالداً ، وقد لا تكون الدار سوى بيت من الشعر مهترىء ، وكلاب تنبح الطائف الغريب .

ومن له حاسة للشم ، فليستنشق عبير الوطن الحبيب يمر بالنسائم على جبينك ، وانت واقف على طلل من اطلاله الدار، ة . فأي عرش للجمال ، اقامه شعراؤنا على الاطلال ، وأي حب اعظم من هذا الذي يصل الترحل بالمقام ، والزوال بالولاء الذي لا يزول

فاتركوا الملهم وشأنه ، فهو لا يريد ان يعطي شيئاً ، ولا ان يأخذ شيئاً ، انه يمارس الحب عبادة . وكلما شعر بظل الدوله خفيفاً على حريته ، شعر بأن ثمة شيئاً يملأ رحاب الشمس وهو الوطن وليس الا الحرية دليلا له نحو مواقع الجمال .

فلنعد ثانية واخيراً الى الحرية كقيمة ، ولنلق نظرة على الحرية التي ابدعت فلسفة جديدة لا بد أن يظفر بها الانسان ، مهما تردى في مهاوي الضلال . لن اتحدث عن (بيرون) الشاعر ، يذهب الى اليونان ليقاتل فوق ارضها الى جانب شعب صغير يجاهد دون حريته ، ويكاد يهرق على ترابه دمه . وهو تراب الفكرة الجميلة التي ينتسب اليها الشاعر الملهم . بل احدثكم عن فلاسفة عاشوا في الأرض التي درج عليها بيرون ، وملتون ، وشكسبير ، وتحسبون أن هذه الارض التي

يتغذى التنين فيها من حرية الشعوب ،لا يمكن ان يعيش فيها انسان يدعى ه . ج ويلز ، وأخر يدعى سي . اي . م جود .

انني اقدم بويلز وجود مثالين على ان الحرية بالقيمة ، تخرج من المجتمع المحدود ، لتغدو نعمة للانسان ، وان الليفياتان الاستعماري هنالك على ضفاف (التيمز) لا يمكن ان يكون شيئاً جميلا ، ولا ان يدعو الى احترام الحرية .

فالكلمة الآن لويلز . قبيل الحرب الكونية الماضية ، عندما كان جبل البركان على وشك ان يتمخض بالكارثة ، والكاتب يدعو الى ثوره عالمية ، ضد الحرب : أثورة عالمية ؟! ان فرائصهم لترتعد يجب ان يكون الرأي العام جبهة واحدة ضد حكومات السيادة ، لأن هذه الحكومات السيدة أصبحت مجرد الات حرب . وماذا يعني ان تزول هذه السيادات ، ويحل محلهـــا سيادة السلم ؟! يعني زوال الأمبراطوريه البريطانية ، والامبريالية الجرمانية معاً ؟! ولماذا لا .. يجب ان نجابه هذا .. أو لابد من الدمار !

والكلمة الثانية لجود ، أحد الفلاسفة الاحياء كما ارجح - وهوينظر الى سعة الامبراطورية البريطانية ، وضخامة الليفياتان فيها .. امبراطورية تسيطر على خمسة اوقيانوسات ، وسبعة بحار ، وتؤلف مساحتها ٢٦ بالمئة من مساحة الارض ويؤلف سكانها رقماً يزيد على مجموعة سكان أوروبة وروسية معاً . ماذا ؟! أين تصب ثروة هذه الامبراطورية ؟! في بريطانيا طبعاًوبيد من ؟! وهنا الجواب لجود الذي يقول : ما من دولة بلغ ثراؤها في التاريخ اضخم من ثراء بريطانيا ومع ذلك فان ثمانين بالمئة من رأس مال هذه البلاد يملكه ستة بالمئةمن الناس ويهبط مستوى المعيشة بين الافراد حتى ليصبح نصف سكانها يعيشون في نظام سوء التغذية اي دون المستوى المعاشي العادي . ان مجد الدولة ليس بمجدها الذاتي ، بل برخاء افرادها ..

وهكذا فان ويلز وجود ملهمان بالحقيقة والحرية ، غير ملزمين بشيء ازاء دولتهما ومجتمعهما والستة بالمئة الذين يملكون ثمانين بالمئةويؤلفون الرأي العامالبريطاني ، فتفكيرهما لااجتماعي ، وحريتهما مثل حرية سقراط فيأثينه ،توجب النهايةبالسم والسملايستطيع ان ينهي احدا . قيل لسقراط : بدل آراءك في هؤلاء الناس ، فلقد افسدت الشباب . اجاب أنا اعترف بجريمتي .. وليس لكم علي سوى الطاعة وحكم القانون ، وسأشرب السم قصاصاً لي.وهكذا يستطيع المجتمع الضال ان يأخذ حياة سقراط ، ولكنه لن يأخذ فتيلا من حريته .

أذكر أني شاهدت حادثة ، أو أني قرأتها في قصيدة أو قصة ، عن جواد فتي آصيل أتى به

قناصوه من البادية أو اشتروه ، وهو عنيد ممتنع ، وأرادوه لحراثهم وريهم ، لأن من تقاليد القرية أن الحيوان خلق لمثل هذا ، سواء أكان الحيوان حصاناً كريماً ، أم بغلا زنيماً . فربطوه الى نير مع بغلين ضخمين يدوران ليل نهار بعجلة تمتح الماء من البئر ، وعصبوا عينيه حتى لا يرى في سيره الذي لاينتهي أنه يدور على نفسه ولا يسير الى جهة . ورفض الجواد الفتي أن يسلم نفسه للنير ، ولمحاذاة البغال ، وللعصابة على عينيه ، وظل يقاوم دفعاً ، والبغلان يشدان جذباً ، حتى انهار على الأرض ، وداسته النعال الغليظة .

حتى الحيوان عندما يؤذى في قيمه ، يستطيع أن يكون شيئاً من سقراط الحكيم .

الأدب والفنون الجميلة

للاستاذ محمود امين العالم

عندما تفضلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر فطلبت مني منذ أيام أن أعد بحثاً في العلاقة بين



الادب والفنون الجميلة ، لم استشعر الحماس أول الامر ، بل ترددت وقلت لنفسي مابعد هذا الموضوع عما ترتعش به نفوسنا اليوم من تأهب وتطلع للظفر في معركتنا من أجـل حماية استقلالنا وانجاز وحدتنا العربية . الا انني رحت أتأمـل موضوعي على مهل ، وأخذت تتجمع لدي فقرات ذهنية تحيط بجوانب من الموضوع ، ثم لم البث أن أدركت انني بموضوعي هذا غير بعيد عن أمتي العربية ، غير بعيد عن نضالها غير بعيد عن اللحظة التاريخية الزخارة التي نحياها اليوم .

وأحب أن يكون هذا منهجي في كلمتي هذه . أحب أن أعرض في بساطة على سيادتكم هذه الفقرات التي تجمعت لدي ، لتكون سبيلا لانضاج الموضوع وأثرائه بالآراء التي ستتفضلون بها على عصر هذا اليوم .

ومنذ البداية استأذنكم في التخلي عن وصف الفنون بالجميلة ، فما أحب هذه الصفة التقليدية وما أميز بين فنون جميلة وأخرى قبيحة بل أخشى أن توصد هذه الصفة في وجهي أبواب فنون جديدة أحرص على بيان علاقتها بالأدب وبيان موضعه منها .

وبعد أعتقد أن من واجبي أولا أن أبدأ بتحديد العلاقة بين الأدب والفن . ولا سبيل الى ذلك بغير مناقشة بعض المفاهيم الشائعة حول هذه العلاقة .

في تراثنا الفكري الراهن يفرق بين الادب والفن تفرقة تقوم على أساس أن الادب مادته المعاني وأن الفن مادته الصور ، سمعية كانت هذه الصور أم بصرية .

وهي تفرقة في رأيي على غـير أساس . ذلك ان الادب انما يقوم بالصور بقدر مايقوم بالمعاني ، بل ان الصورة في العمل الادبي هي التي تسويه أدباً . والفارق بين بحث فلسفي وعمل

أدبي ليس فارقاً بين نوعين من المعاني ، لان المعاني الانسانية كلها سواء ، ولكنه فارق في منهج بذل هذه المعاني وسبيل الافضاء بها ، فالمعنى الجامد في الادب ، المبذول في شبه موعظة أو حكمة متحجرة أو سرد تحليلي ليس معنى أدبياً ، ذلك لأن المعنى الأدبي معنى مصور أساساً ، معنى معروض عرضاً حسيا . فالمعنى في الشعر ميت مالم تبعثه صورة ، والفكرة في القصة جامدة مالم يوقظها حدث . وابلغ الادب مارفعت معانيه وأفكاره بالحركة وضاءت بالعلاقات الحسية .

هذا هو أساس البلاغة في الشعر والقصة والرواية على السواء وهذا من ناحية الأدب ، أما الفن فليس قاصراً على الصور المجردة ، الخالية من المعاني والدلالات ، بل لأفن بغير دلالة . فالفن ليس صوراً ثابتة في اطار أو متحركة فوق شاشة بيضاء أو ماثلة في كتلة أو منغومة في علاقة صوتية وزمنية ، بل هو معان كذلك مصورة ، ودلالات ذهنية مشكلة تشكيلا حسيا ولا فن كما ذكرت - بغير دلالة حتى الموسيقى أشد الفنون تجريداً .

حقاً قد تعبر بالفن مرحلة من المراحل يغلب فيها طابع التعبير الحسي بغير دلالة ، وطابع التشكيل بغير مضمون كما تتمثل ذلك في المدرسة الانطباعية — اواخر القرن التاسع عشر - المدرسة التكعيبية بعد ذلك . فالمدرسة الاولى موغلة في حسيتها دون احتفال بالدلالات الفكرية والمدرسة الثانية موغلة كذلك في تجريديتها دون احتفال بمضمون . على أن ذلك في الحقيقة مظهر عابر موقوت . فمهما تخلى الفنان عن الدلالة ، فالدلالة تلاحقه وتدمغ عمله ، أراد ذلك أم لم يرد .

والمهم أن نخلص من هذا الى أن الأدب والفن سواء بسواء أن يعبر عن المعاني والدلالات تعبيراً مصوراً . وهما بهذا عملية ابداعية واحدة ، يستوي في هـــذا الشعر والقصة والرسم والتمثيلية الاذاعية والتمثيلية المسرحية والسناريو والتمثال والرقص وغير ذلك من مختلف التعابير الفنية والأدبية جميعاً .

هـــذا أولاً .

وثمة تفرقة اخرى بين الفنون والأدب لعلها تنبع من التفرقة السابقة تقوم على أساس أن الفن وحدة متكاملة تترابط عناصرها وتتداخل مقوماتها الداخلية من ألوان وظلال وفراغات وأنغام وصور متلاحقة وكتل وغيرها ، وأن هذه الوحدة المتكاملة داخلياً هي وحدها دلالة الفن وقيمته فالوحدة المتجانسة في اللوحة ، والبناء المتكامل في السنفونية هو دلالتها وهو قيمتها الأساسية . على حين أن دلالة الأدب انما تقوم في القضية التي يطرحها ويلتزمها • وعلى هـــذا فقيمة الفن من داخله ، أما قيمة الأدب فمن خارجه .

والحق ان الفن والادب سواء بسواء بناء متراكب ، متآلف العناصر ، متكامل الانحـاء والزوايا ، يعلو ويسف من حيث المرتبة الفنية بمقدار ماتنبض اوتجف فيه هذه السمات. والادب والفن كذلك تعبيران عن حياتنا الاجتماعية يستمدان الدلالة منها ومن مواقف الاديب والفنان من احداثها وقيمها .

ولكن الفنون تتفاوت في درجة تماسكها الداخلي وفي وضوح دلالتها الاجتماعية ، فالموسيقى قد تكون اكثر الفنون تماسكا عضويا ، وابعدها عن الافضاء المباشر عن معاني حياتنا . وقد تكون اللوحات السريالية اقل اللوحات الفنية حظاً من التماسك والوحدة العضوية واشدها وضوح دلالة. وقد تكون القصة القصيرة اعنف من المقالة الادبية حرصاً على وحدتها العضوية وابعد عن الابانة المباشرة عن دلالتها . الا ان هذه جميعا مراتب ومستويات في ظاهرة واحدة يشترك فيها الادب والفن على السواء .

وثمه تفرقة ثالثة تثار احياناً بين الادب والفن . فكلاهما كما يقال يقوم على التجربـة الوجدانية ويصدر عنها الا ان ثمة مايميز بين الأدب والفن . فالادب اقرب الى العقل والمنطق من الفن . ومرجع هذا الى الكلمة التي يستخدمها الاديب للابانة . فكلمة الاديب كلمة مطروقة استنفذها الاستعمال وجمد دلالتها . على حين ان اللون والصوت والكتلة مثلا أدوات فنية لاتزول حساسيتها ونضارتها أبداً .

على ان هذا القول قد يصح لو كان الادب يقوم على الكلمة المفردة . وانما يقوم التعبير الادبي بالسياق اللغوي لا بالكلمة وتتحقق القيمة الفنية للكلمة بموضعها من السياق وبوظيفتها لا بمعناها المعجمي. وبهذا تحتفظ الكلمة كذلك بنضارتها أبداً . على ان هذه المسألة في الحقيقة ترجع الى تفرقة تقليدية في العمل الادبي بين الفكر والاحساس ، بين المعنى والعاطفة بين المدلول العقلي والعفوية الوجدانية وهي تفرقة ليست صحيحة على الاطلاق في الادب . ففي الادب تتعانق المعاني والاحاسيس والافكار والعواطف ، وتتحقق معجزة العناق هذه باصالة التجربة الابداعية وبروعة الصور الحسية المستخدمة في التعبير والابانة .

الا ان قصوراً قد يصيب التعبير الادبي فتتخلخل تجربته وتتخفت رؤاه الحسية وتبرز معانيه كالحجارة المسنونة وهذه ليست خصائص للادب بل امراض تصيب تعابيره ولاتصلح سنداً للتفرقة بين الادب والفن .

ولكن . . اذا كان الادب والفن يلتقيان على اساس نظري واحد هو انهما تعبير عن الفكر

والوجدان او عن التجربة الانسانية تعبيراً مصوراً ، واذا كانا يلتقيان كذلك في الوحدة العضوية لبنائهما الداخلي ، وفي انهما يستعيدان الدلالة من الحياة الانسانية . اذاكانا يلتقيان في هذا كله فما وجه الخلاف بينهما ، او بتعبير أصح ما وجه التمايز ؟

ان التمايز بين الفنون جميعاً من ادبية وتشكيلية وصوتية وسينمائية وغيرها انما يتحقق فحسب بالاداة المستخدمة بالتعبيروالتصوير . فالادب يستعين بسياق اللغة ، والموسيقى بالصوت والزمن ، والنحت بالكتلة وهكذا

على أن هذا التمايز نفسه ليس تمايزاً مطلقاً ، بل نجد بين الفنون جميعاً تداخلاً .



فالشعر والموسيقى والرقص والتمثيل فنون متداخلة والتمثيلية المسرحية تستعين بالموسيقى والرسم والتمثيل . والسينما تستعين بالفنون جميعاً لبناء عمل فني موحد وهكذا . الا ان لكل فن من الفنون تمايزه الذاتي واداته الخاصة للتعبير .

وما احوجنا الآن أن نعبر هذه المفاهيم النظرية لنطل برفق على واقع الخبرة الانسانية لتبين كذلك مدى العلاقة بين الفن والادب فمنذ النشأة الاولى لتاريخ النشاط البشري نجد الفن والادب متلازمين متزاملين . فهكذا نشأ الشعر والرقص والموسيقى نشأة واحدة وهكذا تزامل التمثيل مع هذه الفنون على المسرح المصري القديم والمسرح اليوناني القديم في تعبيرفني واحد .ومع حركة التاريخ البشري ازدادت هذه الفنون تمايزاً وازدادت في الوقت نفسه تداخلا وتزاملا على مستويات جديدة . تطورت الموسيقى تطوراً متميزاً وتطور الرقص ثم تآلف منهما

فن جديد هو الباليه ، وتطورت الموسيقى تطوراً متميزاً عن الشعر كما تطور الشعر متميزا عن الموسيقى ثم التقيا في فن جديد هو الاوبرا ، وهكذا شأن الروابط المتنوعة بين الفنون الاخرى . انه تاريخ حافل من التطوير الذاتي لكل فن من الفنون ، والالتقاء الجديد بين هذه الفنون على مستويات جديدة من التعبير تتفق مع تطور حياتنا الاجتماعية . وفي السينما والتليفزيون تلتقي هذه الفنون جميعاً لقاء جديداً على مستوى جديد كذلك من التعقيد والنضج والخصوبة . وليس هذا اللقاء كما سبق ان قلت على حساب ذاتية فن من الفنون ، فالسينما لاتقضي على ذاتية الاديب كما يقال احياناً ، ولاتقضي على ذاتية الرسام او الموسيقي . بل انها تتيح لهم اشكالاً جديدة للتعبير واساليب مستحدثة للصياغة والرؤية الفنية ونوافذ جديدة يطلون منها على دنيا الناس .

وفي تراثنا العربي القديم نتبين تلازماً وتزاملا بين الفنون المختلفة . لن اتكلم عن الشعر والموسيقي فما أكثر مانعرفه عن وثاقة الرابطة بين شعرنا العربي والموسيقى ، ولن اتكلم كذلك عن رابطة الشعر بالغناء بالرقص ولا عن كتب الأدب التي زخرت باخبار هذا كله . وانما أكتفي بالاشارة الى زمالة في تراثنا العربي بين فني الأدب والرسم .

فاغلب آثارنا الأدبية الكبيرة مرسومة مصورة في صفحاتها الاولى والأخيرة وفي بعض صفحاتها الداخلية ، فرسمت مقامات الحريري ورسم كتاب الحيوان للجاحظ ورسم كتاب الأغاني ورسمت كتب اخرى ليست لها شهرة هذه الكتب . ومن الكتب الأدبية التي لم ترسم فحسب بل كان الرسم ن أهدافها كذلك كتاب كليلة ودمنة . يقول المفكر العربي العظيم ابن المقفع عند ذكره لأغراض كتاب كليلة ودمنة : والغرض الثاني من اغراض الكتاب « اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون انساً لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور . والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ولايبطل فيخلق على مرور الأيام ولينتفع بذلك المصور والناسخ ابداً »

على أن هذا التقليد في رسم الكتب سرعان ما اندثر في الحضارة العربية وضاعت أكثر الكتب المرسومة . وان استمر بعد ذلك حتى أيامنا هذه فناً قائماً برأسه واصبحت له معارضه الخاصة بل تخصص فنانون كبار في رسم الكتب وتحليتها . ولا يقوم هذا الفن على مجرد الزخرفة الخارجية للكتاب ، وانما يقوم على الفهم العميق لمضمونه والمشاركة في ابراز قيمه وانضاج مفاهيمه وفي بلادنا العربية اليوم ارتفع فن تحلية الكتب الى مستوى رائع من الابداع بفضل فئة من الفنانين المستنيرين يقف على رأسهم حسن فؤاد وابو العينين وعشرات غيرهم .

على ن العلاقة بين الأدب والفن لا تقتصر على زمالة بين الكاتب والرسام في رسم كتاب ، أو في ابداع خلفية لمشهد مسرحي بل قد تصل الى مستوى أشد وثوقاً . فقد يقوم رامبو بتفسير حروف للغة تفسيراً لونياً في قصيدته المشهورة، كما يقوم موسورجسي بتفسير لوحات معرض من المعارض تفسيراً صوتياً بموسيقاه كما يقوم والت ديزني على النقيض من موسورجني فيفسر الموسيقى تفسيراً لونياً في أفلامه العديدة وهكذا تتداخل الأدوات والدلالات أحياناً ، فالكلمة تصبح لوناً واللون يصبح صوتاً . وفي الشعر قد يقوم مذهب فني كامل هو الرمزية يسعى للابانة والدلالة لا بالمعنى المعجمي للكلمة وحده بل بالايحاء الصوتي لها . فتصبح الدلالة الصوتية سبيلا لتحديد المعنى في السياق اللغوي . ولعلنا نذكر كذلك بعض الحركات الأدبية المتطرفة التي راحت تسعى في بداية قرننا هذا الى القضاء على المعنى المتواضع عليه للألفاظ وتستحدث مركبات لفظية تحمل بايحاءاتها الصوتية معاني جديدة .

على أن هذه ظواهر للتداخل والتزامل بين فن الأدب وبقية الفنون ، بعضها مظاهر عابرة جزئية وبعضها على جانب كبير من الافتعال والتعسف وبعضها أصيل ، الا أنها جميعاً تؤكد وثاقة الرابطة بين الأدب والفن .

على أن هذه الرابطة كذلك لا تقتصر على قصيدة لرامبو أو قطعة موسيقية لموسورجسي أو كتاب لابن المقفع أو فيلم موحد يشترك في ابداعه الأديب والرسام والمصور وبقية الفنانين ، ذلك أن بين الأدب والفن رابطة أشد وثوقاً كذلك من الزمالة والتداخل ، تلك هي وحدة الظواهر المذهبية في الادب والفن . فالادب والفن سواء بسواء يستهدفان لمذاهب واتجاهات واحدة.

فالسريالية او الدادائية او الرمزية او الطبيعية او المستقبلية او الواقعية الجديدة او الواقعية الاشتراكية اتجاهات ومدارس مختلفة نجدها في الادب كما نجدها في الفن بذات الدلالة . وكما تصيب هذه الاتجاهات مضمون الفنون واشكال تعبيرها ، تصيب الادب كذلك في مضامينه واشكاله .

فالمذهب الطبيعي في الادب والفن على السواء نظرة تشريحية جامدة الى الواقع الانساني تهتم بالتفاصيل وتفتقد الاتجاه . والمستقبلية في الادب والفن على السواء محاولة آلية للتعبير عن حضاراتنا الصناعية تعبيرا مفتعلا ، والواقعية الجديدة في الأدب والفن على السواء تحتضن الواقع الأنساني في حركته المتطورة وتعبر عنها في حركاتها ومجاهداتها واتجاهها الصاعد وهكذا بالنسبة لبقية المدارس والاتجاهات . ونستطيع ان نذكر في مختلف فنون الادب والفن اسماء

لمبدعين منشئين ينتسبون الى مدرسة واحدة ويؤمنون بأسلوب وبمضمون انساني معين في التعبير، فلو تمثلنا بالواقعية مثلا لوجدنا برتولت برخت في المسرح وايزنشتين في السينما وشولوخوف في الراوية واراغون في الشعر وتسشتاكوفتش في الموسيقى وهكذا . ونستطيع ان نتابع الامر نفسه في مختلف الاتجاهات الفنية .

والى جانب وحدة الاتجاه في الادب والفن والى جانب التداخل والزمالة التي تبيناها بينهما فاننا نجدهما كذلك يتبادلان الخبرة ويستحدثان لبعضهما اشكالا تعبيرية جديدة . فالسينما استحدثت للادب تعبيرا ادبيا جديدا هو السناريو كما استحدثت الاذاعة التمثيلية الاذاعية وفضلا عن ذلك فان تلاقي الادب بالفنون الاخرى وتفاعله وتداخله معها يتيح للادب قيما تعبيرية جديدة . فالبناء الموسيقي يعمق احساس الاديب بالوحدة العضوية لادبه ، كما ان الابداع الاذاعي يدفع بالاديب الى مزيد من الاحتفال بالصورة المحسوسة والى التخفف من اثقال التعابير المطرزة والى تطويع لغته . كما ان السينما تعلمه مناهج جديدة في التشكيل والتجسيد والاتصال . وهكذا الشأن بالنسبة لبقية الفنون .

على ان الامر لايقتصر كذلك على تطوير القيم الشكلية للادب بتأثير الفنون الاخرى ، بل ان تمرس الاديب بالادوات الفنية الاخرى يفتح امامه نوافذ اكثر رحابة من نافذة الكتاب يطل منها على ملايين الناس ويصبح بهذا اشد التصاقا بهم .

ومخاطبة الاديب للملايين والتصاقه بهم عن طريق السينما والاذاعة لايعني ازدياد دخل الاديب او ازدياد عدد المعجبين به . وانما يعني في الحقيقة ارتباط الاديب بمسؤولية اكبر ازاء الناس وهذا بغير شك يعود على ادبه بالتطوير والدفع والانضاج لافي حدود الصياغة التعبيرية فحسب بل في القيم الانسانية التي يباشر بها ادبه كذلك . ان مخاطبة الاديب للملايين من المواطنين بالاذاعة او السينما مرحلة جديدة بغير شك في احساس الاديب بالناس واحساسه بمسؤولياته ازائهم واحساسه بخطورة الكلمة التي يقولها والفكرة التي يصدرها والقيمة المضيئة التي يقف الى جوارها .

هذه ظواهر ومظاهر متباينة لمدى الوحدة والتمايز والتداخل والتزامل وتبادل الخبرة بين الادب والفن ، وهي في الحقيقة تمتد الى اساس واحد هو ان الادب والفن تعبيران عن الحياة وبناءان علويان لحركة المجتمع البشري ، ولهذا فهما يقومان بوظيفة اجتماعية واحدة ، فهما يعبران أولا عن حركة الحياة وصراعاتها ، وما يعتمل فيها من عوامل نكوص وتقدم وهما

يعملان كذلك على تنظيم المشاعر الانسانية وتوحيدها ، ولهذا نجد الادب والفن على السواء اداة ثورية لتحويل المجتمع ، كما نجدهما كذلك مرآة مجلوة تنعكس فيها الخصائص القومية الاصيلة لهذا المجتمع .

بماذا نخلص من هذا كله ؟ . .

ليس من المهم ان نكتفي باقرار مابين الادب والفن من روابط وعلاقات ، وانما المهم حقاً ان نتبين خطورة هذه الروابط لصالح الادب والفن على السواء ولصالح أمتنا .

لقد تبين لنا ان الفنون والآداب تتحد وتتمايز وتتداخل وانها بهذا تزداد قوة ونصاعة وتجدداً . وتبين لنا ان الادب والفن اداة لدفع الحياة وانضاج الخصائص القومية للامة . وتبين لنا كذلك ان التفاعل بين الفنون والآداب يتيح للادب قيمة جديدة في التعبير ونوافذ رحيبة تطل على الناس والحقيقة .

وما احوجنا ان نحقق هذا لادبنا وفننا ولا متنا فالآداب والفنون في بلادنا تتلاقى عفواً او يقوم على تلاقيها غير الاكفاء . اما أدباؤنا فمنصرفون عن الفنون غير مكترثين او غير مؤمنين بما ينجم عن هذا التفاعل بينهما من نضارة للادب والفن على السواء .

فادباؤنا اولا منصرفون تماماً عن التمثيلية المسرحية . لانكاد نجد في تاريخ مسرحنا المعاصر اسماً يقف الى جانب اسم توفيق الحكيم على الرغم مما يتسم به مسرح الحكيم من ذهنية وتجريد وان كنا نلمح طليعة جديدة من شباب الادب تشق طريقها الى المسرح على رأسها نعمان عاشور والفريد فرج الا انهما مازالا في بداية التجربة .

كما نجد شعراءنا منصرفين تماما عن التمثيلية الشعرية مع الحاجة الماسة اليها ، اذ تكاد التمثيلية الشعرية الا يكون لها وجود بعد في ادبنا العربي . فتمثيليات شوقي ومدرسته ـ مع تقديرنا البالغ لها ـ اقرب الى الشعر الغنائي منها الى الشعر الدرامي بحق .

وما يزال ادباؤنا كذلك ينظرون الى السينما والاذاعة نظرة استخفاف وتعال فهم لايكتبون للاذاعة سوى المقالة التحليلية الوقورة ولا يفكرون في انتاج التمثيلية الاذاعية وان كنا كذلك نلمح بين طليعة ادباء الشباب من اخذ يتخصص للادب الاذاعي ويشق طريقه الى ذلك في أصالة وعلى رأس هؤلاء محمد علي ماهر واحمد عباس صالح ونعمان عاشور .

اما السينما فاسوأ حظاً من الاذاعة في الوقت الذي يعلن فيه المخرجون والمنتجون ان أزمة الفيلم انها ترجع الى انعدام القصة والى امتناع الادباء عن الابداع للسينما . على أننا نلمح

كذلك طائفة من أدباء الشباب يتجهون بانتاجهم بالسينما وعلى رأسهم امين غراب وعبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي واحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ ومحمود صبحي .

اما ادباؤنا الكبار فلا يعترفون للادب الاذاعي او السينمائي . فتوفيق الحكيم على سبيل المثال يحرم كاتب السيناريو وكاتب التمثيلية الاذاعية من صفة الاديب . على أساس ان السيناريو والتمثيلية الاذاعية لانستطيع أن نقرأها في ذاتها والحق أن لقراءة ليست شرطاً جوهرياً للادب ان سيناريو السينما عمل ادبي والتمثيلية الاذاعية عمل ادبي وما اجدرنا ان نتيح لها مكانها اللائق في الادب وان نولها عنايتنا نقداً وتوجيهاً وانتاجاً .

ان احتفالنا بالسينما والاذاعة (والتلفزيون عندما يتم تركيبه في بلادنا) واجب لايحتمه فحسب حرصنا على أن نتيح لادبنا أشكالا جديدة للتعبيروانما يحتمه كذلك حاجة أدبنا الى أن يطل من نافذة أرحب على أمتنا وأن يؤدي رسالته أبلغ الاداء .

ان بلادناماتزال المتخلفةوماتزال أركان منها يتجاذبها الاقطاع والاحتكار والرجعية، وان الاغلبية من شعبنا أمي لايقرأ ولايكتب، وقد نحتاج اجيالا من التثقيف والتوعية لشعبنا لو اخترنا طريق الكتاب وحده ان استعانتنا بهذه الفنون الجماهيرية كالاذاعة والسينما في تصوير أدبنا واذاعة رسالتنا لكفيل بأن يعجل بحركة التقدم في بلادنا ، لكفيل بأن ينضج الوحدة بين مشاعرنا وافكارنا لكفيل بأن يرفع من مستوى الوعي والتذوق والابداع بين أمتنا ، وكفيل كذلك أن يحقق أهدافنا القومية في حماية الاستقلال وانجاز الوحدة العربية الشاملة .

ومن واجبنا أن نؤكد أن احتفالنا بالسينما والاذاعة والمسرح لايعني أبداً القضاء على اصالة الادب وذاتيته وانما التفاعل بين الادب وبقية الفنون يضيف الى الأدب قيما جديدة في الصياغة والمضمون على السواء ، بل يضيف الى ذاتيته ابعادا جديدة .

ومن حقنا ان نعترف بان السينما في بلادنا ماتزال تحتكرها فئة من الرأسماليين الجشعين الذين يتخذون منها تجارة للمباذل في كثير من الأحيان ، حقا هناك انتصارات جليلة في الفيلم العربي جديرة بالتنويه والاشادة ، الا انها في مجملها لاتشجع الاديب على ان يسلم ادبه ورسالته لمن لايثق في ضميره الادبي والفني .

من اجل هذا كله كان من واجبنا نحن الادباء العرب ان نناضل من اجل تحرير السينما من الاستغلال والاحتكار وان نجعلها فنا شعبيا وطنيا وان نشارك في الابداع فيه مشاركة جادة مستنيرة . كما ان من واجبنا كذلك ان تنتظم مسؤوليتنا ازاء الاذاعة والمسرح وان نسعى

جاهدين الى تنظيم هذه المسؤولية وان لانكتفي بالكلمـــة المكتوبة من عندنا ، بل ماجدرنا بالمشاركة في التوجيه والارشاد وما اجدرنا كذلك ان تزداد معرفتنا بحرية هـذه الفنون حتى تزداد كفاءتنا على كشف النفع المتبادل وابداع الأشكال الفنية الجديدة، وتخصيب ادبنا بخيرات الفنون الاخرى في اقتدار واصالة . وما اجدرنا من اجل ذلك ان نعمق الرابطة بيننا وبين رجال الفن جميعا فننظم المحاضرات والمؤتمرات معهم . لنتبادل الرأي والخبرة ولنتكشف معـا سبلاً جديدة للعمل المشترك المثمر .

اننا بهذا نتيح لادبنا مستويات جديدة من النضج والابداع ، ونتيح له كذلك ان يكون بحق اداة اجتماعية ثورية واداة للتوجيه بين مشاعرنا القومية . وبهذا كذلك نحقق رسالتنا نحو امتنا العربية التي هي رسالة الوحدة الشاملة والاستقلال الكامل والديموقراطية الصحيحة والرفاهية والسلام .

تعريف العرب بنتاجهم الحديث

للاستاذ بدر شاكر السياب

قبل أن أبين الوسائل التي اراها كفيلة بتعريف العرب لنتاجهم العربي الحديث أود أن اتحدث عن النتائج الأدبي ذاته ليعرف زملائي الكرام وجهة النظر التي سينطلق منها رأيي في تلك الوسائل فيكمل من وجهات نظرهم الخاصة ما في كلمتي هذه من نقص لنصل بعد ذلك الى الغاية التي هدف اليها المؤتمر وهو يعالج هذا الموضوع في جملة مايعالج ...



لو قيض لنا أن نطلع على الآثار الأدبية التي قال الزمن فيها كلمته بانها رائعة خالدة لوجدنا أن سر خلودها وروعتها كامن في أنها جعلت من الصراع بين الانسان وبين الشر وقواه موضعها ولنا في الأودسية والالياذة والكوميدية الالهية وماكبث وفاوست والفردوس المفقود ـ وهي آثار ستة للشعراء الستة الذين أجمع النقاد على أنهم أعظم شعراء البشرية الذين لاسابع لهم ـ خير شاهد . فهذه الآثار جميعاً كانت تصويراً لهذا الصراع فرأينا الشر متمثلاً في الالهة الحاقدة القاسية وقوى الطبيعة الغاضبة أو الساحرات الخبيثات اللواتي كن رمزاً للافكار الشريرة التي تعتمل في نفس الانسان أو في مستوى فليس وهو يساوم فاوست على روحه أو في بعض البابوات الذين خانوا رساله المحبة والسلام والحكام الذين ظلموا الرعية واستجازوا كيدها أو في ابليس الذي اخرج آدم وزوجه من الجنة ولسنا في حاجة الى القول بأن تاريخ الانسان كان وما يزال صراعاً بين الشر وبينه وبأن التعبير الأدبي عن هذا الصراع انما هو تعبير عن الحياة أو أدب واقعي بعبارة أخرى .

ولئن ظلت البشرية أحقاباً طوالاً وهي تري الشر وتلمس آثاره ولا تدري من أين يأتيها

لقد عرفته اليوم على حقيقته وعلمت من أين يجيء . فعرفت ـ تبعاً لذلك الطرق التي تدفعه بها أو تتقيه أو تقضي عليه قضاء مبرماً . ولست أقول جديداً حين أقول أن الشر يتمثل اليوم أبشع ما يتمثل وأخطر في الاستعمار وقواه وما يعتمد عليه من فئات . ولكي يبدو قولي هذا صحيحاً بالنسبة للجميع الذين تختلف آراؤهم في مصدر الشر أعيد صياغة هذه العبارة فأقول أن أبشع قوى الشر وأشد جنوده خطراً يتمثلون في الاستعمار والمستعمرين وفي الظلم الاجتماعي والظالمين وما ينثر أولئك وهؤلاء من وباء وبلاء .

وقد كانت وظيفة الأدب أو بالحري وظيفة الرائع منه ـ تصوير هذا الصراع القائم بين الشر وبين الانسان وما زالت تلك وظيفته حتى يومنا هذا . وأود أن أبين ناحية مهمة هي أن الأديب حين يصور هذا الصراع لايقف منه موقف المتفرج المحايد ـ لأنه انسان قبل كل شيء ــ فالقضية اذن قضيته والمعركة معركته . وهكذا كان الادب مايزال سلاحــا من اسلحة الانسان التي شقت ويشق بها طريقه نحو حياة افضل وكان الاديب العربي واحدا من ادباء العالم الذين ادركوا وظيفة الادب منذ اقدم العصور . واذا قرأنا الشعر الجاهلي (وهو اقدم ماوصل الينا من تراثنا الادبي) وجدناه شعرا تكاملت فيه العناصر التي يتكون منهـــا الشعر الواقعي او اكثرها على اقل تقدير . ولم تقتصر واقعية الشعر الجاهلي على تصوير الطبيعة التي كانت تحيط بقائليه ولا بيان العلاقة بين الرجل والمرأة في ذلك العصر ولا وصف العادات والتقاليد بل يتعدى ذلك كله الى ماهو أجل وابعد اثرا في حياة الانسان . لقد نزل الشاعر الجاهلي الى الساح يصارع الشر وقواه في حفلة المصارعين ــ بحسب فهمه وفهم مجتمعه (القبيلة) للشر وقواه . فقد يكون الشر متجسما في قبيلة تغير على قبيلــة الشاعر او حرب بعث فكانت ذميمة او في بخيل لايبذل للاخرين المال او جبان لايبذل من نفسه او طاغية يسوم الناس خسفا . الى آخر ما قارعه الشاعر الجاهلي من صور الشر العديدة .

وجاء الاسلام فعرف وظيفة الشاعر خير معرفــة ، ولو وقفنا برهة عند الآية الكريمة (والشعراء يتبعهم الغاوون ــ الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالايفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لوجدنا فيها اعظم توجيه في وظيفة الادب . بل ان كتابنا الخالد ــ القرآن ــ كان بحد ذاته ادبا بلغ من السمو منتهاه . ومن فضول القول ان نذكر انه الادب الذي جمع بين اروع اسلوب وانبل غاية ولو تتبعنا تاريخ الادب العربي منذ نشأته الأولى حتى يومنا هذا لالفيناه ــ في اروع مظاهره ــ ادبا واقعيا او ملتزما او سمه ماشئت من

الاسماء التي تدل على انه كان يدعو الى الحق والخير والجمال ويكافح الشر والباطل . وهو الادب الذي ينتصب فيه المتنبيء طودا شامخا . وما كان المتنبي الا عربياً ثائراً تمرد على الاوضاع السيئة التي كان المجتمع العربي يتخبط فيها — رأى عرباًملوكها عجم وارانب مفتحة عيونهم نياما فابى وتمرد وعتى على من عتى . او لم يكن سيف الدولة الذي وقف المتنبي عليه اروع شعره — بطل العروبة المكافحة عن غمارها الواقفة بالمرصاد لجيوش الروم المحتشدة على حدودها ؟ واذا ذكر المتنبي تبادر (المعري) الى الذهن في الحال . ولكن يكن المعري الا داعية من دعاة الحق والخير والحب والعدالة الاجتماعية . وكان الجاحظ اول اديب عربي نزل الى السوق فصور لنا احوال الشعب تصويرا ينبض بالصدق والحياة باسلوب حسبنا ان نقول فيه انه اسلوب الجاحظ ويقيني اننا لوجردنا ادبنا العربي من هؤلاء العمالقة الثلاثة لعاد ادبنا باهتا لايمكن ان ينهض على قدميه بين آداب الامم الكبرى . وهناك امر اعلنا كنا عنه غافلين . ذلك ان الشعوبية والادب الداعر الماجن كانا يتمشيان يداً بيد . ولم يكن من باب الصدفة ابدا ان يكون بشار وابو نواس ومسلم بن الوليد — وكلهم من الفرس الشعوبيين — رسل الشعر الماجن الخليع —

يتبين من كل هذا انني من دعاة الادب الواقعي او الملتزم او سمه ماشئت فان ماندعوه وردة يبقى وردة وان سميناه بأسم آخر كما يقول شكسبير ولكن الواقعية التي ادعو اليها هي الواقعية التي تحدث عنها الناقد الشاعر الانكليزي الكبير ستيفن سبندر في محاضرته القيمة عن الواقعية الجديدة والفن يقول سبيندر ان الفنان الحديث اصبح انطباعياوسرياليا وتكعيبياورمزيا في محاولته الهادفة الى ايجاد انسجام بين ذاته وذات المجتمع — ولكنه ابى لنفسه ان يكون من زمرة الطبيعيين الذين ينقلون الواقع نقلا فوتوغرافيا . ولم يلبث الفنان الحديث حتى اهتدى الى مخرج — كما يقول سبيندر — وقد وجد هذا المخرج في الواقعية الحديثة . وهي في رأيه تحليل الفنان للمجتمع الذي يعيش فيه تحليلا عميقا فيه اكبر عدد مستطاع من الحقائق التي يدركها بنفاذ بصره — ولاتهم بعد ذلك وجهة النظر التي ينظر منها مادامت تحليله كذلك . فقد حلل الشاعر الانكليزي الفذ ت . س اليوت مجتمعه بل المجتمع الاوروبي كله تحليلا عميقا صادقا فيه الكثير من الحقائق — في قصيدته الرائعة (الارض الخراب) التي كتبها في أعقاب الحرب العالمية الاولى . كما حلل جون شتينبيك في قصته الانسانية الرائعة (عناقيد الغضب) مجتمعه الامريكي تحليلا عميقاً صادقاً فيه الكثير من الحقائق .

ورغم ان الشاعر الانكليزي الكبير انطلق من وجهة نظر دينية وان الروائي الاميركي الكبير

انطلق من وجهة نظر اشتراكية فالقصيدة والرواية رائعتان من روائع الادب الواقعي الحديث .

ونأتي الى النتاج الادبي الحديث في وطننا العربي فنجده ينطوي بصورة عامة تحت أصناف ثلاثة واقعي أو ملتزم بالمفهوم العام للواقعية والالتزام — ومحايد — ومنحل — ٠ وقد عممت في هذا التصنيف تيسيراً للبحث .

أما نتاجنا الواقعي أو الملتزم فهو في كثيرمنالاحيان خلو من الفن اوبعيد عن المعنىالصحيح للواقعية والالتزام . والمنظومات السياسية والقصص التي كانت جديرة بأن تكون مقالاً افتتاحياًفي جريدة تملأ مجلاتنا ومكاتبنا واذاعتنا .

ولكن ذلك لايعني خلو أدبنا الحديث من نتاج واقعي بالمفهوم الصحيح للواقعية يبلغ حد الروعة أحياناً . وحسبروايات نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله وقصص عبد الملكنوري شواهد على ذلك ٠ والحق أن الروايات والقصص الواقعية الناجحة أكثر من الشعر الواقعي الناجح ٠

والواقعية التي نريدها هي التي تنبـــع من نفس الاديب ٠ وبعبارة أخرى اننا لانريد من الاديب أن يكتب أدباً واقعياً الا اذا كان مؤمناً بأنه الأدب الذي يحقق الاديب ذاته بكتابته دون سواه لاأن يكتب عن خوف من لوم واتهام بتقصيرولا مجاراةللذوق العام عنطمعفي الشهرة

أما الادب المحايد فالقصد به الادب الذي يكتبه الاديب في معزل عن الاحداث العامة الجارية من حوله — دون أن يكون له أثر ضار في مجتمعنا العربي . وقد يعترض معترض فيقول ليس هذا الادب محايداً فان قصيدة كالنهر المتجمد لميخائيل نعيمة — أو حولي عينيـــك لعبد الرحمن الخميسي تمد حياتنا الفقيرة بلحظات من الغنى وتعلمنا درساً في تذوق الجمـــال نحن في حاجة اليه — فالاحساس بالجمال يفجر ينابيع الخير ، ولكن مثل هذا الاعتراف يرد نفسه بنفسه ٠ فكون الاحساس بالجمال يفجر ينابيع الخير في النفوس هو بحد ذاته سبب يدعونا الى المناداة بالأدب الواقعي وها نحن اليوم نرى الانسان العربي يحيا حياة أبعد ماتكون عن الشعر الجمال . انه بصورة عامة انسان لم يحقق ذاته بعد ٠ وعلينا نحن النخبة التي استطاعت ان تحقق ذواتها الى حد ما ، ان نعينه على ذلك ليستطيع من بعد ان يتذوق جمالفيالطبيعة وفي الادب وفي كل وجه من وجوه النشاط البشري تذوقاً يليق به ٠ فالمسألة اذاً مسألة توقيت ونحن اليوم نخوض معركة يتقرر من فوزنا أو خسارتنا فيها وجودنا كأمة ذات فن وحضارة ورسالة — أو فناؤنا كشراذم من البشر هي الى السوام أدنى ٠ ويمثل أمامي بهذه المناسبة مشهد من الالياذة (وهناك مشهد شبيه به في الاوديسه) اثنى عليه النقاد لما فيهمنصدق وحقيقة ٠ فقد غضب البحر وهاجت

غواربه ورياحه حتى لم يعد من سفن انيد في هربه من طرواده بعد سقوطهاالا اقلها • وابتلع اليم طائفة كبيرة من رفاقه . ثم هدأت العاصفة وجنحت السفن الباقية الى الشاطىء ونزل البطل وصحبه الى البر جائعين متعبين • حتى اذا نالوا قسطاً من الشبع والراحة تذكروا رفقاهم الذين هلكوا فطفقوا يبكونهم ، أحر البكاء .

ويقول أحد النقاد وهو يعلق على هذا المشهد ومافيه من صدق وحقيقة ان البكاء ليكون ترفاً لو أن السيد وصحبه كانوا قد بكوا رفاقهم قبل ان يطعموا ويستريحوا . والانســـان القلق المهدد في وجوده غير قادر على مثل هذا الترف

ولا أغالي اذا قلت ان الادب الذاتي في هذه المرحلة من حياة أمتنا ترف لاغير . وان امة تجنح الى الترف وهي تقود معركة المصير لهي أمة أمرها الى خسران .

وبقي اللون الثالث من ألوان نتاجنا الأدبي الحديث ــ وهو الأدب المنحل . وفي الوسع تقسيمه الى فرعين أولهما الأدب الذي يدعو الى اليأس والهزيمة ــ وأمثلته في أدبنا الحديث وخاصة في الفترة الاخيرة قليلة جداً . ولعل أكثر الأدب السوداوي اليائس هو الذي يكتبه الشباب المراهقون ويأسهم في الغالب يأس مبعثه الاخفاق في الحب . ولايشكل هذا الادب خطراً كبيراً لرداءة نماذجه ولانه لايرتكز الى ركيزة فكرية في قنوطه ويأسه . أما الأدب اليائس يأساً ينبعث من موقف فكري معين فهو ايضاً قليل الشيوع في أدبنا الحديث .وهو يصدر ــ أغلب مايصدر ــ عن ادباء من الشيوخ ماتوا أدبياً وتخلفوا عن ركب التطور وان ظلوا يعيشون على بقايا مجدهم الذي حصلوا عليه في صدر الشباب والسنوات القلائل التي اعقبت . وهم قلة والحمد لله ولم يعد لهم من القراء سوى عدد ضئيل الكثرة الكاثرة منهم من معاصريهم في صدر شبابهم وماتلاه من سني الشهرة والانتـــاج الغزير ، ولكنهم مازالوا يشكلون خطراً أكبر من الخطر الذي يشكله اليائسون المراهقون .

أما الفرع الثاني من فروع الأدب الانحلالي فهو هـذا الادب الماجن الداعر الذي يملأ المكاتب وتتناقله المجلات ويقبل عليه المراهقون والمراهقات وسواهم من الشباب اقبالاً هو الخطر كل الخطر . وان هذا النمط من الادب أقل ظهوراً في الشعر والفنون الأدبية الاخرى منه في الرواية والقصة القصيرة والطويلة • وهو أدب لايترفع عن دغدغة الغرائز البهيمية واثارة الشهوات السفلى وافساد اخلاق الجيل الطالع في سبيل ان يصيب أصحابه شيئاً من المال اوالشهرة .

وان انتاج ادب كهذا لهو نوع بشع من أنواع الجريمة ــ لايغير من ذلك مكان ولازمان

بل ان انتاجه في بلاد كوطننا العربي وفي مرحلة كمرحلتنا هذه — يرقى الى درجة الخيانة. فالاغراء الذي فيه والرواج الذي يلقاه نتيجة لذلك يجعلانه اشد خطراً من أدب اليأس والهزيمة.

هذه مقدمة كان لابد منها ومن الاستفاضة فيها لنعرف أي نوع من انواع النتاج الادبي يستحق أن ينفق عليه العرب أموالهم ويشد الادباء رحالهم من أقصى اجزاء الوطن العربي ليحضروا مؤتمرات تبحث في شؤونه وفي وسائل التعريف به وتقديمه الى القارىء العربي حيثما كان

وواقعية الأدب هي بحد ذاتها وسيلة من وسائل التعريف به ولهذه الواقعية عمل مزدوج في نشر الادب بين الجماهير العربية. فهي — من جهة عامل من عوامل نضج الأدب بالاضافة الى عوامل النضج الذاتية الاخرى. — كاصالة الاديب وغنى تجربته الشخصية وخصوبة ثقافتـــه ولسنا بحاجة الى القول بان الادب حين ينضج يصبح قابلاً الى الانتشار من تلقاء ذاته بين الجماهير العربية.

في حدودها المحلية السياسية اولا — ثم في حدودها العربية الكبرى بعد ذلك ونضرب مثالا على ذلك بأن القراء العرب في كل قطر عربي تقريباً يعرفون انتاج كل اكبر اديب في بقية الاقطار العربية وحين انتقل من التعميم في المثال الى التخصيص اذكر الجواهري شاعر العراق الاكبر الذي لايعرف القراء شاعراً عراقياً سواه مثلما يعرفونه، كما ان واقعية الادب (اي تبنيه قضية الجماهير العربية) تدفع هذه الجماهير الى تبنيه بدورها.

وحين نستعرض كلامنا السابق كله تبرز لنا اهمية النقد الواعي كوسيلة مهمة من وسائل التعريف بالادب وقد رأينا كيف يحفل نتاجنا الادبي الحديث بالكثير مما يعود على امتنا باغلب الضرر، ومما يتوجب علينا ان نحاربه. وان ايكال محاربة اي لون من الوان الادب الى الدولة — انما هو تسليط للدولة على الاديب وانه لتسليط قد تستغله الدولة في محاربة الادب الواقعي الذي ندعو اليه. وليس هناك سوى النقد من سلطة تنتدب للقيام بهذا الواجب المقـــدس واعني به محاربة الاتجاهات الضارة في الادب. والنقد بعد عامل من العوامل الموضوعية لانضاج الادب وبالتالي نشره بين الجماهير العربية. وقد درس مؤتمرنا هذه الناحية حين بحث في العلاقة بين الاديب والناقد فلا حاجة لنا بتكرار ما قالوه.

واظن الاساتذة الكرام ممن حاضر او ناقش في موضوع الاديب والدولة اوعقب عليه وصاغ التوصيات بشأنه — قد تحدثوا عن ضرورة تشجيع الدولة للاديب وتأمين الحرية له. وقد رفوا لموضوع حقه فليس لي الان غير التأكيد على ماذهبوا اليه باعتباره وسيلة من وسائل تعريف القراء العرب بادبنا الحديث ولكن وضع الشعب العربي الراهن في انه موزع في دول عديدة — تتفاوت

فيما تتيحه كل دولة منها للنتاج الادبي المنتج في داخلها او الآتي اليها من بلدان الدول العربية الاخرى — من حرية وتشجيع . . . أقول ان هذا الوضع يجعلنا ننظر الى موضوع العلاقة بين الاديب والدولةمنزاويةاخرى — بالاضافة الى الزاوية التي نظر منها الاساتذة الأفاضل الذين بحثوا في هذه العلاقة . فحين نفكر في وسائل تعريف العرب بنتاجهم الادبي الحديث ينهض امامنا نوع جديد من انواع العلاقة بين الاديب والدولة . وهي علاقة بين الاديب وبين دولة ليست بدولته — فهي لا تستطيع ان تمسه بأذى مباشر وليس لها عليه من سلطان مباشر واقول سلطان مباشر لان لها عليه في الحق سلطانا غير مباشر — فهي تستطيع مثلا ان تمنع كتابه او مجلته من دخول بلادنا اذا ارادت ذلك مما يضطره او يضطر الناشر احيانا الى تشذيب النتاج الادبي او تعديله وفقا لاهوائه خوفا من الخسارة الماديه التي قد تستحيل بدورهـا الى خسارة ادبية .

ان وضع التوصيات وحده لايحل مشكلة ، فقد اتخذ مؤتمر الادباء العرب الاول الذي انعقد في بيت مري منذ عامين — قرارات هامة وصاغ توصيات قيمة . ولكنها ظلت طوال هذين العامين حبراً على ورق فقد كانت من بين توصياته التأكيدعلي احترام حرية الفكر والادب . ولكننا لم نسمع اديبا واحدا من بين الادباء الذين وقعوا على تلك القرارات يرفع صوته مدافعا عن حرية الفكر والادب ان تقيد او محتجا على تقييدها فلنعاهد انفسنا اذن على تنفيذ ماستتخذه في هذا المؤتمر من توصيات ومن بينها احترام حرية الادب .

هذه هي المشاكل الكبرى التي تجابهنـا حين نبحث في الوسائل الكفيلة بتعريف ادبائنا المعاصرين الى القراء العرب .

وهناك بعض المشاكل الثانوية الاخرى منها ان عددا من الادباء لايملكون الوسائل المادية لنشر انتاجهم . ومنها هذا الحشد الهائل من الكتب التي تقذفها المطابع العربية في كل اسبوع بل في كل يوم والتي يقف القارىء العربي منها موقف الحيرة لايدري ايها هو الجدير بالقراءة. ومنها ايضا ان كثيرا من القراء غير قادرين على شراء الكتب لارتفاع اثمانهـا بسبب من تكاليف الطباعة الغالية او من جشع المؤلف او الناشر .

هذه بعض المشاكل التي تراءت لي وانا ابحث في هذه الموضوع بعجالة بسبب من ضيق الوقت الذي اعدت فيه المحاضرة . واني لاطرح عليكم هذه المشاكل عسى ان نتعاون في ايجاد حلول لها وعسى ان تكمل ماجاء في هذه المحاضرة التي قمت بها من نقص وقصور .

وفي الختام ارجو ان تسمحوا لي بان اعرض عليكم بعض الحلول المباشرة التي خطرت ببالي بالاضافة الى ماسبق ذكره .

فلكي نحل مشكلة العلاقة بين الدولة والاديب العربي الذي ليس من رعاياها — ولكي نحارب الادب الضار عن طريق النقد الواعي ولكي نساعد القارىء العربي في اختيار الكتب التي هي جديرة للقراءة ولكي نشجع الادباء الناشئين وننشر نتاج الادباء المعوزين ولكي نيسر للجماهير العربية سبيلا الى القراءة الجيدة دون ان تكلفها كثيرا من المال — ارى ان يبذل المؤتمر مساعيه لتأسيس دار للنشر ترصد لها كل حكومة عربية مبلغا مناسبا من المال وتكون وجهاً من أوجه النشاط الثقافي للجامعة العربيـــة دون أن يؤدي ذلك الى تقييد حـــرية الادب أو التزام الدار بأكثر من الخطـــوط العريضة للاتجاه التقدمي السليم على ان تشرف على شؤون هذه الدار الادبية لجنة تنبثق عن هذا المؤتمر وتتألف من بين كبار النقاد والادباء تكون مهمتها اختيار الكتب الصالحة للنشر من بين المؤلفات التي يتقدم بها المؤلفون العرب اليها . شريطة ان يكون نشرها لأي كتاب مـــن الكتب ملزماً لكل دول الجامعة العربية بأن تسمح بدخوله الى بلدانها . ومن المستحسن جداً أن تصدر عن هذا الدار مجلة ادبية بنفس الشروط .

كما أن تأسيس رابطة للادباء العرب على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والادبية شريطة أن يؤمنوا بمقررات هذا المؤتمر وتوصياته التي ستكون منهاجاً لتلك الرابطة . ان قيام رابطة كهذه سيكون من اكبر العوامل في تعريف العرب بنتاجهم الادبي الحديث وفي رفع مستواهم .

وان اتخاذ التوصيات بهذا كله وتفكير الحكومة العربية بأن الادباء العرب الموقعين على هذه التوصيات سيقفون بالمرصاد لكل اعتداء على حرية الادب امر ضروري اذا كنا جادين في تحقيق ما اجتمعنا من اجله وما نكتب وما نقول .

الأدب العربي بين الآداب العالمية

للدكتور طه حسين

سيدي صاحب الفخامة رئيس الجمهورية !

أئذن لي في ان ارفع الى مقامك الكريم اصدق الشكر على هذه الرعاية الكريمة التي تفضلت بها على مؤتمر الادباء ، حين افتتحته وحين تكلفت الجهد والمشقة لاختتامه . واني لأسعد الناس حين يتاح لي ان اتحدث الى هؤلاء الزملاء بمحضر من فخامتكم ، فهذا شرف عظيم اظنني اقل من ان استحقه .



وأئذن لي ايضا في ان اكون كغيري من الادباء طموحا شديدا الطمع منتهز الفرص ، فهذا الفضل الذي اوليته لمؤتمر الادباء مفتتحا له حين بدأ ومختتما له حين اتم اعماله ، هذا الفضل العظيم لانكتفي — نحن الأدباء — بشكره فالشكر قليل ، والذي اعرفه من اخلاق فخامتكم انكم لاتحفلون كثيراً بالشكر ، وانما اسجل هذه العناية على انها بادرة خير في هذا العصر الحديث . والادباء مخطئين او مصيبين يعتقدون ان لهم على الدولة حقوقاً وان هذه الحقوق تقتضي من الدولة ان ترعى الادب وان ترعى الذين ينتجونه والذين يقرأونه و ورعاية فخامتكم لهذا المؤتمر على هذا النحو دليل على ان الدول العربيه قد اخذت تعترف للادباء بحقهم عليها . فنحن نسجل اعتراف فخامتك بهذا الحق للادباء ، ونسجل انكم ترون ان من حق الادب والعلم والفن ، والذين ينتجون الادب والعلم والفن على الدولة ان ترعاهم وان تتيح لهم الانتاج والابداع في حياة هادئة كريمة تلائم مايحتملون امام الشعب وامام الانسانية من تبعات ثقال .

وقد فرض علي ان اتحدث الى هذا المؤتمر عن موضوع اعترف باني لا احسنه ، وهومكانة

الادب العربي بين الآداب العالمية . ولابد من ان احاول البر بما وعدت به حين كلفت هذا العمل وان كانت هذه المحاولة عسيرة شاقة . واول شيء احب ان نتساءل عنه هو معنى هذه الكلمة (الآداب



فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية يرحب بالدكتور طه حسين قبل ان يلقي محاضرته

العالمية) والذي يراد بهذه الكلمة وما الذي يفهمه الناس منها؟ احب قبل كل شيء ان انحي فكرة شائعة في هذه الايام ، فكرة شائعة مصدرها وهم قديم آن له ان تنجلي غماغمته ، فالادب العالمي عند كثير من الناس في هذه الايام انما يدل على هذه الآداب التي تقرأ في كثير من البلاد ومن البلاد الغربية الاوربية والأمريكية خاصة ، ذلك لأن هذه البلاد قد عرفها الناس في هذه العصور قوية متسلطة ناشرة قوتها وسلطانها على كثير من اقطـــار الأرض ، فهم يشعرون بأن الآداب التي تقرأ في بلاد هذه الدول القوية هي الآداب العالمية ، فالأدب الانكليزي مثلاً أدب عالمي لأنه يقرأ في بلاد كثيرة ، يقرأ في بريطانيا العظمى ويقرأ في الولايات المتحدة الامريكية ويقرأ في بلاد الدمنيون ثم يترجم الى اللغات الاوربية المختلفة ، فهو أدب عالمي لاشك في ذلك ولكننا

نظن اولا يزال بعضنا يظن أن أدبنا العربي لأجل أن يكون عالمياً يجب أن يقرأ في مثل هذه البلاد التي تقرأ فيها تلك الآداب الانكليزية ، ومثل هذا يقال بالقياس الى الأدب الفرنسي والى الأدب الألماني والى الأدب الايطالي والى الأدب الروسي مثلاً ، كل هذه الآداب عالمية لاشك في ذلك لأنها تقرأ بنصوصها في بلاد كثيرة وتترجم الى لغات بلاد كثيرة ، فهي آداب عالمية ، انما الخطأ الذي يجب أن نتجنبه منذ الآن هو أن نظن أن أدبنا لن يكون عالمياً الااذا قرىء في تلك البلاد ، الأدب العالمي هو الأدب - فيما أعتقد - الذي تعيش عليه أجيال كثيرة في أقطار كثيرة من الأنسانية ، فالأدب العالمي ليس هو أدب الذي يملك الباس والقوة والسلطان ولكنه هو الأدب الذي يكسب قوته وسلطانه على النفوس وانتشاره في اقطار الأرض من طبيعته هو لا من قوة تأتية من البأس السياسي ، أو من القدرة الاقتصادية أو من أى مصدر من هذه المصادر التي تتيح للامم ان تكون قوية متسلطة ، فهل أدبنا العربي على هذا النحو ، هل ادبنا العربي عالمي ، وما مكانته بين هذه الآداب العالمية ؟ وواضح جداً اننا عندما نتحدث عن الأدب العربي لا نستطيع ان نتحدث عن ادب عصر بعينه ، وانما يجب ان نتحدث عن الادب العربي في جملته ، عن الادب العربي منذ كان الى حيث هو الآن ، فالشيء الذي ليس فيه شك ان ادبنا العربي في عصوره الاولى كان أدباً عالمياً كأرقى وأقوى ماتكون الاداب العالمية ، هذا لا يختلف فيه اثنان ولا يجادل فيه الا المحمقون ، كذلك ان هذا الادب العربى - واريد بالادب معناه العام - الادب الذي يصور انتاج العقل الانساني في امة من الامم ، هذا الادب العربي ولغته العربية كان مصدر حياة خصبة قوية دائمة لأمم كثيرة في الارض ، فهو لم يكد يتجاوز جزيرة العرب منذ العصور القديمة حتى ظهور الاسلام ، لم يكد يتجاوز هذه الجزيرة حتى تأثرت به امم اخرى غير الامة العربية ، وبعد ظهور الاسلام فرض نفسه على العالم القديم كله تقريباً ، فهو قد كان أدب الأمة الاسلامية لا أدب الامة العربية بمعناها الدقيق بل أدب الامم التي خضعت للدولة الاسلامية مهما تكن لغات هذه الامم ومهما تكن خصائصها . واحب ان ألفت حضراتكم الى فكرة بسيطة ، مقارنة بين الادب العربي والادبين القديمين العظيمين الادب اليوناني والادب اللاتيني ، فقد كان الادب اليوناني في العصور القديمة عالمياً ، وعسى ان يكون اول ادب يستحق هذا الاسم ، ذلك انه لم يقتصر على الامة اليونانية التي كانت تنتجه وتستمتع به ، بل انما تجاوز حدود البلاد اليونانية ، ولا سيما بعد ان انتشر سلطان اليونان في الشرق بعد ان فتح الاسكندر مافتح من البلاد وظل هذا الادب اليوناني ، وظلت الثقافة اليونانية واللغة اليونانية قوام حياة الانسانية المتحضرة اكثر من عشرة

قرون، وبهذه الطريقة يمكننا ان نقول ان الادب اليوناني هو الادب العالمي الاول من الناحية التاريخية. ففي الارض أمم بسطت سلطانها على الأنسانية قبل الامة اليونانية، ولكنها لم تستطع ان تصل بهذا السلطان الى اكثر من السلطان السياسي المادي ، ولم تصل الى اعماق النفوس ولا الى دخائل القلوب، ولم تحمل افراداً وجماعات من غيرها على أن يتكلموا لغتها ويشاركوا في انتاجها ، على حين استطاع الادب اليوناني ان يصنع هذا كله ، فشارك في الانتاج باللغة اليونانية قوم لم تكن بينهم وبين اللغة اليونانية صلة من قبل ، فرضت اللغة اليونانية نفسها بالسياسة اولا وثانيا بقوة هذه اللغة وقوة آدابها وثقافتها فاتخذوها لانفسهم ولقلوبهم ولعقولهم لغة شاركوا في انتاجها الادبي كأنهم كانوا من الأمة اليونانية نفسها ، وبرغم هذا كله ، وبرغم ما اتيح لهذا الادب اليوناني من السيطرة على الشرق القديم كله ، مهما تختلف الأمم التي كانت تعيش في الشرق القديم ، برغم هذا كله لم يستطع الادب اليوناني ان يفرض لغته على الشعوب بحيث تتخذ هذه اللغة لغة لحياتها اليومية وانما فرض لغته وادبه على طائفة بعينها هي طائفة الذين يعملون في السياسة ، وطائفة الذين يعملون في الشئون الثقافية والعلمية ، وظل المصريون مثلا يتحدثون لغتهم التي تطورت فيما بعد الى اللغة القبطية ، وظل أهل الشام يتحدثون لغتهم الآرامية على اختلاف لهجاتها وظل أهل العراق يتحدثون لغتهم الارامية ، او ما انتهت اليه لغتهم البابلية والاشورية القديمة ، وظل الفرس يتحدثون لغتهم الفارسية وفي اثناء هذا كله وجدت طوائف من العلماء والادباء تعلمت اللغة اليونانية ، وشاركت في درسها وفي انتاجها ، وشاركت في الانتاج الادبي نفسه قليلا او كثيراً . لم تستطع اللغة اليونانية على قوة الاسكندر ، وعلى قوة القادة والملوك الذين خلفوا الاسكندر ، وعلى قوة الدول التي نشأت عن فتوح الاسكندر ، لم تستطع هذه اللغة ان تؤثر في حياة الشعوب تأثيراً عميقاً حقا ، فظلت الشعوب محتفظة بكثير من لغاتها ، محتفظة بلغاتها المختلفة ، وكانت اللغة اليونانية لغة السياسة ولغة الثقافة ليس غير ، ومع ذلك فقد ظلت امم تكتب آدابها الخاصة وتنتج لغتها الخاصة بلغاتها القديمة في ظل اللغة اليونانية وفي ظل السلطان اليوناني وكتب المصريون كما كتب السوريون في اللغة القبطية وفي اللغة الارامية علومهم وآدابهم وكتبهم ، في الوقت الذي كانت اللغة اليونانية هي اللغة العالمية التي تسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة ، كذلك كان حال الأمة اليونانية وحال لغاتها وآدابها . وجاء الرومان بعد اليونان ففرضوا لغتهم على غرب اوروبا ولم يستطيعوا ان يقاوموا اللغة اليونانية في الشرق، ظلت اللغة اليونانية هي لغة السياسية في الشرق وظلت الشعوب محتفظة بمقوماتها ومحتفظة بلغاتها تنتج في لغاتها وتنتج

في اللغة اليونانية احياناً ، ولكنها احتفظت بمقوماتها كاملة ولم تستطع اللغة اللاتينية على قوة الجمهورية الرومانية وعلى بأس السلطان ، سلطان الامبراطورية ، لم تستطع اللغة اللاتينية ان تفرض نفسها الا في غرب اوروبا ، في ايطاليا وفرنسا واسبانيا وبريطانيا العظمى ، لأن هذه البلاد لم تكن لها في تلك الاوقات حضارة بارزة اما لغتنا العربية فانها لم تكد تتجاوز الجزيرة قبل الاسلام حتى تكلمها كثير من اهل الشام قبل الفتح الاسلامي ، وتكلمها كثير من اهل العراق قبل الفتح الاسلامي ايضاً ، فكانت لغة حديث الى جانب اللغات الاخرى التي لم تستطع اللغة اليونانية ان تمحوها ، ولا ان تضعها ، وبعد الاسلام ، وبعد ان انتشر القرآن الكريم في البلاد التي فتحت ، نظرنا فاذا الامور تتغير حقاً واذا التاريخ يأخذ طريقاً جديدة لم نعرفها من قبل ، واذا هذه اللغات التي قاومت اللغة اليونانية والسلطان اليوناني وقاومت اللغة اللاتينية وسلطان الرومان لا تثبت للغة العربية ، لا لأن السلطان العربي فرض على الناس ان يجهلوا لغتهم وان يتخذوا اللغة العربية لغة لهم ، بل لأن هذه اللغة العربية تمتاز بشيء من قوة الطبيعة وتمتاز بشيء من السحر الخاص الذي ينفذ الى القلوب ويسيطر على العقول ويستأثر بملكات الناس . وكذلك لم يأت القرن الثاني ولم ينقض هذا القرن حتى كانت اللغة العربية هي لغة الشعوب في كثير من اقطار الارض في العراق والشام ومصر وشمالي افريقيا وفي اسبانيا ايضاً ، وكانت كذلك لغة الحديث والانتاج الادبي في هذه البلاد القوية التي قاومت اليونان اشد المقاومة ولم يستطع الرومان ان يقهروها ولا بلاد الفرس ، اصبحت اللغة العربية لغة حديث ولغة علم وادب وثقافة في البلاد الفارسية ، ووصلت في تلك الاوقات الى بلاد الهند ايضاً والى جزر المحيط كذلك. ثم ننظر فاذا هذه اللغة العربية لم تستطع ان تكتفي بالانتشار وبأن تصبح لغة عامة للثقافة والسياسة والادب والحديث ، ولكنها استأثرت بهذه الشعوب او بأكثر هذه الشعوب استئثاراً تاما ، واذا اللغات التي ظلت حية مقاومة لليونان والرومان والفرس من قبل اولئك وهؤلاء ، اذا بهذه اللغات التي تتضاءل شيئا فشيئا ويضيق سلطانها قليلا قليلا حتى تنحصر بالاديرة وفي بعض المحافل الخاصة ، ثم تصبح لغات قديمة ميتة يدرسها العلماء واصحاب البحث التاريخي واصحاب البحث اللغوي ولكن الشعوب تنساها نسيانا تاما فالشعب المصري مثلا لايتحدث اللغة القبطية ، والشعب السوري لا يتحدث اللغة الارامية ، والعراق لايتحدث لغة آرامية ، ولايتحدث تلك اللغة التي كان العرب القدماء يسمونها لغة النبطية والتي كانت بقايا من لغة بابل وآشور ، كل هذه اللغات اصبحت لغات قديمة ميتة يختص بها العلماء وحدهم ، والشعوب تجهلها جهلا تاما ، ثم لم تكتف اللغة العربية

بذلك ، وانما اثبتت انها لغة لاتكتفي بأن تتسلط وتقهر ولكنها لغة طامحة حريصة على ان تسيغ وتهضم كل ماتستطيع ان تلقاه امامها من انواع البحث والعلم والحضارة على اختلاف فروعها فكل ما كتبه اليونان واكثر ماكتبه الرومان وكل ما كانت الشعوب الافريقية والاسيوية التيعرفها العرب ، كل هذه الحضارات وكل هذه الثقافات اساغتها اللغة العربية وحولتها الى ثقافةواحدة هي الثقافة العربية والحضارة وكل هذه الثقافات اساغتها اللغة وحولتها الى ثقافة واحدةوحضارة واحدة هي الثقافه العربية والحضارة العربية ، واستطاع شاعر كأبي تمامان يقول :

بالشام اهلي وبغداد الهوى — وان بالرقمتينوفي الفسطاط اخواني

وماأظن النوى ترضى بماصنعت — حتى تبلغـــني اقصى خراسان

هذا الوطن العظيم التي اتسعت رقعته من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ، هذا الوطن العظيم تكونت له حضارة واحدة لها لغة واحدة ولها ادب واحد ، وثقافة واحدة وعلوم واحدة بفضل اللغة العربية وبفضل الأسلام .

الأمبراطورية التي انشاها الاسكندرملكتمن الارض مثل ماملكه الاسلام او اقل منه كثيراً لانها لم تتجاوز شمال مصر ، والامبراطورية الرومانية ملكت من الارض مثل ماملكه المسلمون ولكن اليونان لم يستطيعوا ان يؤثروا بلغتهم وادبهم وثقافتهم في الشعوب كمـــا اثر العرب ، والرومـــان لم يستطيعوا ان يفعلوا شيئا من ذلك بل لم تستطع اللاتينية ان تستقر في الشرق بحالمنالاحوال ؛ والدولة الاسلامية خلفت هذه الامبراطوريات،خلفتالامبراطوريةالتي انشأها الاسكندر وخلفت الامبراطورية التي انشأها الرومان ولكنها لم تكن دولـــة سياسة واقتصاد وسلطان وحسب ، وانما كانت امبراطورية قلوب وعقول واخلاق ودين وهذا كله بفضل هذه اللغة التي استطاعت ان تتغلغل في اعماق الشعوب استطاعت ان تمحو امامها من اللغات وان تقوم هي مقامها وان تصبح هي اللغة الاصلية في كل هذه الشعوب .والشيء المحقق ان السلطان العربي لم يصنع شيئاً ليفرض هذه اللغة ، بل نحن نعرف اكثر من هذا ، نعرف ان كثيراً من قضاة المسلمين في مصر كانوا يتعلمون اللغة القبطية ليستطيعوا ان يسمعوا الخصوم من الاقباط وليستطيعوا ان يقضوا بينهم عن علم بما يقولون وعن علم بما يختمون فيه ، هـــذا هو الذي فعله المسلمون حين استقروا في اقطار الارض التي فتحها الله عليهم وبرغم كل هذا وبرغم كل هذه الاشياء التي ورثتها الشعوب وتوارثتها شعوبها اجيالا ، وبرغم هذا التسامح العظيم الذي امتاز به العرب في حكمهم في جميع الاقطار التي استطاعوا ان يحكمونها ، وبرغم هذا كله

استطاعت اللغة العربية ان تتجاوز جيلها الذي كان يتكلمها وهو الجيل العربي ، وان تصبح لغة هذه الاجيال الكثيرة من الناس على مر العصور وتطاول القرون. اكثر هذا من ان هذه اللغة العربية عندما تجاوزت الشرق وتجاوزت البلاد التي كانت تتكلم لغة من جنسها كانت تتكلم اللغات وبينها وبين اللغات السامية شيء من جوار ، هذه اللغة العربية عندما تجاوزت الشرق واستقرت في غرب اوربا في اسبانيا لم تصنع شيئا لتفرض نفسها على المقهورين .وانمـــا تنافس المغلوبون في تعلمها وفي اتقانها وفي مشاركة اهلها فيهـــا ومشاركتهم في انتاج ادبهم . وكتب بعض القسس في تلك الاوقات ، القرن الثالث للهجرة ، كتب بعض القسس يأسف ويحزن ويصور قلبـــه الذي كانت الحسرة تـــذيبه لأن الشباب المسيحي يهجر اللغـــة اللاتينيـــة هجرا خطيرا ويسرع الى تعلم اللغة العربية ولا يكتب شيئاً في اللغة اللاتينيـة التي هي لغة المسيحية مع انه محتفظ بمسيحيته . ولم ينس هذا القسيس الذي كتب هذا النص الا شيئا واحدا هو انـــه هو نفسه حين كان يكتب باللغة اللاتينية كان متاثرا باللغة العربية ومتاثر باللغة العربية الممتازة التي كان العرب يرونها اروع مايمكن للناس ان ينتجوه فاللغة اللاتينية لاتعرف القافيـــة في شعر ولا في نثر ، وقسيسنا هـــذا كان يكتب لغته اللاتينية في هذا النص الذي اشرت اليه الآن ، كان يكتبها في سجع لاتيني لم تعرفه اللغة اللاتينية الا منذ عرفت اللغة العربيـــة ووصل سجعها اليها اكثر من هذا ان الذين تعلموا لغتنا من الأمم المختلفة زاحموا العرب انفسهم على أدبهم وزحموهم في كثير من المواقف ، فالشعراء الذين ملأوا الدنيا شعرا في القرن الثاني للهجرة كان فحولهـم من غير العرب بشار كان فارسياً ، ابو نواس كان فارسياً ، ابو العتاهية فارسي ، مسلم بن الوليد كان فارسياً ، كل هذه الفحول كانوا من الفرس ، ابوتمام يختلف الناس فيه ، وكانوا يرون ان اباه كان رجـــلا يبيـــع الخمر في دمشق وكان رومياً ، ابن الرومي اسمـــه ينبيء عـــن اصلـــه ، كان ابـــوه روميـــاً ، وكانت امـــه فـــارسيـــة ، فهؤلاء الناس الذين امتازوا في لغتنا حتى قهروا شعراءنا ، وحتى استأثروا من دون العرب أنفسهم بالتفوق بالشعر لم يكونوا عرباً ، والعلم الذي انتج في اللغة العربية لم ينتجه العرب أنفسهم ، وانما شاركهم فيه علماء من أجناس كثيرة اخرى ، ويكفي ان نذكر ابن سينا ، وان نذكر الفارابي ، وان نذكر اختلاف الناس في هذه الايام بابن سينا ، يرونه في تركيا تركياً، ويراه الفرس فارسياً ، وأنا شخصياً لايعنيني مطلقاً أن يكون فارسياً أو تركياً لانه عربي سواء رضي الترك أو الفرس أو لم يرضوا وهو عربي لانـــه كتب للانسانية تراثـــه في اللغة العربية ، كتبه الاساسية

كتبت في اللغة العربية ، طبه وفلسفته وتلخيصه وشرحه لارسطاطاليس وشرحه لفلسفة ارسطاطاليس كـــل هذا كتب باللغة العربية ، فليكن أصله فارسياً أو تركياً ، هذا لا يعنيني مطلقاً ، لان شخص ابن سينا لا يعنيني ، وانما الذي يعنيني ماتركه يحصى في التراث العربي ، لا التراث التركي ان كان للترك تراث . ماتمتاز به الثقافة العربيـــة والادب العربي ان هذه الثقافة وهذا الادب كما نعرفهما الآن ، وكما نعدهما الآن من التراث العربي الذي لا يقبل شكا ولا جدالا ، وليس كله من انتاج العرب ولكنه انتاج اجناس وامم مختلفة اتقنت اللغة العربية وشاركت فيها ونفوقت احياناً على العرب أنفسهم ، فهي حضارة انسانية قبل كل شيء ، هي عربية لانها كتبت باللغة العربية ، وهي انسانية لانها حفظت التراث الانساني القديم ، ونقلته الى انسانية كانت تجهله ، وأتاحت لهذه الانسانية في أوروبا ان تتحضر وان تتثقف وان تعيش الى الان متحضرة مثقفة منتجة في الحضارة والثقافة متفوقة حتى على العرب أنفسهم تفوقاً كثيراً . وبرغم هذا كله فهذا الغرب الاوروبي والامريكي مدين بثقافته للامة العربية أولا وللامة اليونانية بعد ذلك ، اكثر من هذا هذه اللغة العربية حاولت أن تفرض نفسها لا بسلطان السياسة - كما قلت - بل بسلطان الانسانية ، فأتيح لها النجح ولم تجد الا وطناً واحداً حاول مقاومتها ونجح في هذه المقاومة ، هذا الوطن هو الوطن الفارسي ، نجح في هذه المقاومة بعد ثلاثة قرون ، ولكنه اثناء هذه القرون الثلاثة الاولى كان يتخذ العربية لغة حديث ولغة أدب وانتاج علم ، فلما اتيح له النجح فيما بعد واصبحت اللغة الفارسية الحديثة لغة حديث يومي بين الناس ولغة التعامل بين الفرس ، لم يستطع الفرس ان يخلصوا من تأثير اللغة العربية ، ولن يخلصوا منـــه الى آخر الدهر ، ذلك لسببين بسيطين ، لان علومهم ظلت تكتب باللغة العربية الى عصور متأخرة جداً ، الى القرن التاسع للهجرة ، ظل الفرس اذا أرادوا ان يكتبوا في العلم كتبوا في اللغة العربية ولأن الشعر الفارسي الذي هو مكتوب باللغة الفارسية انما يقاس ويوزن على اوزان الشعر العربي فالشعر الفارسي اوزانه كلها هي نفس الاوزان العربية اخذوها عن العرب ، والشاهنامه التي هي صورة لمجد الفرس القدماء والتي هي آية من آيات الادب القصصي الفارسي - على طولها - تجري على وزن بحر عربي من بحور الشعر العربي وهو البحر المتقارب ، كل هذا ان دل على شيء انما يدل على ان أدبنا العربي في عصوره الاولى قد كان عالمياً بأوسع معاني هذه الكلمة وأقواها ،كان عالمياً لانه شمل العالم المتحضر كله في ذلك الوقت ، وكان عالمياً لانه فرض نفسه على أمم لم تكن تعرفه وكانت لها لغاتها وأدبها فنسيت لغاتها وآدابها وشغفت باللغه العربية وآدابها ، وكان عالمياً بنوع خاص لانه حمل امماً كثيرة

على ان تشترك في تهيئة هذه الحضارة الانسانية التي تعيش الانسانية عليها الآن . فمن الحمق ومن التعصب الممقوت ان ينكر احد ان العلم الذي ترجمه العرب عن الامم القديمة واضافوا اليه ما اضافوا هو بعينه الذي نقل الي اوربا اثناء القرون الوسطى واتاح لاوربا الغربية ان تنهض نهضتها الاولى واتاح لها ان تتحضر شيئاً فشيئاً ، حتى كان فتح القسطنطينية فاتصلت اوربا بالعلوم اليونانية والثقافة اليونانية اتصالا مباشراً بها بفضل العرب واتصالا غير مباشر ، حتى بعد اتصال الامم الاوروبية بالحضارات القديمة اتصالا مباشراً لاتزال الى الآن متأثرة بهذه الحضارة العربية ، ومتأثرة بكثير جداً من العلم العربي القديم ولا سيما في علوم الرياضة وفي بعض فنون الجغرافيا . بعد هذا كله هناك مشكلات اثيرت وما زالت تثار حول هذا الادب العربي القديم الذي نقول بأنه ادب عالمي بأوسع معاني هذه الكلمة . يقول بعض الاوروبيين ان الادب العربي ادب ساذج تنقصه اشياء كثيرة مما تمتاز به الآداب الغربية ، ونصدقهم نحن او يصدقهم منا كثير في هذا القول فيقولون ان الادب العربي خلا مثلا من الادب التمثيلي وليس في الادب العربي القديم تمثيل وهذا صحيح لا شك فيه ، ولكننا نعرف ان الادب اللاتيني مثلا لم يكن فيه تمثيل قبل ان يعرف التمثيل اليوناني فنقل الى اللغة اللاتينية وقلده اليونان وانشأوا تمثيلهم ، واللغات الأوروبية الحديثة لم تعرف التمثيل الا عندما اتصلت بالتمثيل اليوناني فنقلته وزادت عليه . الامة العربية لم تعرف التمثيل لسبب بسيط هو انها لم تكن امة يونانية ثم لم تكن لها هذه العبادات وهذه الديانات الوثنية القديمة كالتي كانت للامة اليونانية والتي كانت تقتضيها انواع من العبادة منهـــا العبادة بالتمثيل والامة العربية لم تترجم التمثيل اليوناني لسبب بسيط هو ان التمثيل اليوناني بالوقت الذي كانت الامة العربية تترجم فيـــه كان مقبوراً في الاديرة وفي الكنائس وفي الكتب ، وكان محرماً ان يمثل ومحرماً ان يقرأ لأن الديانة المسيحية كانت تحرمه تحريماً قاطعاً وتراه من اثار الوثنية . والامة العربية لم تعرف الالياذة والاوديسه لسبب بسيط لأن الالياذة والاوديسه لم تكونا معروفتين ولم تكونا منشورتين بل كانتا معدودتين من اعمال الوثنية ، فكانت المسيحية تحرمهما ولم يكن النظر فيهما مباحاً لاحد من الناس . الادب القصصي ليس في اللغة العربية كما يقال ، هذا ايضاً من الاخطاء الكثيرة الشائعة لأن الادب العربي لا يفقد الادب القصصي ولكن قصصه على طبيعته هو ، على طبيعة العرب لا على طبيعته هو والذين يقرأون شعرنا القديم ويقرأون اخبار الحروب وايام الناس وايام العرب ويقرأون النقائض بين جرير والفرزدق والاخطل ، يعرفون ان الادب العربي لم يخل مطلقاً من قصص الابطال والحروب وما الى ذلك من الاشياء

التي تصورها الالياذة ، ويصورها الادب القصصي اليوناني .خطأ آخريقال وهو ان ادبناالعربي ليس كالأدب الاوروبي الحديث لايشبه الادب الفرنسي والانكليزي ، وليس فيه مثل هذه الاشياء الكثيرة التي توجد في هـذه الآداب الحديثة فهذا بالقياس الى ادبنا القديم هو الظلم كل الظلم ، لأن ادبنا القديم عاش في عصور مضت عليها قرون طوال وليس مـــن المعقول ان نكلف ادباً قديماً ان يكون مجارياً ومشبهاً ومطابقاً لمقتضيات العصر الحديث الذي نعيش فيه، لأننا لا نملك ان نقدم دورة الزمن عن ميقاتها .

أدبنا القديم اذن ادب عالمي باوسع معاني هذه الكلمة ، وقد وصفته منذ زمن طويـل في بعض الأحاديث في المرتبة التالية للأدب اليوناني القديم ، ووضعته بين هذين الادبين القديمين اللاتيني واليوناني ، قلت ان الأدب العالمي الاول في العصور القديمة كان في اليونان ويليه الادب العربي ثم يأتي بعده الادب الروماني ، يقال ان ادبنا العالمي القديم تأثر بكل هذه الآداب وهذا صحيح لاشك فيه ، لأن اخص ما يمتاز به الادب العربي ، واخص ماتمتاز به اللغة العالمية هو انها تأخذ كما تعطي ويجب ان تكون بعرف الثقافات الاجنبية مفتوحة على مصارعها لكل لغة تريد ان تكون لغة قوية عالمية بهذا المعنى الذي قدمته لحضراتكم ، فاللغة العربية قد اخذت ثقافة اليونان وحكمة الفرس والهند ، واخذت في المغرب ثقافة اليونان ، هذا كله حق وهو دليل على قوتها ، ودليل على استعدادها للبقاء ، ودليل على استعدادها لأن تكون لغة حضارة انسانية عالمية. اما ادبنا الحديث فهل هو عالمي بالمعنى الذي قدمته الآن ، ام هو أدب محلي ؟ من احمق الحمق ان يقال ان ادبنا العربي الحديث ادب محلي وليس ادباً عالمياً ، أولا لأنه ادب ينتجه ويفهمه ويذوقه مقدر ضخم من اجيال الناس من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي ، واذا كان هـذا القسم الضخم من العالم متفقاً في ذوقه وفي عقله وفي شعوره ، يتكلم لغة واحدة ويكتب بلغة واحدة ويفهم ادبا مهما تختلف طبيعته او اشكاله فهو أدب عربي يذوقه كل انسان في هذا الجزء من الارض ، ويتأثر به كل انسان ، هذا الادب يمكن ان يكون ادبا محلياً لو ان ماينتج بالشام لايستطيع المصريون ان يقرأوه ولا ان يترجموه ، وحين يكون الادب المصري مستحيل القراءة في الشام او في العراق او في مراكش ، فاما وما يكتب في العراق وفي الشام نستطيع قراءته في جميع اقطار الارض العربية ، فلايمكن ان يشك في ان ادبنا العربي الحديث هو ادب عالمي ـــ وبالمعنى الآن ـــ المعنى الذي انكرته في اول هذا الحديث اي ان يكون ادبنا عالمياً تحفل به الامم الأجنبية الغربية اعتقد ان ادبنا العربي الحديث قد اخذ ـــ ايضاً ـــ يصبح ادبا عالمياً بهذا المعنى واخـــذ

الأوروبيون والأمريكيون يهتمون له ، ويحتفلون به ، ويكلفون انفسهم جهوداً لا بأس بها في قراءته ، وفي ترجمته الى لغاتهم ، وكان الروسيون اسبق الاوروبيين الى هذا ، فهم اول من حاول ان يترجم لما كتبه العرب في هذا القرن ، ثم تبعتهم امم اخرى فترجمت بعض الاثار العربية الى لغات مختلفة ، الى الانكليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية ، وبرغم هذا فهناك اشياء تحول بين ادبنا الحديث وبين هذه العالمية التي يطمع فيها كثير من الناس ، هذه الاشياء تنقسم الى قسمين اوجزهما لانني قد اطلت عليكم . اما القسم الأول فيأتي منا نحن ومن ادبائنا ، فأدباؤنا ، يحتاجون الى أن يعتنوا بأدبهم أكثر مما عنوا به الى الآن ، محتاجون الى أن يعنوا بأدبهم عناية مضاعفة تقتضيهم أن يتفهموا أدبهم القديم قبل أن ينتجوا أدبهم الحديث ، وتقتضيهم أن يفتحوا عقولهم لكـــل الآداب والثقافات الحديثة مهما يكن مصدرها ، فلو أعتمدنا على الأدب القديم وحده لكنا تاريخاً قديما يعيش في العصر الحديث ، ولو اعتمدنا على الادب الاوربي الحديث وحده لبرئنا من جنسيتنا ومن تاريخنا كله ، واذن فليس لنا بد من ان نجمع في عقولنا وقلوبنا بين هذا القديم الذي لا يجحده الا جاحد لنفسه والذي لا قوام لحديث بدونه ، وبين هذا الحديث الذي هو من مقتضيات الحياة التي نحياها . يجب ان نكون عرباً ويجب ان نعرف كل ما عند الامم الاخرى واذا استطاع ادباؤنا ان يبدأوا بتثقيف انفسهم اوسع ثقافة ممكنة في القديم والحديث واعمق ثقافة ممكنة في القديم والحديث ، يوم يستطيعون هذا سيشعرون وسيجدون في انفسهم هذا الشعور الانساني الواسع الذي لا ينبسط في العالم الحديث وحـــده وانما ينبسط الى اعماق الزمان ينبسط الى القديم ايضا يومئذ يكون الانتاج العربي انتاجا انسانيا باوسع معاني هذه الكلمة ، ويوم يكون انتاجنا العربي انتاجا انسانيا ينسجم فيه القديم بالحديث انسجاماً موسيقيا رائعاً يومئذ يفرض ادبنا نفسه على اللغات الاجنبية فرضا ، ويضطر الناس من الاجانب الى ان يترجموه والى ان يقرأوه في لغاتهم مترجما برغم هذا كله فقد اخذ ادبنا ينتشر شيئا فشيئا في اوروبا اكثر مما نظن لاننا الى الان ننتظر ان نرى كتبنا منتشرة في اللغات الاجنبية ولا نرى انفسنا قد انتجنا ادبا عالميـــا الا اذا نشر في الصحف ان كتاب فلان قد ترجم الى هذه اللغة وهذا شيء لا معنى له مطلقا . ادبنا اخطر جدا مما نعلم ومما نقدر ويكفيـــني ان تطوفوا في اقطار اوربا واميركا لتروا كتبا عربية لا تخطر لاحد منكم في بال تدرس في الجامعات الاوروبية يقرأها طلابها باللغة العربية ويكتبون عنها لاساتذتهم ويعلقون عليها ويتحدثون بها ، ويسعون بعد ذلك الى هذه البلاد العربية ليلقوا اصحابها وكتابها وليتحدثوا اليهم ، ثم يعودون وقد عرفوا عنهم ما استطاعوا ان يعرفوا ، ما الذي نريـــد اذا كانت آثارنا

الأن التي ينتجها شبابنا الأن تدرس في الجامعات وتعرض موضوعا للامتحانات العليا في بعض الجامعات الفرنسية ؟ اليس هذا دليلا على ان ادبنا قد اخذ يتجاوز الحدود العربية الى بلاد اخرى غير هذه البلاد العربيه ، والى بلاد كنا الى وقت قريب ترى بلاد القوة والبأس والسلطان . ان ادبنا قد اخذ يترجم اذن الى اللغات الاجنبية واخذ يدرس بنصوصه في الجامعات الاجنبية على اختلافها في اوربا وفي اميركا ، فهو من هذه الناحية يمضي الى الامام في العالمية الحديثة ولكنه يجد برغم هذا كله مقاومة خطيرة من الغرب وهذا هو القسم الثاني الذي يجب ان نلتفت اليه ، وان نتأهب للدفاع عن انفسنا امام هذه المقاومة ، هذه المقاومة تأتي من ان الغرب لايزال الى الان ينظر الى الأمة العربية على انها امة خضعت لسلطانه ولايزال يطمع في ان يخضعها لسلطانه السياسي او سلطانه العقلي او سلطانه الاقتصادي ، ثم لايزال ينظر اليها على انها امة من هذه الأمم التي يسمونها من الامم المتخلفة ، فهي اذن محتاجة الى معونة من الغرب : معونة عقلية واقتصادية وسياسية ، الغرب مؤمن بأنه لابد من ان يربينا تربية سياسية ، ولابد من ان يعاوننا معاونة اقتصادية ، ولابد من ان يربي عقولنا وقلوبنا واذواقنا ، فهو اذن لاينظر الينا اننا انداده بل ينظر الينا على اننا اقل منه خطراً وأهون منه شأناً . وينظر الينا نظرة فيها كثير من الرثاء وفيها كثير من الازدراء ، فنحن المستضعفون وهو القوي المتسلط ، ونحن الفقراء وهو الغني الموسر ، ونحن الجهلاء وهو العالم الذي بسط عليه العلم بسطاً وكذلك ينظر الينا هذه النظرة ، فاذا قدم اليه كتاب عربي فنظرته الاولى الى هذا الكتاب قبل ان يفتحه وقبل أن ينظر فيه تصرفه عنه ، لأنه كتاب رجل من هذه الأمة الضعيفة التي لم تصل بعد الى أن نحفل بها أو أن نسمع اليها ، هذا الشعور وهذا الأقتناع الذي يلمسه كل انسان يعرف الغرب ويعاشر الغربيين في بلادنا هو الذي يجب ان نتأهب احسن اهبة وأقواها لمقاومته ولتبرئة انفسنا منه ، لاينبغي ان نطمع الغرب فينا ولا ان نشعره بأننا اقل منه استحقاقاً ان يقرأ ادبنا ، واقل استحقاقاً منه ان يعني الناس بنا ، ويحتفلوا بما نعمل ونقول ، وسيلتنا الى هذا بسيطة جداً ، هو اولاً أن نؤمن بأنفسنا في غير غرور ، ان نعلم علم الغرب كله في غير احتياط ، يجب أن نعرف كل ماعند الغرب ، وأن نجلس الى الغربيين ونتحدث اليهم بعلومهم وآدابهم وثقافتهم كأننا منهم ليعرفوا ان ليس بيننا وبينهم فرق في حال من الاحوال ، وان نعتمد على انفسنا في تنمية اقتصادنا ، واشعار الغرب بأننا محتاجون اليه كما انه محتاج الينا ، لأن الحياة تقوم على التبادل لا على التسلط ولا على القهر . وكذلك في الشئون السياسيه ، واذن فأدبنا العربي قديمه عالمي كأوسع ما تكون العالمية ، حديثه قد اخذ ان يصبح ادباً عالمياً بالمعنى الصحيح

ولكنه في حاجة الى جهود كثيرة جداً ليفرض نفسه على الغرب ، وليفرض نفسه على الأمم المختلفة مهما تكن قوتها ، ومهما يكن بأسها ، والمهم قبل كل شيء هو أن يشعر العربي ،الاديب العربي بأنه انسان لايعمل لنفسه ، ولا يعمل لوطنه وحده وانما يعمل للناس جميعاً ، وهو اذن مكره على ان يعلم علم الناس جميعاً ، وعلى ان ينتفع بهذا العلم ، ثم مكره على ان ينفع الناس جميعاً ، وسبيلنا الى ذلك كما قلت واقول دائماً انما هو ان نفتح عقولنا وقلوبنا لقديمنا اولا ثم للثقافات الحديثة مهما تكن ومهما يكن مصدرها ، ومهما تكن الفروق بينها ، يوم نصنع هذا اؤكد لكم أن ادبنا سيكون ادباً عالمياً سواء اكنتم فهمتم من هذه الكلمة معناها الصحيح الذي صورته آنفاً ، او هذا المعنى الذي يطمع فيه شبابنا عندما يتمنون ان يترجم أدبهم الى اللغات الأجنبية ، يوم نكون اقوياء في أنفسنا ، أقوياء في تفكيرنا ، اقوياء في حياتنا العملية ، نفرض أنفسنا على الأدب العربي ، نضطر الغرب الى ان يترجمنا كما اضطرنا الغرب الى ان نترجمه الآن ، وانا مطمئن الى أننا آخذون في ذلك ، ومؤتمركم هذا دليل على أن الادباء قد أخذوا يشعرون بأن لهم حقوقاً يجب أن تكسب وأن عليهم واجبات ثقالاً يجب أن تؤدى وهم انما يجتمعون ليتحدثوا في هذا كله ، وهذه الحقوق التي يشعرون بأنها لهم وأنها يجب أن تؤدى حقوق خطيرة أهملت فيما مضى من الايام ، ويجب أن لاتهمل منذ الآن وتفضل رئيس الجمهورية السورية برعاية هذا المؤتمر دليل على أن الدول أخذت تشعر بحقوق الأدباء عليها ، بقي أن نشعر نحن بحقوقنا على أنفسنا وبهذه الواجبات الثقال التي يجب ان تؤدى للأمة اولاً وللأديب ثانياً وللانسانية بوجه عام ، فليس الأديب هو الذي تخطر له خواطر فيصوغها في ألفاظ رائعة وأساليب بديعة وانما الأديب هو الذي يشعر قبل كل شيء بأن عليه تبعة يجب أن يحتملها وان عليه مهمة يجب أن يؤديها وبأنه مسئول أمام ضميره عن هذا كله أولا وأمام أمته عن هدايه للناس أو تضليله لهم ، ثم أمام الانسانية هو مسئول أن يكون عنصراً نافعاً لاعنصر شر وضلال .

أيها السادة !.. اعتذر اليكم من هذه الاطالة ولكني لست الملوم الوحيد فيها ، وانما اللوم على الذين فرضوا علي موضوع هذا البحث ، وأؤكد لكم أني لم أحدثكم منه الا بأطراف قليلة جداً ولكنكم أدباء والأدباء يكتفون بالقليل ويفهمون منه الكثير وواجبان لابد من أن أؤديهما الآن وما أشك في أنكم تشاركونني في تأديتهما ، أما أولهما فشكر صاحب المعالي وزير المعارف على عنايته بالمؤتمر ، وعلى هذه الكلمة الكريمة التي تحدث بها عني ، ولكني كما قلت

اعرف ان أخواننا السوريين حكومة وشعباً لايحتملون بالشكر ولا يلتفتون اليه، اما الثاني فهو شيء من الوفاء الذي يجب ان تجده القلوب وان تؤديه النفوس راضية مطمئنة في كثير من الأمل وفي كثير من الحزن أيضاً ، ذلك ان هذا المؤتمر انما هو المؤتمر الثاني لأدباء العروبة . والمؤتمر الأول قد عمل على جمعه أديب شاعر كبير فقده الأدب العربي منذ حين هو المغفور له صلاح اللبكي ، فارجوا أن لاينقضي هذا المؤتمر دون أن يفكر فيه كل أديب من أعضائه ودون أن نرسل الى روحه الكريمة تحية خالصة قوامها الوفاء والحب ، وأن نسأل الله ان يشمله بمغفرته وعفوه وأن يسكنه فسيح جناته ـــ كما يقال في هذه الأيام ـــ

التعليق على المحاضرات

التعليق على محاضرة الأديب والناقد

للأستاذ نهيف الخوري

سيعفيني الاستاذ ميخائيل نعيمة ، ويعفيني كذلك حضرات السادة والاعضاء ، من ان اصور المنزلة التي يحتلها أديبنا الكبير في قلبي وفي قلوبنا جميعاً على ما أقدر وأوقن يقيناً ؛

وساجتهد على بعد الشقة بيني وبين الفيلسوف الاغريقي العظيم أن لا يكون موقفي من الاستاذ نعيمة غير موقف أرسطو من معلمه أفلاطون اذ قال ارسطو : فلاطون صديقي ولكني ايضاً صديق الحق وبقدر اوفر !

واني لا يخطر لي قط ببال أن يكون الأستاذ نعيمة قد شاء أن يسد علينا الطريق حين قال : ان ناقد نفسه بغنى عن نقد الناس له ؟ فمحاضرة الاستاذ نعيمة لم تخرج عن أن تكون نقداً من النقد . ولا أحب في الادباء المحاضرين من يقول : كفاني اني ناقد نفسي واني كنت بغنى عن هذه المحاضرة . فلقد أفدنا خيراً من محاضرة الاستاذ نعيمة في الحالتين . أفدنا خيراً حين أدى لنا ببيان جزل جميل حقائق نقره عليها . وأفدنا خيراً حين عرض علينا أفكاراً نجد فيها المجال متسعاً لمناقشته ومخاصمته الخصومة الشريفة التي لا محل لسواها بين الادباء .

يبدو لي أن الأستاذ نعيمة حائر في أمر النقد هذا وفي أمر الناقدين . فطوراً هو يعظم من أمر النقد والناقدين حين يذكر تين الفرنسي وبيلنسكي الروسي واعلاماً غيرهما ، وحين يؤكد لنا ان من آثار النقد ما قد ارتفع الى مرتبة الخلق الفني الرائع ، وتارة هو يضائل منَ أمر النقد والناقدين حتى ليكاد ينكر فضل هؤلاء ويجعلهم كالدجاجة التي تقوقي كلما باضت رفيقتها ويدعوهم الى الشغل بأنفسهم والى الانتاج الادبي وترك سواهم وشأنه .

وليس يخالف أحد الاستاذ نعيمة في أن ثمة نقداً وآخر . ثمة نقد مصيب عميق ونقد خاطيء سطحي . ثمة نقد نزيه ونقد خسيس . ولكن أليس ذلك شأن الاشياء جميعها أن تقع في أصناف تتفاوت من جيدة تبلغ الدرجة القصوى في نفاستها وتافهة تنحط الى الدركة الدنيا ؟

وهل بوسع الاستاذ ان ينكر ان النقد العربي الحديث سواء منه ما اتصل بتقييم التراث العربي القديم او بتعريف روائع الآثار الغربيـــة وتحليلها قد اسهم بحظ مرموق في حركات التحرر والانطلاق التي خضع لها الأدب العربي الحديث ؟ ألم يسهم كتاب طه حسين « الادب الجاهلي»

في تحرير فكرنا من نظرة التصديق والتقديس المطلقة لكل مانقل الينا عن السلف الصالح الذي نكبره ، وينبغي لنا ان نكبره ، مع عرفاننا بقصور الحدود والآفاق التي كانت له عن . الحدود الأفاق التي تطالعنا في عصرنا ؟ الم يسهم كتاب الاستاذ نعيمة نفسه « الغربال » في صرف الكثير من ادبائنا المحدثين عن المعاني والقوالب التي أصبحت في عصرنا محنطات ميتة ؟ بلى !

ولئن كان صحيحاً ان النقاد مجتمعين جميعاً لم يؤتوا القدرة على ان يخلقوا متنباً واحداً فصحيح ايضاً ان المتنبي نفسه وشكسبير نفسه وعظائم الشعراء كلهم أعجز من ان يخلقوا متنبياً آخر أو شكسبير آخر . وكذلك يبقى صحيحاً ان الموهبة الادبية التي هي سر من الاسرار ، والتي اعطيت للناس وللادباء انفسهم على اقدار متفاوتة ، لاتنجـــلى حق تجليها ولا يشرق جوهرها الا اذا حكها وشحذها وصقلها النقاد حتى المتحاملون منهم . وتاريخ الادب حافل بالشعراء والكتاب الذين كشف النقاد لانفسهم عن انفسهم فوجهوهم الى الخلق الادبي الذي يجيدون ، اواستفزوهم بتحاملهم الى الاجادة والابداع في مايكتبون وينظمون .ايحسب الاستاذ نعيمـــة ان لم يكن فضل لنقاد المتنبي على المتنــــبي نفسه في حفزه الى حشد قواه المبدعة للتحليق في الكثرة الكثيرة من قصائده ؟ ايحسب الاستاذ نعيمة ان لم يكن مثل هذا الفضل لنقاد شوقي على شوقي نفسه ؟ فشوقي الذي انتقده الاستاذ نعيمة لذلك المنوال التقليدي الذي نسج عليه قصيدته بعد عودته من الاندلس : « انادي الريح لو ملك الجوابا » هو نفسه الذي اصبح يقول في قصيدتـه « مصاير الايام » يصف الصغار في غدوهم ورواحهم الى المدرسة :

يراح ويغدى بهم كالقطيع ... على مشرق الشمس والمغرب
الى مرتـع الفوا غيره ... وراع غريب العصا اجنبي
وتلك الاواعي بايمانهم ... حقائب فيها الغد المختبي !

وهو شوقي نفسه الذي اصبح يقول في القصيدة نفسها يصف ساعة المدرسة الدقاقة :

يدق بمطرقتيهـــا القضاء ... وتجري المقادير في اللولب !

فأذا لم يكن هذا هو الابداع ، فدلونا على الابداع او اذا لم يكن شوقي قد صار الى هـذا الابداع بحوافز منها النقد فقولوا لنا بأي حافز اذاً ، تطورت عبقريته واشتعلت خصائصها الكامنة وسمت الى تلك الذروة ؟

انا سمعنا بكثير عن اعمال يقدم عليها البشر ليجعلوهـــا خاتمة اعمال من نوعها ضاقوا بها ذرعاً لكثرة ماطال عليها الأمد سمعنا بانتخابات تجري لانهاء جميع الانتخابات، ومؤتمر يعقد

لانهاء جميع المؤتمرات. وكأني بالاستاذ نعيمة يأتينا اليوم بمحاضرة في النقد لانهاء جميع النقد إلا ماسماه نقد الذات كأن نقد الغير ونقد الذات عملان لايتصلان اوثق اتصال ولا يرجع واحدهما الى الآخر ! ولكن النقد سيستمر ، كما ستتكرر الانتخابات والمؤتمرات ، جعلها الله جميعاً اكثر جدوى !

على ان هذا المأخذ على موقف الاستاذ نعيمة ربما كان طفيفاً اذا قيس بمأخذ اساسي وهو قبوله هذا التفريق القاطع بين النقد والادب ، فالنقد هو ايضاً ادب من الادب . وحكم النقاد لايختلف عن حكم الادباء في ان بعضهم مبدعون وبعضهم سخفاء وسيظل فيهم السخفاء والمبدعون . كل مافي الأمر ان النقد فرع خاص من فروع الادب . النقد لايعدو ان يكون ادباً يتخذ من الادب نفسه موضوعه .

غير ان ثمة مأخذاً آخر ينبغي لنا ان نقف عنده طويلاً فالاستاذ نعيمة حين يميل الى هذا التهوين من شأن النقد والناقدين انما يعتمد على فلسفة ، ليؤذن لي ان اصفها بالمائعة . فلسفة يصر بعض المفكرين على ان يستمدوا منها نتائج خاطئة بليغة الضرر . تلك هي الفلسفة «الليبرالية» المحض . وادعوها بالعربية « الاصطفالية » (١) وهي تستند على أن هذه القيم التي نسميها الحق والخير والجمال قيم متحولة متبدلة في العصور عدا أنها في كل عصر وبيئة تختلف مفاهيمها بل تتضارب نسبة حتى الى الاشخاص والافراد . وهكذا تكون النتيجة ان ليس في الواقع من حق ولا خير ولاجمال ترسم حدودها واضحة معينة لاشية فيها ، وبالتالي ليس في الواقع من نقد بوسعه ان يدعي انه يصدر عن هذه القيم قيم الحق والخير والجمال . كلا ، ايها السادة ! ان اختلاف الناس بل تضاربهم في تعيين قيم الحق والخير والجمال لاينفي وجود هذه القيم ، ولا امكان معرفتها . وتوضيح معالمها في عصر من العصور بالتجربة والبحث البشريين . وبالتالي لاينفي امكان النقد الذي يستمده من هذه القيم ويستند عليها . كل مافي الأمر ان النقد نفسه ينبغي له ان يخضع بدوره للنقد يصدق هذا على النقد الذاتي ايضاً . فانه كغيره من النقد هدف للخطأ وعرضة لان ينطوي على ادعاء وتدجيل ولأن يكون مسكنة كاذبة وسبيلا الى الشهرة الرخيصة . ولذلك نوافق الاستاذ نعيمة على ان الناقد ـ ولاسيما ـ اذا صدر في نقده عن مجرد فرديته ما ينبغي له ان يتشبث ويدعي أن قوله هو الكلمة الفصل والكلمة الاخيرة . ماينبغي له ان يتشبث حتى لو كان ينقد نقداً ذاتياً ، وليست تصح في كل الاحوال حتى دعواه انه اعرف بنفسه . ولكن مع هذا يبقى صحيحاً ان

---

(١) من قول العوام : اصطفل ، أي : افعل ماتشاء فحبلك ملقى على غاربك ؟

العقل البشري قادر على ادراك قيم الحق والخير والجمال وان نقداً يستقي من هذه القيم انما هو في طوق القدرة البشرية فاذا وجد هذا النقد ، وهو ممكن الوجود ، وجلا الحقيقة وجلاؤها ممكن ، فلا يبقى مجال للرأي الفردي الخاص . خذوا مثلا قصة استقلال الشعوب وحريتها وحقها في العدالة الاجتماعية وفي التصرف بمقدراتها الوطنية ، اهذه مجرد رأي ام هي حقيقة لا يأتيها الباطل من خلفها ولا بين يديها ؟ فاذا وجد اديب يجادل في هذه الحقيقة ، اذا وجد كاتب — لا اذن الله — يناقش في حق مصر ان تؤمم قناة السويس أو في حق العرب ان يتسلموا مقدراتهم بايديهم وان يبنوا لانفسهم الحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية والوحدة وشكل الوحدة التي ينشدون ، وانبرى ناقد يقول لهذا الاديب انت على ضلال ! فما اعتقد ان بوسعنا ان نقول لهذا الناقد: هذا رأي تراه . ولكل انسان الحق في ان يرى الرأي الذي يشاء ، وكلمتنا ليست هي الاخيرة اي موقف مائع يكون مثل هذا الموقف ؟

وهنا موضع التنويه بأمر فات الاستاذ نعيمه . وهو أن الناس لاتختلف عندهم مفاهيم الحق والخير والجمال بمحض التصور والاعتقاد والظن والتقدير . بل تختلف كذلك باختلاف المصالح المادية . ومن هذه المصالح ما يكون اساسه الحق ومنها مايكون اساسه العدوان . وهذا مايبينه النقد والا فمن منا يصدق ان الذين يجادلون مصر في حقها ان يؤمم القناة غير عالمين ومقتنعين في صميمهم بانهم على باطل ، ولكن مصالحهم التي تقوم على العدوان هي التي تدفعهم الى السفسطة وتلبيس باطلهم لباساً من « الحق » اشف واوهى من نسيج العنكبوت .

أيها السادة والاعضاء : اوصانا الاستاذ نعيمة في ليبراليته واصطفاليته ان لا نتحمس لمفاهيمنا عن الحق والخير والجمال الى حد لانترك معه مجالا لسواها ، واقول : بل ان أبسط موجبات الحياة تقضي علينا بهذه الحماسة . وعقيم هو الشعب الذي لاتوجد فيه مثل هذه الحماسة ولا الشهداء في سبيلها .

وامر آخر يصدر عنه الاستاذ نعيمة يقوده الى الخطأ المبين ، وهو اغفاله التفريق السوي بين النقد الانساني وما سماه نقد الحياة ونقد الطبيعة اما نقد الحياة فلا نعرف له وجهاً الا ان يكون هو النقد الانساني . ذلك بان الحياة اذ انتقدت ذاتها بذاتها كما يقول الاستاذ نعيمة فهي انما تفعل ذلك بوساطة الانسان ذي الحس والارادة والتمييز والتصرف والاختراع والاختيار . واما الطبيعة فلا يصح القول بان لها ملكة النقد الا على سبيل التعبير المجازي ان شئنا . ذلك بان الطبيعه غافلة ، وتصرفاتها تلقاء الانسان قاسية وخبيثة في احيان كثيرة ، او هي حيادية لامبالية

في احسن الاحوال . والذي قاله الاستاذ نعيمة من ان الانسان قد لايكون عند الطبيعة افضل من بعض حشراتها ، هذا القول بالذات دليل على ان هذه الطبيعة غبية والا فيم تنعت هذه الطبيعة التي تأذن لبرغشة مثلا ان تلسع شكسبيراً او متنبياً فتقتلهما بما تدس فيهما من فتاك الجراثيم . والاستاذ نعيمة الذي استدرك بان الانسان لايعيش في الطبيعة كنقطه في بحر او عشبة في مرج او ضفدع في مستنقع قد سها عن متابعة هذه الفكرة الصحيحة الى نتيجتها المنطقية الصحيحة . ولذلك اولع بانتقاء التشابيه من الطبيعة · جمادها وحيوانها ، واطلاق تلك التشابيه على الشؤون المتصلة بالانسان مع ان التشابيه قد اذن بها في التعبير لتقريب الافكار لالتصبح حججاً تثبت صحة هذه الافكار . والا فللمستعمر ان يقول لنا مثلا : ان القطة تفترس العصفور ، والذئب يلتهم الشاة ، ومن النمل من يسخر نملا غيره لاجتلاب رزقه ، ولذلك كان من الطبيعي ان يسخر المستعمرون من يستضعفون من الشعوب . كلا ، لايصح مثل هذا المنطق . لايصح بالمقياس الانساني ان نقول ان الطبيعة تتمتع بملكة النقد . بل الصحيح الذي لاصحيح غيره ان ملكة النقد خاصية انسانية وحسب . وموقف الانسان من الطبيعة التي تكتنفه ويتواشج واياها ، ان يمزق باقتداره حجبها عن اسرارها ، ويتحدى غباوتها بعقله ، ويسخر ما قد حوت هي ذاتها من طاقة ووسيلة في سبيل اخضاع هذه الطبيعة لخدمته وسعادته . موقف الطبيعة من الانسان هو ان ينتقدها ، ويعيد تنظيمها تنظيماً عقلانياً افضل في نطاق امكاناته وامكاناتها .

ويخشى الاستاذ نعيمة اننا لو كانت لكل منا الحرية والسلطان ان يطبق على الطبيعة مقاييسه الخاصة في الحق والخير والجمال لبدأنا بابادة الحشرات التي تزعجنا جميعاً فقتلنا البرغش والدود وانتهت بنا هذه المجزرة — والعياذ بالله — الى افناء جميع من يخالفنا في الرأي . كلا ياسيدي الاستاذ ! والذين يسوون بين النظرة الى الطبيعية والنظرة الى البشر هم الذين يتورطون في هذا المنطق ، ولتسمح لي انه مضحك . فنحن لانقتل البرغش والدود وسائر الحشرات لأن ذلك شيء يتصل بالصراع حول الحق والخير والجمال ، او لأن هذه الحشرات ترى رأياً تخالفنا فيه ، حتى نخشى ان ننتهي من هذا العمل لتسلسل منطقي الى قتل بعضنا بعضاً وانه لآخر علمنا ان للدود والبرغش صلة بقضايا الحق والخير والجمال والآراء والمذاهب ! يستطيع البشر ياسيدي الاستاذ ان يبيدوا البرغش كله والحشرات المؤذية ويسخروا الطبيعة حتى الشمس نفسها . هذه التي تشرق كما تقول على الاخيار والاشرار معاً ، لانها خلق غبي ، ثم لاخوف على البشر ن ان يأخذ بعض لهذه العلة بخناق بعض على ان سيادة البشر على الطبيعة لن تتم الا اذ تم تحكمهم

في نظمهم الاجتماعية فجعلوها نظماً افضل واشد وعياً تشع فيها الحرية والعدالة لجميع الشعوب والافراد وبلغى فيها استبداد الانسان بالانسان، لأن النظم الفاسدة هي التي توقع هذا التناحر الذي تخشاه بين البشر ، وهي التي تهدد الكثير من جهودهم المبدعة وتصرف الأقوام عن ان يتكاتفوا جميعاً ضمن نطاق استقلالهم وكرامتهم لاتمام قهر الطبيعة

اخواني الأعضاء :

اني ابعد الناس عن مذهب اخضاع الاديب لتلقين او تقنين فكري تفرضهما عليه الدولة أو يفرضهما عليه الناقد . مع اني اجد فرقاً بعيداً بين الدولة والناقد . فالدولة تستطيع بما اوتيت من وسائل ان تمارس العنف في حق الاديب لانها لاترضى عن ادبه . وهذامالا يصح ولايجوز، بينما الناقد لم يؤت من الوسائل الاالوسائل الادبية نفسها ، يرد على القلم بقلم مثله وعلى الفكر بفكر مثله ويعمتد على البرهان والاقناع ، وهذا جائز بل واجب حتم · ولقد سبق ان جعلت الناقد مجرد اديب ، ألا انه يتخذ موضوعه من الادب نفسه . فمن الضروري هنا ان ننوه بفرق آخر خطير ، وهو ان الاديب قد يقدم على عمله الادبي وهو يتصور انه غير محمول عليه الا بدافع نفسه وتلبية حاجته الى التعبير واخراج مافي صدره ، وهذا يعني ان الاديب قد لا يستشعر في عمله الادبي هذه الحقيقة الراهنة وهي ان الاديب يمتد الى ماوراء نفس الادب ليتصل باصول وجذور اجتماعية وسياسية واوضاع قومية ووطنية وعالمية لامعدى له عن ان يتأثر بها واعياً اوغير واع فللناقد هنا عمل خاص ، وهو ان يكشف للاديب نفسه وللقراء تلك الصلات الخفية البعيدة بين أدب الاديب وعصره ومجتمعه وشعبه ووطنه ، ففي ذلك انارة للاديب وتمكين الصلة من ان يضع ادبه على ضوء رسالته .

اما هذه الرسالة التي نريدها اليوم فهي رسالة الحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية وجمع الشمل للشعوب العربية

قولوا لي اي رسالة هي اشرف ؟

بقي ان ننتقل من تعيين هذه الغاية الكبرى العامة الى مرحلة اخرى هي الدخول في الدقائق والتفاصيل، وفي اطلاق النشاط الادبي وتشقيق الفنون الادبية التي نرى انها تخدم رسالتنا خدمة امينة لائقة بشرف الفكر والعلم .

التعليق على محاضرة الأديب والدولة

للدكتور يوسف ادريس

أحييكم أيها السادة الزملاء ، وارى في اجتماعكم الموقر جذور وحدتنا العربية المتحررة وسيقانها وأطمح في أزهارها وثمارها .

وبعد ! نحن جئنا من مصر في التاسع عشر من شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٥٦ ميلادية ، والتقينا في سوريا في العشرين من نفس الشهر . جئنا من مصر التي تحيطها قوى الاستعمار الغاشم وتهددها ، والتقينا في سوريا التي تحيطها قوى الاستعمار وتهددها . ونحن كتاب سورية ومصر والعراق والاردن واليمن ولبنان جئنا نناقش قضايا وقضايانا هي من صميم قضايا شعوبنا . نحن لم نأت ايها السادة لننفصل عن شعوبنا وقضاياها ، لقد جئنا لنزداد بها ارتباطاً جئنا لنصنع شيئاً ، ولم نأت للنزهة ، ولم نأت للتمتع بمشاهد بلودان . أما لماذا جئنا فالسبب بسيط . ان الحاجة هي أم الأختراع كما يقولون . وإذا صح ، فالحاجة أم المؤتمرات ايضاً ونحن احتجنا هذا المؤتمر فعقدناه . وان يلقي كل منا هنا آراءه الشخصية ، وأن يعبر عن ذاته وما لا يراه ، شيء قد يكون جميلا في حد ذاته ، ورائعاً ، ولكنه ابداً ليس مانحتاجه . اننا لم نعقد هذا المؤتمر ، وفي هذا الوقت بالذات عبثاً ، ولا عقدناه لنغرق في بحوث تاريخية ، وندرس أصل الكون ومنشأ الخليقة ، وهل تطور الانسان من قرد ام هل يتطور الانسان الى قرد ! لقد عقدنا هذا المؤتمر لحاجة ، وحاجتنا هي ان نتكتل لنواجه قوى الأستعمار التي تهددنا . حاجتنا ان الانكليز يتهيأون للانقضاض على مصر وسوريا ، حاجتنا ان اسرائيل تقتل المواطنين في الأردن ، حاجتنا هي الدفاع عن النفس . لقد عقدنا هذا المؤتمر وتجشمنا العناء لندافع عن انفسنا ، لندافع عن تراثنا وأدبنا وحضارتنا وقوميتنا .

ودفاعنا عن انفسنا أن نتكتل ، ودفاعنا عن انفسنا ان نتناقش فيما يفيد ، وأن نتفق . وواضح أننا اذا سرنا على هذا المنهاج فلن نصنع شيئاً ، وممكن أيضاً أن تحدث هوة بيننا وبين شعوبنا وقضايانا وأن نجد أنفسنا منعزلين هنا الى أن يحل الخريف ، ويأتي الشتاء ومن بعده صيف ، ونحن لا نزال نشرق ونغرب ونتناقض كاهل بيزنطة .

أيها السادة ! أجل ، لقد جئنا لنتفق ، وجئنا لنتفق على مايمكن الاتفاق عليه اننا نمثل مختلف الاتجاهات الفكرية والفنية . ولن ننتهي أبداً اذا أردنا أن نوحد بين اتجاهاتنا أن بيننا اتفاقاً مبدئياً اننا كلنا كتاب عرب ، ولقد اجتمعنا لنتفق على نقاط اكثر . ولقد أرسلتنا شعوبنا وحكوماتنا ، لا ليظهر كل منا قوته وعضلاته ويرفع رأس بلده عالياً، لا ، لسنا في سوق عكاظ، ولسنا من هيئة أمم ، ولسنا من بيزنطه ، نحن هنا في بلودان ، كتاب عرب ، جئنا والمحن تحيط بشعوبنا ومن ثم تحيط بنا ، وقد جئنا لنقوى ، وجئنا لنناقش ونتفق .

واعترف اني استفدت كثيراً من هذا العرض الرائع الذي تفضل به الاستاذ فؤاد الشايب والذي صور تاريخ انبثاق فلسفات تحاول ان تتفهم مشاكل عصرها ، وتجد الحلول الملائمة لها لقد وضح لنا من خلال محاضرة الاستاذ الشايب ان هوبس وروسو كانا يمثلان قمة الصراع في عصرهما خير تمثيل ، وواجبنا ايضا ، ان نكون مثل هوبس وروسو والاساتذة الكبار ، واجبنا ان نمثل مشاكل عصرنا ووقتنا خير تمثيل . لقد جلست استمع الى محاضرة عن الأديب والدولة فاذا بي اسمع كل شيء الا مايختص بعلاقتنا نحن الادباء العرب ودولنا . في تسعة اعشار المحاضرة حدثنا الاستاذ الشايب عن العلاقة بين الفرد والدولة وليته حديث عن الفرد والدولة بوجه عام ، ولكنه حديث عن العلاقة بين الفرد والدولة كما يراها ثلاثة فلاسفة او اربعة اصطفاهم الاستاذ المحاضر وانتقاهم وفضلهم على غيرهم وجعل منهم انبياء ، وجعل من كلامهم حكمة عليا ليس وراءها حكمة وفي العشر الباقي لم يدرس لنا الاستاذ المحاضر العلاقة بين الاديب والدولة ايضاً . ولكنه بلور كلامه من نصيحة اطلقها في وجه اناس قال لهم : اتركوا الملهم لالهامه .

وكان من واجبي أن أعتبر الجزء الأكبر الأول من المحاضرة خارجاً عن الموضوع والا اناقشه ولكني رغماً عني لم أستطع أن اكبح جماح بعض الافكار التي ساورتني وأنا أسمع المحاضرة ثم وأنا أقرؤها .

كل ما خرجت به من عرض الاستاذ الشايب أن هناك شيئاً هائلا اسمه الدولة ، وان هناك شيئاً اسمه الفرد ، وهناك ، خلافات ومعارك مستمرة بين الدولة وبين الفرد ، وأن هوبس وروسو وسبنسر وآدم سميث وكارل ماركس وكارليل قد حاولوا وضع شروط للصلح ، وفشل الصلح في كثير من الاحيان ، ولا تزال المعركة مستمرة الى الآن .

اسمحوا لي ايتها السيدات والسادة أن أسأل الاستاذ الشايب اية دولة يعنيها ، وأي فرد

يعنيه ؟ وهل نحن كتاب الانسانية جمعاء ، قد انعقدنا في مؤتمر حضره المفكرون من افلاطون الى رسل ، ومن هيرودوتس الى الاستاذ المحاضر نفسه لوضع الأسس للعلاقة التي يجب أن تكون بين الفرد والدولة .

أبداً . لسنا كتاب الانسانية جمعاء . نحن كتاب عرب . ومؤتمرنا هـــذا محدود بزمانه ومكانه ، والمشاكل التي علينا ان نجابهها ، ولو كان الاستاذ فؤاد الشايب قد عرض لنا تاريخ العلاقة بين الفرد والدولة بوجهة نظره لاستطعنا مناقشته . ولكنه عرض لنا تلك الآراء وتركنا أحراراً نختار منها مانشاء . ليس هذا فقط ، بل ان الاستاذ المحاضر لم يتعرض كما قلت لعلاقتنا نحن الكتاب العرب بدولنا . العلاقة التي قامت من الماضي ، والعلاقة القائمة الآن ، والعلاقة التي يجب ان تقوم .

ولم يتعرض الاستاذ المحاضر لعلاقات قائمة فعلا بين الاديب ودول عربية معينة . اذ في الوقت الذي نجتمع فيه هنا نستمتع بحريتنا هناك زملاء لنا في بلد عربية معينة محرومون من حق المناقشة ومن حق ابداء الرأي.

ان الاستاذ الشايب قد افترض وجود دولة خيالية ما ، وفرد خيالي ما وراح يناقش العلاقة بينهما ، ونسي في خضم حماسه لمناقشة تلك العلاقة ان هناك دولا ودولا وأدباء وأدباء .
نسي ان هناك دولا باغية مستعمرة تفتح افواهها لتبتلعنا نحن الأدباء العرب بشعوبنا وتراثنا القومي وبترولنا واراضينا ، وان هناك دولا اخرى صاحبة حق تدافع عن شعوبها واراضيها ضد العدو الفاغرفاه . ماموقف الاديب من الدوله الباغية ، وما موقفه من الدولة المدافعة ، من دولته ما موقفنا نحن الكتاب العرب من الدول الاستعمارية ذات المطامع وما موقفنا من دولنا المدافعة عنا ؟ لم يقل لنا الاستاذ الشايب شيئاً عن هذا ثم بأي منظار ينظر الأستاذ الشايب الى العلاقة بين الاديب والدولة . هو افتراض دولة ثابتة لاتتغير ، وافترض فرد ثابت لايتغـــير ، ودرس العلاقة بينهما واورد لنا آراء بعض الفلاسفة من تلك العلاقة ومن المعروف ان الاشياء تنمو وتتغير على الدوام . وان الدولة بشكلها الحالي مختلفة تماماً عن الدولة ايام ارسطا ليس والفرد ايام سبارتاكو مختلف تماماً عن الفرد ايام هتلر . الدولة في نمو دائم والفرد في نمو دائم وتغير دائم ، فليس هناك شيء ثابت اسمه الدولة ، لاشيء ثابت اسمه الفرد ، وليست هناك علاقة دائمة ثابتة اسمها العلاقة بين الفرد والدولة الدولة تتغير والفرد يتغير لكنه العلاقة بين الفرد والدولة في تغير دائم .

ثم من قال ان الليفياتان هو سفر الاسفار وتوراة العصر ومورد كل مثقف فيما تلى من عصور ؟ وكيف يورد لنا الأستاذ الشايب التاريخ على انه تاريخ فلاسفة ومفكرين ، والتاريخ — كما هو معروف — تاريخ الصراع بين قوى عديدة متشابكة ليس اقواها قطعاً الفلاسفة والمفكرون .

وليس هذا كل شيء . فلقد اثار لنا الاستاذ المحاضر نقطة ليس هذا مجال مناقشتها على اية حال . قال ان الحقيقة والجمال قيم غير اجتماعية . ولم يثر هذه النقطة فقط ولكنه طلب منا ان نسلم معه بها وكيف نسلم معه بها . كيف نسلم ان العسل حلو بغير ان نتذوقه ، وان هناك جمالاً بغير الانسان وحقيقة أخرى غير تلك التي يراها ويحسبها ويرصدها تحت الميكرو سكوب اذا سلمنا معه بهذا كان علينا ان نسلم ايضاً كما يقول بأن تجربة الخطأ والصواب يجب ان تستمر وراء حدود الزمان والمكان . فاين تجري تلك التجربة ، واي بقعة في العالم نختارها بلا مكان او زمان لنجري فيها تلك التجربة . افي عالم الارواح نجربها .

ثم من قال « ان الكتاب والمفكرين هم العزاء للعالم المادي المسكين المنهار من دوامة الغرق والانتحار ، ينظر في الليل البهيم الى نجوم المساء »

هل العالم يااستاذنا غارق فعلا او من كان غارقا فعلا في دوامة الانتحار الظلام : ومن اين جئنا نحن الكتاب والمفكرون ، وهل نحن جان أم عفاريت ، ام كائنات فيها قدرة إلهية نستطيع بها ان نخترق حجب الظلام وننجو من الغرق ، ونأتي لنعقد مؤتمرا في بلودان .

ويقول الاستاذ «لابد ان ينظر المجتمع باستهجان الى الاعمال الفنية التي تعبر عن قيم جمالية». فمن اين جاء به : اليقين؟ وكيف يؤكد ان المجتمع لابد ان يقر احد امرين : اما ان يعتبر هذا النشاط مؤذيا وهداما وغير خلقي او الاعتراف بان نشدان الجمال هذا والحقيقة لايمكن ان تقاس بمقاييسنا الاجتماعية ، ولابد ان توضع فوق مستوى الذات والبشر والوجود وتقدس وتعبد ؟

لقد وضع الاستاذ المحضر قضية ثم راح يناقشها على اعتبار انها الحقيقة . وليست هي الحقيقة ايها السادة الواضح الآن اننا لسنا في عصر غاليليو ، واننا لانحرق المفكرين ، ولا نضرب الكتاب . ان الاستاذ المحاضر يفترض ان العالم لم يتقدم من ايام الاسكندر الى الآن، وانه لايزال ينظر الى الفن والادب والابتكار على انه وكفر ولوثة من لوثات الجن والشياطين واضح ايها السادة ان الفنانين والمفكرين في عصرنا هم القادة ، هم المقربون المبجلون الذين ينالون المجد والشهرة وتفتح لهم الابواب .

ويفترض الاستاذ المحاضر ايضاً ـ في سبيل حماسه الدفاع عن الاديب ـ ان هناك دولة ما اودولاما توفرت لها الفعالية والفراغ فوضعتهما تحت ابطها لتوجه الآداب والفنون والعلوم وقد راجعت خريطة العالم لاعثر على تلك الدولة فلم اعثر لها على اثر . وقد بنى الاستاذالمحاضر على هذا الفرض اهرامات وتحذيرات . وواضح جداً انليس هناك دولةتجرأ على وضع الأديب والعالم تحت ابطها . وحتى اذا وضعته تحت ابطها فانها تضعه لتقيه البرد والجوع ، لتقيه التشرد لتقيه ان يعمل خادما وماسح احذية ، لتقيه ان ينتحر من الازمة ، وبيبع عرضه من اجل البقاء لتقيه وتتيح له الفرصة ان ينتج ويبدع ويخرج مافي اعماقه من كنوز .

يقول الاستاذ المحاضر : اتركوا الملهم لألهامه .

وهنا بيت القصيد كما يقولون . عند هذه النقطـــة كان يجب على الاستاذ المحاضر ان يتوقف طويلا ، ويشرح لنا رأيه . كيف نترك الملهم لالهامه ؟ كيف نترك نيلسون يقول بتفوق العنصر الجرماني وسموه ، كيف نترك عالماً يحضر لافظع انفجار هيدروجيني . كيف نتركاديبا ينادي بسحق كل القيم ، وبمسخ كل ماوصلت اليه الانسانية من روائع من الحق والمعرفة . ثم كيف لانترك اديباً ينادي بالحريه ، وكيف نسجن مفكراً لانه ينادي بالسلام ، وكيف نطرد عالماً لانه أبى ان يدنس يديه في مؤامرة لمحو الجنس البشري ؟

ثم الى من يتوجه الاستاذ المحاضر بقوله : اتركو الملهم لالهامه ؟ ومن هو الملهم وهل هو الاديب اوالعالم اوالفنان او المجنون ؟ وباي مقياس نقيسه ، وهل هو الملهم الصيني او الياباني امالهندي ، وهل نقول هـذا للاسكنـدر ام لهتلر ام لايدن ؟هنا كان يجب ان يتوقف استاذنا المحاضر ، واني اتوقف هنا ،

لقد افترض الاستاذ الشايب وجود تناقض دائم مستمر بين الدوله ، اى دولة ، وبينالفرد ، اى فرد لم يشرح لنا سبب وجود هذا التناقض، ولا اشار لحالة واحدة ممكن ان ينعدم فيها هذا الصراع ويتوقف . الصراع له اسباب الاديب ينادي باشياء والدولة تنادي باشياء . ومن هنا نشب الصراع . ولكن ماذا يحدث لو اتفقت الاشياء التي ينادي بها الاديب بتلك التي تنادي بها الدولة . وهل لابدمن حالة كتلك من تلمس اسباب خلاف ، واستجداء الاسباب ان لم توجد .

ان الدولةفيعصرنا الحاضر لمتعددولة واحدة . لقد اصبحت عدة دول هناكدول باغيةمستعمرة تستمد وجودها من الاعتداء على حقوق الآخرين وسلبهم مطالبهم . وهناك دول يحكمها شعب

مباشرة ، لايستغل احداً ولا يسيطر على احد . وبين هذه وتلك توجد دولنا ، الدولـــة ذات الحكومات الوطنية التي تطمح في التحرر الكامل والاستقلال . فماذا يكون موقف الاديب من تلك الدول ؟ وهل دور المفكر او الأديب ان ينشب اظافره في اية دولة تظلله ، ومن ايـــة جماعة بشرية يكون عضواً فيها بحيث اذا لم ينشب اظافره عد غير مالك لحريته وغير مزاول لها؟

كان من الواجب على الأستاذ الشايب ان يوضح لنا هذا ويوضح لنا بالذات موقفنا نحن الادباء العرب من دولنا ، من دولنا الساعية الى التحرر ، ومن الدول التي صودرت فيها حرية الاديب من دول كمصر مثلا انشأت مجلسا اعلى لرعاية الفنون والآداب ، وهو ليس مجلساً لتوجيه الفنون والاداب كما قد يظن البعض ، هو مجلس لوضع كل الامكانيات امام الأدباء والفنانين وتركهم ينتجون دون اي تدخل من الدولة . ورحبت ايضاً بتكوين جمعية الادباء التي أنشئت كما نص في قانونها وهدفها صيانة حقوق الأدباء والعمل على كفالة الحرية الفكرية للأديب وتنظيم علاقات الادباء مع الناشرين واظهار الأدباء الناشئين والعمل على نشر الأدب المصري في النطاق العالمي .

الدولة في مصر اذن لاتتعرض لحرية الاديب من قول مايعتقده ويراه ، ولكنها تكفل له ان يعيش ويوجد ليستطيع ان يقول ما يعتقده ويراه .

وهناك دول عربية اخرى لم تهيىء للأديب هذا الحق .

ان موقفنا هنا ان ندافع عن الحرية ونفرضها . ان الحرية للأديب كالاكسجين للكائن الحي . لاأدب بلا حرية . ولا حرية بلا مسئولية ولكي نكون احراراً مسؤولين يجب أن نحدد موقنا تماماً من الدول الباغية التي تعتدي علينا ومن الدول التي تمد لنا يد الصداقة ، ومن دولنا التي تدافع عنا وعن تراثنا وأدبنا .

أجل أيها السادة ؟ الموضوع هو الاديب والدولة : والسؤال هو ما موقفنا نحن الادباء من الدولة ، الدولة الباغية المعتدية . اما ان نبحث في أصل العلاقة بين الفرد والدولة فسنكـــون حينئذ كالمثل الذي جاء به الاستاذ الشايب نفسه ، سنكون « كالجواد الاصيل الذي ربطوه في بئر مع بغال تدور لتمتح الماء من البئر ، وعصبوا عينيه حتى لايرى في سيره الذي لاينتهي انه يدور حول نفسه ، ولا يسير الى جهة . »

ومن حسن الحظ ايها السادة اننا لسنا معصوبي الاعين .

ومن حسن الحظ ايها السادة اننا لن نسمح لاحد ان يعصب عيوننا ، ولن نسمح لانفسنا ان ندور حول أنفسنا .

التعليق على محاضرة الأدب والفنون الجميلة

للدكتور سهيل ادريس

ليس من حرج في أن أعترف بأن مناقشة الاستاذ محمود أمين العالم ستبلغ من الصعوبة مقدار مابلغته محاضرته من الجودة . فان المزايا الكثيرة التي اتسمت بها هذه المحاضرة ، من وضوح الخط ورصانة المعالجة ودقة الأحكام واستشراف منظورات المستقبل ، كل ذلك يوجب التقدير ويستحق الثناء . ونحسب ان التركـــيز في هذه المحاضرة القيمة هو ميزتها الاولى . فقد تناول المحاضر موضوعه من ابعاده المختلفة ، وعالجه نظرياً وتطبيقياً ، وموضعه في الأطار الذي ينبغي ان يوضع فيه . ونعتقد أنه لم يكن في ذلك بحاجة الى ان يفيد مما سبق من مناقشات المحاضرتين السابقتين : فان ماسبق مان ان عالجه من موضوعات النقد والدراسة يدل دلالة واضحة على طبيعة هذا الاتجاه .

ولهذا يسعدني ان ابدأ بازجاء الثناء للاستاذ العالم ، واعتقد انكم جميعاً تشاركوني فيه. ولكن . . . ولابد من لكن هـــذه ، ليظل اسم هذا المؤتمر مؤتمراً . . . ولكن هناك بعض الملاحظ والمآخذ التي لم تخل منها المحاضرة . واني موجزها فيما يلي :

أولاً ــ بدأ المحاضر الكريم ، في سبيل تحديد العلاقة بين الادب والفن ، بمناقشة بعض المفاهيم التي وصفها بأنها « شائعة حول هذه العلاقة » فذكر تفرقة اولى تقوم على أساس ان الادب مادته المعاني وان الفن مادته الصور . ثم دحض أساس هذه التفرقة بالحجة الوحيدة البسيطة من أن الادب يقوم بالصور بقدر مايقوم بالمعاني . والحق اني اخشى ان يكون هذا المفهوم في التفريق بين الادب والفن غير قائم اصلاً . فنحن لانعرف من ذهب هذا المذهب في الادباء أو الفنانين أو النقاد ، لأن مادة الادب لم يختلف في تحديدها أحد من أنها المعاني . مفهوم ان المعاني لاتقوم الا بالصورة . وكذلك القول في الفن ، من أن مادته الصور ، ومفهوم ان الصور ذات دلالة دائماً ، أي ذات معنى ، وعلى هذا فاحسب ان الاستاذ العالم صنع هذه التفرقة ليناقشها مناقشه غير ذات موضوع ، كما احسب أن استشهاده يغلبه طابع التعبير الحسي بغير دلالة في آثار المدرسة الانطباعية ، وغلبة الطابع التجريدي بغير مضمون في آثار المدرسة التكعيبية ، انما

جاء به لتغطية هذه التفرقة ، فان انتفاء الدلالة في الاولى وانتفاء المضمون في الثانية ليس امراً مقرراً وناجزاً على الاطلاق . فكثيراً ماتجد هواة الفن ومتذوقيه مختلفين في فهمه ولا سيما في الآثار التكعيبية ، فقد يدعى بعضهم ، الامضمون هناك لبعض هذه الآثار ، بينما يستخرج آخرون منها معاني على غاية المعنى والخصب . وهذا الاختلاف نفسه يكفي لان تتفادى الحكم على اثر فني بنفي الدلالة والمضمون عنه ، فضلا عن أنه قد يكون في ذلك تجن على صاحب الأثر ونحن نذكر مثلاً كيف استقبلت آثار بيكاسو في مرحلته التكعيبية ، وكيف لاتزال حتى الآن تثير الاستفهام والخلاف .

واذن فاحسب ان هذه التفرقة الاولى بين الادب والفن لاساس لها ، ومثل هذا القول في التفرقة الثانية من ان قيمة الفن من داخله وقيمة الأدب من خارجه ، ما دام المرجع في ذلك تماسك البناء في اللوحة والقطعة الموسقية والتمثال وما الى ذلك . وكذلك القول في التفرقة الثالثة . وقد كنا نحب لوان الأستاذ العالم استشهد بمن يذهبون هذه المذاهب ، اذن لكنا نبرر هذه المناقشة . والواقع اننا نراه يخرج من هذه المناقشة بتقرير مفهوم يعتنقه جميع الناس وهو تعانق المعاني والاحاسيس في كل عمل ادبي وكل عمل فني ، وان التمايز بين الأدب والفن لايتحقق الا بالوسيلة والاداة المستخدمة .

ثانيا — يفهم فهما واضحا من سياق المحاضرة . انها تعتبر التقاء الفنون والادب لقاء سعيدا للادب اي في صالحه دائما . ونعتقد ان هذا اطلاق وتعميم لاتقرهما الوقائع دائما صحيح ان السينما مثلا قد افادت الادب في زيادة نشره واكتساب المزيد من القراء له. ولكن هذه الافادة لم تكن دائما في صالح الاثر الأدبي ، لان هذا النشر اتخذ احيانا طابعا افقيا لاطابعا عمقيا ، فقد رأينا انه يفقد عمقيته احيانا علي حساب افقيته ، بسبب ان المخرجين كانوا يعجزون احيانا (ويتقصدون احيانا اخرى) ان يسبقوا من الاثر الادبي مايصعب على الجمور ادراكه بيسر .

وقد ادى ذلك احيانا بصورة مباشرة اوغيرمباشرة الى ان يراعي المؤلف نفسه هذا المطلب على حساب ابداعه العميق ، ولانظن احدا يشك في ان فن السيناريو الجديد الذي ولد من لقاء السينما والرواية هو في كثير من الاحيان في غير صالح الفن الراوئي ، هذا الفن الذي يغريه السيناريو بالسهولة والايجاز والسرعة ولعلكم تعرفون عدداً من المؤلفين الروائيين في مصر الذين صرفتهم صناعة السيناريو عن فن الرواية . ثم ان السينما نفسها لاتستطيع دائماً ان تعبر التعبير الصادق العميق الذي تورده الرواية ولا ننسى أخيراً أنهـــا تفسد من الأثر الفني المكتوب انه يتيح

للقارىء أن يقف عند موقف من الرد يحتاج فيه الى التأمل والتروئة والتذوق حتى اذا تملى منه عاد الى المتابعة وهو اكثر استعداداً لالتقاط الروائع الخفيفة في السياق . اما السينما فهي تسوق المشاهد سوقاً الى المتابعة ، وتفرض عليـــه ان يحبس أنفاسه في اللحاق بالاحداث من غير ان يردها الى سريرته وينفعل بها الانفعال الناضج الصادق .

هذا مثال واحد اكتفي به لأظهر ان لقاء الادب والفن قد يكون على حساب احدهما ، خلافاً لما ذهب اليه الاستاذ العالم .

ثالثاً — حين عرض المحاضر للحالة الراهنة في الفنون العربيـــة المعاصرة ، كان يقصر حديثه على السينما والاذاعة وعلى ذكر المسرح . وقد رأيناه هنا ينسى الفنون الاخرى التي تسمي الفنون الجميلة والتي بدأ في اول محاضرته بالاعتذار عن تسميتها بذلك . ولعله من أجل هذا قد نسيها . فانه لم يتطرق الى الحديث عن الرسم والنحت والتصوير الا في القسم النظري من محاضرته ، وهو قد اهمل اهمالاً كاملاً الرقص والموسيقي والغناء . صحيح انه ليس مطلوباً منه ان يتحدث عن هذه الفنون بذاتها ، بل ان يتحدث عن علاقتها بالادب ولكن الا ترتبط هذه الفنون بالادب ارتباطاً وثيقاً بواسطة النقد ؟

هنا مأخذ كبير على المحاضرة . فنحن نعتقد ان حالة هذه الفنون في وطننا العربي مشدودة بوثاقة الى النقد الذي تتجلى هنا مسؤوليته الكبرى تجلياً عميقاً . والحق انه ليس عندنا الناقد الذي يساعد جمهورنا على ان يتذوق هذه الفنون ويغلغها في نفسه وضميره حتى تتكون له اللذة الفنية التي يحتاج اليها الانسان العربي اكثر ما يحتاج اليه اليوم . ان الاغنية المائعة التي لا تحمل الاصفة التحلل انما تظل سائدة في الاذاعات العربية لان الناقد مفقود ، وان اللوحة الفنية الرائعة ستظل تجد امامها عيوناً مشدوهة وانغلاقاً كلياً لان الناقد الفني الذي يستخرج الجمالات . ويعي معنى الاشراقة هنا والظل هناك والثنية هناك ورعشة الازميل عند شفة تمثال وانحناءة خصر . ان هذا الناقد الذي يعين المتفرج على تكوين ذائقته الفنية يكاد يكون مفقوداً . وكذلك القول في تقييم آثار السينما والمسرح وسواهما من الفنون . ان رابطة الادب جميعاً تقوم على النقد الذي يتحمل هنا مسؤوليته كما لا يتحملها في اي ميدان آخر .

رابعاً — بالاضافة الى النقد ، كنا ننتظر من المحاضر ، وهو يعالج وضع الفنون العربيـة المعاصرة (والاصح ان نقول وضع الفنون في مصر لانـه اهمل سائر البلاد العربية) ان يقترح لها وسائل التنشيط والتشجيع ولعلها هنا ترتد الى واجبات الدولـة في ذلك ، لا باس في هذا فان قضايا الأدب والفن متداخلة تداخلا معقداً بحيث يحتفظ كعنصر خارجي عنهـا اهميته في

التاثير عليها .الا يعاني الادب والفن من اهمال الدولة له عندنا ؟ اليس انعدام المسرح في لبنان وسوريا مثلا مردهما الى حجب الدولة المعونة عنهما ، بينهما ترصد في ميزانيات الدول جميعاً اعتمادات كافية لسد عجز المسرح الذي يؤدي الى الجمهور خدمة تثقيفية وفنية كبرى ؟وتشجيع الرسم والنحت والتصوير ، الايكاد يكون معـــدوما ؟ وتاليف الاوبرات لايحتـــتاج الى معونة الدولة ؟ اننا لانريد ان نعزو ضعف هذه الفنون عندنا الى الرأسماليين الجشعين وحدهم وان من واجبنا هنا ان ندرج في توصياتنا الاخيرة مطالبة الحكومات العربية بان ترصد الاعتمادات الكافية التي تضمن لهذه الفنون جميعا الأزدهار ، هذا الازدهار الذي به وحده نستطيع ان نضمن تكوين التذوق الفني السليم ، هذا الذوق الذي نحن باشد الحاجة الى تكوينه فى طريقنا لخلق حضارتنا الجديدة .

التعليق على محاضرة التعريف بالنتاج الحديث

للدكتور شكري فيصل

القسم الاول ــ الملاحظات على المحاضرة

تمهيد :

احب أولا أن اشكر للاستاذ بدر شاكر السياب جميل حديثه الذي استمعنا اليه في ضحى اليوم ولولا اننا اتخذنا التعقيب على الموضوعات ثم مناقشتها بعد ذلك اسلوباً نسير عليه في عملنا في هذا المؤتمر لكنت آثرت ان لا أمضي في التعليق ولا اسرف في التعقيب ، ولكنت تركت لهذا الموضوع في ذهني وقلبي ، صورته الطلقة الصافية المتشعبة . كأنه هذه الاعشاب البرية التي تكسو الهضاب الممتدة من امامنا خضرة ورونقا ، وفي الحق ان هذه الجولة الممتعة التي طوف بها الاستاذ السياب عسيرة على النقد متأبية عليه . لا لأن مفاهيمها ثابتة أصيلة متفق عليها ، بل لأن الأفكار التي نثرها هنا وهناك ـ من الكثرة ومن الحاجة الى الايضاح حينا والصقل حينا بما لايتيح لي الوقت كل القدرة عليه والتمكن منه .

المحاضرة :

كان الموضوع المطروح : « وسائل تعريف العرب بنتاجهم الحديث » فهل في وسعنا ان نذكر في لحظة خاطفة ما الذي فعله المحاضر حين عرض هذا الموضوع ؟

انه قسم موضوعه في الاجابة عن سؤالين اثنين :

احدهما : ماهو النتاج الحديث الذي يستحق ان يعترف به . ماهو الأدب الذي يستحق التعريف

والثاني : ماهي الوسائل الى هذا التعريف وحذار أن نظن أن الموضوع كان قسمة عادلة بين هذين السؤالين .. فنحن في هذا الظن أبعد مانكون عن الواقع ذلك أن السؤال الثاني ــ وهو السؤال الصحيحي الذي يدور حوله الموضوع ــ باء بأبخس الخطوط . كل الذي قاله فيه المحاضر اقتراح ضامر لاهث بتأسيس دار للنشر لعلها لو امكن ان ترسم تفاصيلها على الورق ــ

بله ان تتحقق — أن تكون اعجوبة من اعاجيب الحياة العربية المعاصرة : لجنة مــن الجامعة العربية — والمعروف أن الجامعة هي مجموعة الدول العربية — لاتكون ملزمة بشيء امام الدول العربيــة .

ولكن لندع الاقتراح الى حينه . . وتعالوا نعــد الى السؤال الذي أثاره الاستاذ السياب سؤال ماهو الادب الذي يستحق التعريف

وما ادري اولا ان كان زميلي في حاجة الى ان يطرح هذاالسؤال واذا كان بعد ذلك فيحاجة الى ان يستغرق في الحديث عنه وتشقيق القولفيهاكثر الوقت . . اكان ضرورياً ان تمضي الاجابة فيه مفصلة متمهلة مطيلة كأنها سائح لايلاحقه موعد ولايربطه عمل ، ينحو كل منحى ويقف عند كل نقطة ؟ ثم لايظفر السؤال الثاني من ذلك بشيء .

الحق ان الاستاذ السياب اتخذ من هذا السؤال : « ماهو النتاج الذي يستحق التعريف ؟ وسيلة ليتحدث الينا في منطقه الحلو وروحه المتدفعة عن جملة من آرائه الادبية ، الا وهي آراء انضجتها في ذهنه قراءته وتجاربه واستقر عندها رأيه ، فآثر أن يشركنا بها . . ثم آثر بعد ذلك ان نتفق معه فيه اتفاقاً تاماً ، فنجعل من النتاج الأدبي — في شروطه التي فهمه بها — النتاج الذي يستحق التعريف .

من أجل ذلك . . ايها السادة . جاءت محاضرة الاستاذ السياب وفيها الكثير من الحديث عن الادب ولا اقول النتاج الحديث وقليل جداً من الوسائل لتعريف العرب بهذا النتاج . . بينما كان من المفروض ان يكون الأمر على العكس تماماً — اي ان يكون في المحاضرة كثيرمن الحديث عن الوسائل وبعض منالحديث عنالادب في نطاق هذه الزاوية التي تطل على الموضوع.

وما كان لهذا العنوان الذي حدده المؤتمر ان تكون هذه صورته في هذه المعالجة . وحين كنت استمع اليه في الضحى ، وهو يتحدث — وليعذرني فقدوصلت متأخراً بعض الشيءولكن حرصي على الحضور يبرر لي هذا التأخير — كنت انظر في شيء كثير منالاستغراب الىالاوراق التي كانت بين يدي والتي كانت تتضمن عنوان الموضوع . هممت ان اسأل من في جـواري ، ولكني خشيت ان اتهم بالغفلة . . فعدت فنظرت من جديد الى العنوان وارهفت السمعمنجديد الى المحاضرة . . ولكني ماوقعت على كل الذى ارجو من كمال المطابقة بينالعنوانوالموضوع . وأوكد لو ان سؤالا طرح على الاستاذ السياب عن أدبنا فيالوقت الحاضر كيفنريد وكيفننظر اليه ؟ لكانت هذه الصفحات خير اجوبة عليه .

الانحراف في منهج المحاضرة

في رأيي ان انحراف المنهج في معالجة الموضوع المطروح على المؤتمرين في هذا الصباح جاء من ناحيتين اثنتين : احدهما نفسية ، والاخرى فكرية .

فأما من الناحية الفكرية فذلك ان الاستاذ السياب صدر عن مقولة أطمأن اليها في نفسه . . مقولة لاتجعل الموضوع المطروح في حاجة الى معالجة ابداً ، على شدة الحاجة الى معالجته كما سنرى . . وتلك هي ان النتاج القوي في شروط القوة التي يراها هو — و — يعترف نفسه بنفسه : أجعل ادبك واقعياً او ملتزماً — والاستاذ لايفرق بين ذلك ابداً ويجمع بينه بهذه الغة الشعرية التي تجعل الوردة وردة وان سميت باسم آخر — اجعل ادبك كذلك تحتضنك الجماهير ، ويتم لك من التعريف ما اردت وما لم ترد وما لم يخطر لك من امر ارادته على بال .

هذه القاعدة التي صدر عنها الأستاذ السياب في حاجة الى اكثر من وقفة طويلة . . انها هي الشيء الذي انتهى اليه . . وما أدري ان كنتم تستطيعون ان تنتهوا معه انتهاء يسيراً سهلا الى مثله . فقد تكون المسألة — كما سنرى — ليست في كل هذه البساطة الحلوة والاندفاعية العاطفية الكريمة التي اندفع عنها واما الناحية النفسية فذلك ان الاستاذ شاكر السياب فيما اعرف وفيما بدا لي ، شاعر ... متقد ، مستوفز الحس والرغبات الكريمة ...، مؤمن في الذي يفكر فيه ويستقر عنده مندفع في سبيله ، يتمثله في كل مناسبة ، ويحضره في كل حديث . . انه يمتلىء النفس به لايكاد يعرض له من وجه هين او صعب قريب او بعيد ، حتى يمضي يتحدث عنه في سعة على نحو السعة التي رأيتم ، وفي توهج كالتوهج الذي احسستم . انه آثار في حديثه كثيراً من القضايا الادبيه ، ولقد حاول ان يربط بينه وبين الموضوع ، ولكنه كان يمد خيوطا وهمية او متخلية ... انه تحدث عن كثير في الجو الادبي . وهل في وسعي ان اهمل هذه الاشياء الكثيرة التي تحدث عنها ! اني اذن لجحود ولكن في حكم الذي تحدث عنه كان صورة للاستاذ بدر شاكر السياب نفسه ، وعرضا له ، في تقويمه لبعض الآثار ، في حكمه على الشيخ والشباب ، في تقسيمه للنتاج الأدبي ، في المدرسة او المذهب الفكري الذي يدعو اليه . . كانت محاضرته أمينة جدا للاشياء الكثيرة التي يحدث بها الاستاذ السياب او يفكر فيها او يعانيها ولذلك استمعنا الى نظرات في الادب العربي والى نظرات في الأدب اليوناني ، وفي الادب الحديث وشهدنا في المحاضرة الوانا من الادب الواقعي والحيادي او المنحل ، ومر بنا الأدب العربي في الجاهلية وفي

صدر الاسلام والعصر العباسي وفي هذا العصر الحاضر .. كانت محاضرته كالقصيدة ذات المطلات الفسيحة والافق الواسع ... تطل منها على آراء وانظار وقضايا .. ولكنك في حاجة الى اكثر من الجهد العادي لتصل بينها وبين الموضوع الاصلي ... وأشهد لقد حاولت ان ادافع اشد دفاع في وجه الذين وقفوا يقولون لي ان الموضوع شيء والمحاضرة شيء آخر او كان ينتظر ان تكون شيئا آخر . لقد قلت لهم ان كثيرا من صلات الوصل التي يمكن ان نعقدها بين وسائل تعريف العرب بنتاجهم الحديث وبين ما هو النتاج الذي يستحق ان يعرف به . . . وان في الوسع ان نمد بعض الخطوط من هاهنا وهاهنا حتى نحكم هذه الصلات .. ولكنني كنت لا اجد في اعين الذين اتحدث اليهم شيئا كثيرا من اطمئنان .

ومع ذلك فأنت ياصديقي لست مسؤولا عن قناعة الاخرين ... انت رسمت منهجك وكنت وفيا لهذا المنهج . انت قسمت الموضوع هذه القسمة بين السؤالين ولاعليك ان جاءت هذه القسمة قسمة غير عادلة . . . انك انت كنت اكرم من كل الذين يمكن ان ينقدوك حين قلت في تواضع شاعري حلو : ان ما اطرحه ليس الا وجهة نظر جديرة ان تروا رأيكم فيها .. في اثرائها ومد اطرافها ، او في الحد منها او الاتكاء على غيرها .

طابع التعميم في المحاضرة :

واسمح لي ياصديقي ان ابدأ مناقشتكم في الموضوع على الصورة التي اوردته عليها . . .لندع هذا الخلاف في منهاج التناول على انه شيء اصيل كان لايجب ان تقع فيه . . . ولننظر في الموضوع نفسه .. في القاعدة التي بنيته عليها ، في النظام الفكري الذي اخذت نفسك به او اخذتك نفسك به حين كنت تتحدث عنه .

ولن اطيل على نفسي وعليك وعلى الزملاء .. في رأيي ان اول مايمكن ان يكون موضع اهتمام القاريء لبحثك القيم ، اول مايثيره ، انك مغرم بالاحكام الكلية . قد تكون هذه الاحكام بعض مظاهر الطبع الشاعري الرقراق فيك ... ولكن ماعلينا فانا لااعلل ذلك ولكنما اوضحه . . ففي حديث تبدو هذه الأحكام شديدة الوضوح : سر الخلود في الآثار الادبية كامن في انها جعلت من الصراع بين الأنسان وبين قوى الشر موضوعها .

وظيفة الأدب و والرائع منه ، تطوير هذا الصراع القائم بين والشر والانسان ومازالت تلك وظيفته .

الاديب العربى واحد من ادباء العالم الذين ادركوا وظيفة الادب منذ اقدم العصور

الادب العربي منذ نشأته الاولى حتى يومنا هـــذا في أروع مظهره ادب واقعي او ملتزم او سمه ما شئت من الاسماء .

لو جردنا الادب العربي من الجاحظ وابي العلاء والمتنبي لعاد ادبا باهتالايمكن ان ينهض علىقدميه بين آداب الامم الاخرى .

الشعوبية والادب الداعر كانا يتمشيان جنبا الى جنب

هذه وامثلة اخرى متشابهة لها تبرز هذا التعميم ، وانت تعرف ان التعميم يقود ، وقـــد قادك فعلا ، الى نتيجتين خطيرتين :

اولاهما تبسيط الامور بحيث لايبدو ان هنالك مجالا ابدا لمناقشتها

والثانية الخطا الذي يقع فيه البحث والباحثون . وسنرى امثلةذلك فيما نستقبل من الحديث وما اشك ياصديقي ، في انه لو نزعت نفسك من اسار هذه الاحكام الكلية ، لو انك حملت نفسك على النظر الدقيق ، لاستطعت ان تتجنب كثيرا وان تجنبا كثيرا من هذا الذي ساحدثك عنه في نطاق الاراء الجزئية التي نثرتها .

مناقشة بعض الآراءفي المحاضرة :

وقد كان من الممكن ان اكتفي بالتنقيب على منهج في البحث وعلى النية التي تصدر عنها ولكن اشعر ان من حقك علي كزميل وصديق اقدره ان اتحدث عن آرائك الجزئيةالكثيرةالتي انتشرت في محاضرتك .. انها في ذاتها ثروة طيبة ... ولكنها ثروة في حاجة الى الجلاء .. . انها اندفاعة اخلاص لهذا الوطن العربي الذي نحبه ولكن الاخلاص ليس وحده في حبنا لهذا الوطن العربي .لقد هممت ان امضي فاتحدث عن الجانب العملي مـــن الموضوع ، من حيث انتهيت انت ، ولكني رأيت ان خير التقدير لاصحاب الاراء النظر في آرائهم والاستيضاح عنها والتثبت منها .

فاسمح لي من اجل ذلك ، ان اخوض الخطوة الثالثة من هذا التنقيب .

الواقعية :

لعل أبرز ما في موضوعك عن الواقعية . في رأي الاستاذ المحاضر ان الواقعية أساس كبير في التعريف بالأديب . . لان لها عملاً مزدوجاً ، نضج الادب ، ونضجه يساعد على انتشاره ، ثم تبني الجماهير له .

حسن جداً . . ولكن هل في وسعك ياسيدي أن تقول لي ماهي الواقعية في الادب ؟

انك اولا تقرن بين الالتزام والواقعية وما شئت من اسماء أخرى على حد تعبيرك .

وانك ثانياً تسمي عبد الحليم عبد الله ونجيب محفوظ ، وعبد الملك نوري كأمثلة للواقعية في معناها الصحيح ..

فما هي هذه الواقعية التي تسندها الى الاستاذ عبد الحليم عبد الله ؟ أهي في شجرة اللبلاب أم في بعد الغروب ؟ وهل واقعية الاستاذ نجيب محفوظ هي الواقعية التي تغني لها أروع نشيدك منذ الصباح ؟ أهي واقعية « الفوتوغراف » التي تريد دائماً ان تبرز كل شيء ، لاتترك شيئاً للايحاء أم هي الواقعية التي تدير ظهرها لكل محاولات النغم الداخلي في القطعة الأدبية ؟ .

ان الجدل في هذه الاصطلاحات لايمكن ان ينتهي الى اتفاق عليها . . ان مدلولا واضحاً



اقيمت حفلات تكريمية لاعضاء الوفود العربية في المؤتمر منها حفلة القصر الجمهوري ووزارة الخارجية وأمانة العاصمة ووزارة المعارف

جامعاً لافراده مانعا لاضداده كما يقول المناطقة لايمكن ان يعطى للواقعية . لافي الشعر ولا في النثر . . بل أريد أن أقول انه ليس هنالك كاتب واقعي فحسب او شاعر واقعي فحسب . . هنالك انماط من الاداء تتغلب فيها ـ اقول تتغلب ـ وفي بعض الاحيان دون بعض ، طائفة من المظاهر والمميزات فتسم الاثر الأدبي بهذه السمة او تلك . . ولكن شيئاً من ذلــك لاينطبق تماماً على الامثلة التي ذكرتها .

وفي رأيي ان الواقعية ليست أبداً في الثوب الذي يكسو الاثر الادبي . . ليست في هذه الشيات والطوابع وانمـــا هي في الموضوع . . الموضوع هو الذي يهب الأثر الادبي صفته

الواقعية . . ومن واقعية الموضوع ، اعني اتصاله بنا ، ادعو معك الى الواقعية ، شريطة ان يكون معنى هذا الاتصال انه اتصال بنا جميعاً ، بارثنا بتقاليدنا بحياتنا المستقبلة بواقعنا بالاجيال التي من بعدنا اتصال بعواطفنا قدر ماهو اتصال بحاجاتنا ، بعالمنا النفسي وعالمنا المادي . . وعند ذاك نستطيع ان نقول معك للأديب : اجعل موضوعاتك واقعية تكسب الجماهير .

اما صور الاداء فليست هي التي تعين واقعية الاديب . . اننا أحياناً نستطيع ان نعبر عن موضوع واقعي بأشخاص رمزيين وبكائنات متخيلة وبأشباح مرسومة . . ومع ذلك يظل أدبنا واقعياً . . حتى الاساطير بكل عوالمها السحرية الغريبة يمكن ان تستخدم في موضوع واقعي وان تكون بعد لبوساً للواقعية .

شيوخ وشباب :

أمر آخر في نطاق الافكار الجزئية المنتشرة احب ان اسألك عنه . . . ذلك هو الحملة على أدب الشيوخ أو على ادباء من الشيوخ . . انك تجعل بعض هذا الأدب جزءاً من الادب المنحل ، وتجعل من اصحابه خطراً اكبر من الخطر الذي يشكله اليائسون المراهقون .

لا ياصديقي هذه واحدة كبيرة . . من من ادبائنا الشيوخ تحب ان تصمه بهذه الوصمة . . . من تريد ان تقول عنه انه منحل . . ان تميته وهو حي . . . في مؤتمر نعيش فيه في نطاق المعالجة الموضوعية والبحث الذي لا يثير الخصومات . . لا احسب ان مـــن الخير ان نوازي بين ادب المراهقة وبين ادب الشيوخ . وان نجعل ادب ادباء من الشيوخ قسيماً للادب « الداعر الماجن الذي لا يترفع عن دغدغة الغرائز البهيمية واثارة الشهوات السفلى وافساد اخلاق الجيل الطالع . . ليس من الخير ان نوازي بين ادب اليأس من الحب في سن البلوغ والادب الذي نسميه اليأس من موقف فكري في سن الشيخوخة .

انا مثلك ايها الصديق ، اجد في نفسي الثورة واملكها ... ولقد وقفت في بعض مراحل حياتي العلمية في الجامعة وحدي احمل رأيي واحميه وانا مقتنع به لا اتزحزح عنه . . . ولكن الثورة شيء والقاء القنابل على غير هدف شيء آخر . . اني اشاركك ضربة الفأس تهوي بها على ادب الانحلال الخلقي ، ولكني اريد ان تدخر كل ضرباتك له . . . هؤلاء الشيوخ لهم ادبهم ، وانا وانت ونحن هنا جميعاً تغذينا حيناً من الزمن بالذي قدموا لنا . ولا تزال في امتنا ـــ والمفروض انك تحترم كل جماعة فيها ـــ من يتأثر بهم ، من يلهبه كتاب لهم ويسير به في طريق الخير كما لا يلهبه اي نوع من الادب الذي تريده .

اني لا اقول هذا وفاء شخصياً فحسب .. فليست مقدرات امتنا وقيمنا مرهونة بالوفاء الشخصي ، وان كان الوفاء قيمة اساسية عندنا في ارثنا الثقافي وفي ارثنا الاخلاقي على السواء .

وقد تكون — وانك لكذلك — اكثر مني وفاء ، ولكن الأمر امر امانة البحث العلمي الذي تؤثره ونؤثره والحياة الادبية التي نعمل لبنائها لا لتهديمها ، والجو الفكري الذي نعمل لصفائه لا لتكديره .

انك تحرجت من التسمية ، وانا كذلك .. ولكن اسمح لي ان اضع يدي على كتفك ، وان الفتك لفتاً هادئاً الى مايكتبه عندكم الزيات اليوم وما يكتبه ويذيعه اليوم الطنطاوي عندنا .. مايقوله الدكتور طه في الوطن العربي ... وما تملكه كثرة من ادبائنا الكهول من قدرة على التمثل والتقبل ورعاية وجهات الخير لوطننا العربي الكبير ولقيمه الخالدة .

ثمة اشياء كثيرة يمكن ان تقال في موضوع الشعوبية والادب الماجن .. ربما كانت الدكتورة زاهية قدورة اجدر مني بالحديث عنه .. ان المجون لم يبدأ ببشار وابي نواس ، ولم يكن اول الامر في العراق وانما بدأ قبل ذلك وكان في الحجاز وتمثل في قرشيين من صفوة العرب افتقول عن هؤلاء اللاهين من قريش والحجاز كعمر واضرابه والوليد بن يزيد ومن على مثل سيرته انهم شعوبيون؟

اني افهم الشعوبية انحرافاً في فهم الاسلام ، في الاتجاه ، احياناً من البساطة الى التعقيب في ترسيب بعض المخلفات في مائه الصافي .. وافهم الشعوبية انحرافاً في فهم العربية وفي الاساءة الى قيمها . ولكني لا أفهم الشعوبية دائماً وفي هذا التعميم على انها والادب الداعر الماجن كانا معا يدا بيد .

كذلك كنت اتمنى ان اقول شيئاً عن موضوع الادب والحياة الاسلامية .. ولكني لا واريد ان اعيد هنا آراء قلتها في بعض الدراسات التي كتبتها عن القرن الاول او في بعض المحاضرات.

التوقيت في الادب

وأرجو ان تشفق علي أيها الصديق الزميل فما انا لاخالفك في كل شيء .. وقد اسعدني اني اتفق معك على نقطة اساسية في حديثك هي ناحية التوقيت في معالجة مشكلاتنا الخطرة ..

انك تقول في محاضرتك : ان المسألة مسألة توقيت ، اعني بوجه اوضح مسألة زمن معين نمر به وظرف معين نعانيه . وانت تركز بحثك على هذه النقطة وتعيدها مرتين بالعربية والأنكليزية. لفتة رائعة منك .. ذلك ان مصدر كبير كما يبدو هنا من اوجه الخلاف بيننا انما يعود هذا السؤال الذي طرحته في اليوم الاول في مناقشة محاضرة الاستاذ نعيمة : هل ننظر الى القضايا

الأدبية نظرة مجردة عن الزمان والمكان ؟ والى اي حد نستطيع ان نأخذ بالتزام الزمان والمكان او بالتجرد عنهما ؟

هذه ياصديقي هي المسألة . . ونحن هنا في المؤتمر بين طرفين كلاهما ، مؤمن بامته ، بوطنه عامل له :

احدهما بعيد عن الزمان والمكان بالمعنى الضيق ، عن الملابسات الاجتماعيه بالمعنى الموقوت ينكر ان تكون العوامل الموقتة والظروف البسيطة وحدها التي تقيده

وطرف آخر هو روح مرهفه مشتعلة تحمل الحياة الحاضرة على كتفيها ، نريد ان تكون ديدنها في الادب والفن في ترقب مستقبل مشرق .

كلا الطرفين في رأيي لايمكن ان يتخلى عن الزمان والمكان . . كذلك لايمكن ان يتقيد بهما كل التقيد ولو راد .. كلاهما يقول في مشكلات قومه وفي مشكلات نفسه .. كلاهما يغني آلام نفسه وآمال امته .. حين يغني آلام نفسه او يتحدث عن هواه لايكون ضالا ولا منحرفاً اذ نحن متفقون على ان الاديب حتى في صميم عمله الادبي الذاتي يفجر الاحاسيس السامية ، ويصقل النفوس المتطلعة . . اننا لانستطيع ان نخرج بتوصية نقول فيها للادباء عليكم ان تفعلوا كذا ، ويجب أن تكتبوا كذا . . ولكن الادباء بطبيعتهم ، وطبيعتهم انهم اوفر احساساً بالعيوب الحاضرة وتضحيـاً لها واشد تعلقاً بالمثل العليا ودعوة لها وانهم يحملون عبء القيادة ، الأدباء بطبيعتهم سينصرفون الى حياة امتهم قبل ان ينصرفوا الى حياتهم الخاصة . . فاذا ماعرضـوا لحياتهم الخاصة كانوا كذلك بنائين في صرح الحياة النفسية المصفاة المرهفة التي تستطيع ان تكون استجابتها لما تدعو اليه من عمل او واجب او تضحية استجابة اكثر اشراقا واقوى اندفاعا واحفل بوهج المشاركة العميقة .

اننا كأدباء ننظر جميعا ماحولنا .. هنا مثلا حين ننظر الى هذا السهل من امامنا او هذا الجبل من حولنا فنشهد هذا المزارع يعمل في حقله او هذا الراعي يسرح بغنمه .. بعضنا يلمح بريق العرق على جبين المزارع شوحوب الاعياء في وجه الراعي فيجعل منهما منطلقـه ، ليثيرنا وليدفعنا في طريق المشاركة والانقاذ . وبعضنا يلمح جمال الطبيعة وتجددها فيجعل من ذلك منطلقه الى ان يحدثنا ليثير في اعماقنا الأحساس بالجمال والاصغاء الى الطبيعة وتعلم الحركة والتجدد منها وبعضنا ينطلق بانشودة ضراعة او اغنية ايمان فيربطنا بالله ربطا يهون في اعيننا كل صعوبة ويدفعنا الى كل تضحية . .

كل منا ينطلق من هذه الطبيعة ، اعني ينطلق من هذا الذي يرى او يسمع او يحس . .

وكلمنا ينتهي الى هذا الانسان ، صقلا له وسموآ به ، وتفتيحا لاعماقه الداخلية ، توليدا لبعض النزعات الخيرة او الاهتمامات العملية .. كلنا ينتهي الى هذا الانسان ، انسان المجتمع بمايعود على الانسان والمجتمع على السواء بالخير .

انه محال او كالمحال ، ان نبدأ انطلاقنا في الحياة الادبية من نقطة واحدة .. ان نهر الادب الكبير الذي يشيع الخصب والحياة والخير ويمتد مصدر الهام وتجديد وامتاع ليس نبعة واحدة . انه مجموعة من الينابيع الصغيرة والكبيرة ، القريبة والبعيدة .. ولكنها كلها من الارض .. ثم تلتقي هذه الينابيع في التيار الكبير .. في الحياة .. لتكون تماما كهذا النهر خطا عريضا يشمل الاجواء المادية والمعنوية ، الحياة الداخلية والخارجية .. خطا عريضا من القيم الجمالية في اعلى مستوياتها الى القيم المادية في ادنى مستوياتها .

انه محال ان نبدأ انطلاقنا في النتاج الادبي من نقطة واحدة ، ولكنه يسير سهل لانه من حقوق الامانة التي ندين الله بها والمسؤولية التي نحملها — ان تنتهي في هدف واحد ...

محال او كالمحال ، وليس من مصلحة الادب ابدا في حاضره ولا في مستقبله ، ان نقول للادباء من هنا .. ولكنه يسير سهل ان نقول لهم — بل انهم ليقولون ذلك في انفسهم — الى هناك .. الى هذه الغايات الكريمة .

انا كذلك من الذين لايهملون واقع الحياة العربية لانهم لايستطيعون اهمالها .. ان واقع هذه الحياة السيء ينغص علي كل شيء .. حتى الادب نفسه ، حين ترون في اذني اصوات المدافع على الحدود . وحين تنتصب لعيني اشباح الشهداء في الاردن او في غزة او في طبرية .. حتى حين اقف للمحاضرة في الجامعة او انصرف الى العمل في البيت .. ولكن واقع الحياة العربيـــة لايجب ان ينطوي على هذه الايام الحرجـــة فحسب وانما يجب ان يحوي مستقبلها الواثق المطمئن .

ان الجندي يفكر في الجبهة في يومه ، يفكر في لحظته .. ولكن الاديب يفكر في يومه وغده وماضيه ، في ذاته ومجتمعه ، في جيله والاجيال التي تلي بعده .. انه يصوغ ذاته الواعية النقية المصقولة في ألف شكل .. وقدرته — كونه اديباً — انما جاءته من هذه القدرة على هـــذه الصياغة المتشكلة المتجددة .. التي نرى فيها نحن انفسنا كل انفسنا ، ووجودنا كل وجودنا .. ان الاديب هو الذي يسعنا جميعاً ، كل المواطنين العرب ، في كل حياتنا المادية والمعنوية ، الحاضرة المقبلة ، بنفسه وحسه ، وادائه ، بموضوعاته واساليبه ، اعني بنتاجه الادبي الجميل ؟

ان الدعوة الى التوقيت دعوة حرة نبيلة لا سبيل الى معارضتها ؛ اعني لاسبيل الى الخروج عنها ، ومن ذا الذي يستطيع ان يخرج عن زمانه ومكانه والاجواء التي تحيط به . ولكننا يجب ان نفهم الزمان عريضاً وان نفهم المكان متسعاً ، وان نرى الاجواء من اطرافها كلها ..

ان اللحظة التي نحياها الآن هي من حاضرنا ، ولكنها تصوغ كذلك مستقبلنا .. والمكان الذي يحدنا الساعة هو مكاننا نحن ولكنه كذلك مكان الاجيال التي قبلنا والاجيال التي بعدنا .. فيه اشباح هؤلاء وارواح اولئك .. والاجواء التي تغلفنا ليست خطاً واحداً ولكنها آلاف من الخطوط الملونة والمتكاملة التي تحيط بنا وغلبة لون على لون او ظهور خط على الخطوط قد يعني الاهتمام به ولكنه لايعني وأد كل ماعداه .

اتسمح لي ياصديقي هنا ان استعير المشهد الذي نقله على الالياذة .. ان هؤلاء الذين اكلوا بعد النجاة من الغرق ثم ذكروا رفاقهم الغرقى .. هؤلاء الذين يشبعون معدهم اولا حاجتهم المادية يستحقون مني مثل ما استحقوا منك من سخرية .. انهم ملأوا معدتهم ثم ذكروا الله . ذكروا اخوانهم .. ولو كانت لهم النفس الخيرة الكبيرة قبل المعدة الكبيرة لذكروا اخوانهم ولما وضعوا لهم قدماً على الرمل حتى يعودوا بهم .

ألم وأمل

وأرجو ان تعذرني ان لم امض في الطريق الى غايته ، وان اكتفي بالذي وقفت عنده من محاورتك في هذه الافكار الجزئية .. واسمح لي ان اجوز الى الجانب العملي .. ولكني قبل ذلك احب ان اشاركك العاطفة والعمل في هذه النقطة التي اثرتها في حديثك عن بعض الادباء الذين لاتستقيم العلاقة بينهم وبين دولتهم هؤلاء المضطهدون او المبعدون او المضروب عليهم بالاسداف، يجب ان يكون للدولة ، أي دولة ، معهم موقف آخر .. ولكن المسألة لاتتصل بوسائل التعريف قدر ما تتصل بقضية الفكر ، وهي قضية نقف منها نحن هنا جميعاً ، في صف واحد . ان قداسة الفكر مثل قداسة الاهداف القومية والوطنية التي نعمل لها هي سواء في المحافظة عليها والدفاع عنها .. وانا مؤمن بجوهر امتنا وان سلامة الجوهر هي التي تكفل تعديل كل انحراف ، وتدارك كل خطأ . ان الجواهر الصافية ليست متنافرة ولكنها متلاقية حتماً وفي مدى قريب .

القسم الثاني : الجانب الايجابي من الموضوع

يبدو لي أولا ، وقد تدارست اقتراحك طويلا قبل أن أقول : لا ، انه اقتراح متعذر اذا لم

أقل انه مستحيل .. لالضمور الامكانيات في الجامعة العربية ، ولا لاثقال الواجبات المتراكمة عندها لالهذا فحسب ، بل لان الجامعة العربية لاتستطيع ان تتخلص من التزاماتها نحو الدول الاعضاء وهي الالتزامات التي تقترح انت دار النشر تخلصاً منها .

وما اعسر ان اقول : لا ، لفكرة زميل صديق .. ولكني أقولها اليوم معتمداً عـــلى حسن ادراكنا للوضع في الجامعة العربية بوجه خاص . وتعال نلتفت الى طرق أخرى في وسائل تعريف العرب بنتاجهم الحديث :

وأرجو ان انبه الى ان النتاج الحديث يجب ان لايقتصر بحال ماعلى الانتاج الادبي فحسب ، ولكنه يجب ان يتناول الدراسات الانسانية كلها ، لان هذه رافد ثر غزير للحياة الادبية او لانها ركيزة من ركائزه التي ينهض عليها . . فاذا جاز لي رجوت المؤتمر ان يكون النتاج في الحياة العلمية كذلك موضوع اهتمامه وتوصياته . ففي ايامنا هذه يتغير مفهوم الأدب وتنزل الثقافة العلمية من حياة الاديب منزلاً بيناً واضحاً .

فما هو التعريف الذي نريده؟ في شيء من تلوين الاسلوب الذي ارجو ان يغفره المؤتمر احب أن أقول ان هناك في التعريف شيئين : تعريف غرضه التعـــريف والاغراء . وتعريف غرضه التنكير والتحذير وهما عمليتان يجب أن تتساوقا في الحياة الادبية الـــتي يغرقها نتاج كثير مختلط بعضه القليل في القمم ، وبعضه الكثير في الوحل .

وليس من شأننا ان نعمل للتعريف بالنتاج الطيب فحسب ، وانما يجب ان يكون من شأننا ايضاً ان ننبه في حزم وفي حملة مركزة ودقيقة الى هذا الادب المائع ، والنتـــاج الرخيص ، والقصص المتحلل والبوليسي الذي يملأ حياة الكثرة من القارئين في الحياة العربية .

وتلك مسألة لااحسب اننا نختلف فيها ، ولكنني اردت ان الفت اليها . . فالحيلولة بين القارىء وبين النتاج التافه والمنحل اول الخطوات

فاذا تركنا النحو السلبي الى النحو الايجابي بدت لنا أمور كثيرة علي ان اعرض طرفاً منها وأرجو المؤتمرين ان يضموا اليها خبرتهم وتفصيلاتهم .

وانا بعد ، في الذي ابديه ، لن اتورع عن الاستفادة من الدولة ، دون أن أدع للدولة سلطانا منحرفاً علي . ولكن لا أحب ان ابدأ بها وانما احب ان نبدأ بانفسنا .. بالادبـــاء ذاتهم .. احب ان ندرك ان احداً لايستطيع ان يتبنى قضايانا ، ان يستمع الى مانطلبه او نشكو منه اذا لم نكن من أول الموافقين بذلك والمندفعين في سبيله . ان الدولة تستطيع ان تمنح وان

تمنع ، ولكننا لانجب ان ننتظر رضا الدولة ومنحها ، وغضب الدولة ومنعها ٠٠ يجب ان نلقي بالمسؤولية كلها على انفسنا اولا ثم على الدولة حيث تكون ٠

(١) النقد الادبي

الوسائل :

واول الوسائل ان يكون هنالك نقد ادبي في الحياة الادبية

وقد تحدث الاستاذ السياب عن ذلك ، وكان من موضوعاتنا الاولى « الاديب والناقد » ولكن في نطاق موضوع اليوم احب أن اشير الى انه من غير نقد عظيم لايكون — او على الاصح لايستمر ادب عظيم ٠

ان النقد قوة صقل وقوة توجيه وقوة دفع ، والناقد كالنسر على جناحيه يمكن ان يحلق الادباء وان يرتفعوا . . . قلة هم الادباء الذين يتسلقون القمم بمواهبهم وحدها ، ولكن كثيرة من القمم العالية في الادب اتكأت على اكتاف الناقدين ٠

وما من شيء يسوده في هذه السنوات روح الكلل او المجاملة كالنقد . . انه عندنا لايخرج عن صور ثلاث : تعريف او تجريح او مداراة ومجاملة .

واوشك ان اقول — مع شيء من الاسراف — ان ليس هنالك ناقد مخلص كل الأخلاص او متفرغ كل التفرغ للنقــد . . وهل يزعج المؤتمرين ان ازعم ان عددا من الذين نسميهم نقاد يكتفي بالنظر في الفهرس وتقليب صفحات الكتاب وقراءة المقدمة ثم يصوغ هذا الذي يسميه نقدا وحبذا لوامكن ان ينصرف الادباء النقاد الى ايجاد مجلة شهريه على الاقل ،لايكون هدفها الا انتعنى بنقد النتاج الادبي نقدا صحيحا نزيها ..ان عملا كهذا تتسلمه ايد نظيفة ما أشد نفعه على الادب وما اكثر اثره فيه وما اشد تقويمه للادباء وما اكثر اثره فيه وما اشد تقويمه للادباء وما اكثر ما يسمو بهم عن مجالات الغرور الكاذب او عن مطارح الجبن والتهيب ٠

ايرى المؤتمر ان يكون هذا من توصياته

٢ ـ المؤتمرات والروابط والجماعات الادبية

التعريف بالنتاج الادبي لايمكن ان يكون منفصلا عن الادباء انفسهم ٠ . انهم المنتجون والمعروفون او يجب ان يكونوا كذلك . وما من شيء يحي الاثر الادبي ويعترف به مثل الحديث عنه والخوض في امره ٠ . وهنا دور الادباء في منتدياتهم ، وفي حلقاتهم الصغرى ، في الجمعيات او

او الجماعات التي ينتسبون اليها ، يستطيعون ان يتدارسوا هذه الاثار الادبية ان يشيعوا الحياة الادبية في الحياة العامة وان يحفظوا عليها لهبها دائما متقدا انهم يستطيعون بشيء من التعاون ان يقيموا بعض المواسم وان يستضيفوا بعض الزملاء الاعلام وان يتبصروا ببعض النتاج .. انهم هم الحجرة الاولى في هذا السبيل .

٣ ـ السجلات والفهارس والدوريات

واضح في ايامنا هذه اننا لم تعد نستطيع ان نلاحق النتاج الحديث ، ولو كان يسيرا ان نعرفه .. ان المطابع في القاهرة وبيروت بوجه خاص من بين العواصم الاخري تقذف بعدد من الكتب كل يوم .. والامر فيما يبدو يمضي الى ازدياد وتوسع .. وفي الحياة العربية المعاصرة انواع من النشاط المختلفة : محاضرات في النوادي وابحـــاث في الحلقات وافلام في السينما واطروحات ورسائل في المجتمعات .. هذه كلها عسير ان نتعرف اليها وان نفيد منها ولذلك لابد من ان نعمل في هذا النحو عملا بدائيا اساسيا . ذلك هو ان يصـــدر في كل دولة في كل بلد نشرة شهرية تضم الوان النتاج الفكري والادبي في صوره كلها . ثم ان يكون من مجموع ذلك سجل سنوي منظم واضح

والذي اعرفه في هذا السبيل ان وزارة المعارف المصرية تأخذ نفسها باصدار السجل الثقافي مرة في كل عام منذ اربع سنوات .. ولكنه يصدر متاخرا .. ولعل هذا ان يكون العمل الوحيد المنظم والعام في الوطن العربي كله ... وثمة عمل آخر في الجامعة الاميركية في بيروت : فهرس للمطبوعات العربية ولكنه فهرس مخطوط وخاص بالجامعة الامريكية

ترى لماذا لاتاخذ الدول العربية نفسها بالسجل الثقافي وهو شيء اساسي في وسائل التعريف والتسجيل .. ومادامت قد بدأته مصر ووجدت الدول العربية نموذجاً واضحـا منه واذكر انه كان من توصيات الجامعة العربية تعميم هذا الاسلوب ـ فلماذا لانشدد هنا هذه التوصية مع شيء من التعديل ان يصدر هذا السجل شهريا ثم يضم بعضه الى بعض بطريقة ما ، في نهاية العام.

٤ ـــ التسهيلات المادية

وهنا دور الدولة في وسائل التعريف . . ان قيود الجمارك على النتاج الثقافي ليست في كل البلاد العربية ولكنها يجب ان تزول . . غير ان الذي حل محل القيود الجمركية في هذه السنوات

قيود العملة . ان تبادل الكتب كثيراً مايشله هذا القيد الجديد . . ونحن لا ننكر بعض الصعوبات المالية في بعض الدول ، وهي صعوبات تدفع الى هذه القيود غير اننا نرجو ان يوصي المؤتمر بات تخرج شؤون الثقافة عن هذا القيد وان تحتسب الدول خسارتها في ذلك نوعاً من الربح الاكيد.

في نطاق التسهيلات المادية يبدو ان تخفيض التعرفة البريدية للكتب بأكثر مما هي عليه وتوحيد ذلك بين البلاد العربية . . ان اجرة ارسال كتاب احياناً تفوق ثمنه . فلعلنا نوصي بهذا التخفيض والورق ! . هل من سبيل الى ان يعفى من الجمارك ؟ . .

٥ ـ المكتبات والمعارض

وهنا مجال كبير للتعريف بالنتاج . في كثير من المدن العربية لاتقع على المكتبة العامة ، وهو قصور شنيع في حق المواطن لايبرره شيء . . في كثير من المدن نجد المكتبة ولكننا لانجد العناية بها . . وهل مثل المكتبات العامة المباحة والمنظمة والغنية لاشاعة النتاج الحديث .

والى جانب المكتبات نذكر المعارض الصغيرة في مواسم معينة وفي مدن مختلفة . . فمعرض للكتاب السوري في القاهرة ومعرض للنتاج المصري الحديث في بغداد ومطبوعات المغرب في العراق وهكذا . . انها كذلك وسيلة لايمكن اهمالها .

٦ـ دور الصحافة

واخيراً الا تشاركونني في اهمية الدور الذي يمكن ان تلعبه الصحافة في هذا السبيل ان الصحافة اليوم قوة عنيفة ، ولكنها ليست دائماً عاملة في هذا النطاق .. انها تملك الكثير ولكنها في موضوعنا لاتكاد تعمل الا القليل . . وفي وسع الصحافة ان تقتل الحياة الادبية ، وفي وسعها ان تنعشها . . ومن المؤسف ان الذين يقدر لهم ان يتعاونوا مع الصحافه ينقلبون من ادباء الى صحفيين ، على قرب الشقة بين الصحافة والأدب في معني وبعدها في معنى آخر . . فمتى تكون الصحافة عنصراً بناء في الحياة الادبية .

انها تملك ، بمالها من السرعة ومن الانتشار ومن التأثير ، ان تفرد للنتاج الحديث حيزاً خاصاً بعيداً عن المجاملات والملق والاعلان . . وان تكل الى القادرين عليه في شيء من التقدير الصحيح لعملهم والسخاء عليه . ان ترى انها لاتستطيع ان تكون وفيه لرسالتها اذا هي اهملته واستبدلت به قصاصة من مجلة اجنبية او من نشرات مجانية . . وحين تعرف الصحافة ان ذلك واجباً عليها ، وحقاً لها ـــ ان ارادت فان معنى ذلك ان النتاج الحديث وجد يداً كريمة مبسوطة

له . ومن حسن الحظ ان بين المؤتمرين عددا من العاملين في الصحافة .. اتراهم يقدرون على يأخذوا المؤتمر بتوصية في هذا الاتجاه .

٧ ـ دور الاذاعة

والأذاعة ، هذه القوة الهائلة التي تستطيع ان تدمل الكثير ، اليس في وسعها ان تعوض على النتاج الادبي ، على الكتاب بوجه خاص ، ما حرمته من انصار وقراء ؟ ..

ان الراديو ، هذا القابع في زاوية كل بيت ، يوشك ان يغطي على الكتاب ، ومع ذلك فانه يستطيع ان يكون محبباً به ومقرباً منه وعاملا في التعريف به .. وعجيب في بعض الاذاعات العربية انها تضج بالغناء التافه او الجيد ثلاثة أرباع الوقت ، ولكنها تضيق بربع ساعة نقول فيها للمواطنين : هذا كتاب موضوعة كذا ، وهذا متحف شأنه كذا وهذه محاضرة قيل فيها كذا . وتضن ان تكون عنصراً مسعفاً في ثقافة اصيلة لاتعتمد على الشوارد والقصص الصغـيرة والمختارات المبتورة فهل يأخذ المؤتمر بتوصية الحكومات العربية ان تخصص اذاعاتها ركناثابتاً للتعريف بكل النتاج الادبي والتحبيب بالجيد منه ؟ ..

وبعد فقد يكون ، هنالك اكثر من وسيلة لم اتعرض لها ، ولكني لست هنا لاستقصي كل شيء .. ولعلي في حاجة الى ان اعتذر لزميلي عن بعض العنف ان كان هنالك عنف ، وللزملاء المستمعين عن الاطالة ان كان هنالك اطالة . ولعلي وقعت في مثل التجزئة التي وقع فيها زميلي وانا اتعقبه .. ولكن ذلك كله هين في سبيل ان نلتقي نحن جميعاً على الخطى الاساسية في سبيل ادبنا ومجتمعنا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مناقشة محاضرة :

الأديب والناقد

القاعدة التي اتبعت في تنظيم اعمال المؤتمر ومباحثاته ان تلقى المحاضرة في الصباح وان يكلف احد الاعضاء باعداد التعليق ليلقى في المساء ويكون هذا التعليق افتتاحاً للمناقشة العامة حول المحاضرة والتعليق وننشر هنا خلاصة للاراء التي طرحت خلال المناقشات العامة وردود السادة المحاضرين عليها بعد ان نشرنا نصوص المحاضرات والتعليقات كاملة .

رد المحاضر على المعلق

قال الاستاذ ميخائيل نعيمة في رده على المعلق الاستاذ رئيف الخوري بأنه كان ينتظر مثل هذا النقاش الطويل

ويصر على أن يفرق بين نقد الذات ونقد الغير ، وهو يميل الى الاول ، ويجتنب الثاني لأنه مظهر من مظاهر الادعاء إن نقد الانسان يجب ان يتوجه الى نفسه ، لأنه لايزال قاصراً مـــن ادراك الخير والحق والجمال ادراكا كاملاً ومن هو الحكم الاول والاخير في الخير والحق والجمال؟ أهو الناقد ؟ وهو لايزال تلميذاً في مدرسة الحياة .

ان الطبيعة ـــ كما يقول ـــ غاشمة وقاسية لأنها تأتي بالبعوضة لتلدغ عبقرياً . ووراء ذلك اسرار . ولكن ليس للعبقري ان يحكم ، أما لماذا فعلت ذلك ؟ لا أحد يدري . أن عقيدتي « أن الحياة وحدة متماسكة متساندة »

انه يلومني لأنني لم اذكر واجبات الاديب . واكرر القول بأن الناس يفتشون عن واجبات الاديب بحسب الهوى ، انني لست بحكم لأقول : لماذا تكتب ؟ لنتركه يكتب ـ كما يفهم ـ واجبه وكفى !!

عرض آراء الأعضاء

ويمكن تلخيص الآراء والانتقادات التي آثارها الاعضاء حول المحاضرة والتعليق عليها بما يلي :

- يجب أن يكون الادب ذا طابع معين هو ادب الحياة وأدب التحفز أما ادب الغيبيات فلنؤخره .
- كان على المحاضر ان يعين فلسفته لأن يجعلها مزيجاً من الفلسفة المثالية المؤمنة بروح الشرائع ومن فلسفة الذرائع التي لاتضع مقاييس معينة للقيم .

● نحن بحاجة الى أدب قومي والى أدب غيبي والى سواهما ، المحاضر يؤمن بمقاييس الأدب ولكن مهما كانت المقاييس نسبية أوشخصية فلا بد للناقد من مقاييس ومعايير حتى لايترك الحبل على غاربه وفي المحاضرة نفسها مقاييس للخير والحق والجمال .

● النقد تأمل وأناة وأنسجام مع الروح العلمية وليسوا بنقاد اولئك الذين يشتمون ، الناقد الحقيقي هو صديق للأديب ونور في طريقه .

● الأديب فاعل والناقد منفعل والاول اقوى وما كان الناقد ان يكون أوسع آفاقـــاً . الاديب ينتج كالطبيعة والناس مستهلكون والناقد ذو طبيعة ازدواجية : علمية وفنية ، والأديب ذو طبيعة فردية هو معبر ومتذوق وفنان بينما الناقد عالم وفنان .

اما المقاييس فللاستاذ المحاضر فيها مقاييس مثالية انسانية روحية .

ويمكن تحقيق التعايش السلمي بين المقاييس المختلفة .

● للاديب العربي واجبات لاعذر لماذا أهملها وفي عصرنا قيم ثابتة تلزم الاديب العربي والناقد كذلك ومؤتمر ناملزم بأن يقرر واجبات الأديب والناقد على ضوء مقاييس تتصل بشعبنا ووضعنا.

رد المحاضر على المناقشة

وختم المناقشة المحاضر الاستاذ ميخائيل نعيمة فعاد ليؤكد بأن النقد هو عمل الحياة الدائم وان هناك نوعين من النقد : نقد الذات ونقد الغير وقال ان مايسمونه غيبيات هي حقائق عنده .

ان الانسان أعجز من ان ينقد . واذا انتقد فلينتقد دون أن يزعم لنفسه الحق وحده .

انني فتشت عن غايتي ، وانقطعت عن نقد الأدب فليفتش كل واحد عن غايته دون ان يفرض نفسه . لأن لكل واحد سبيله .

وهو يرى ألا تحديد للأدب ، وأن قيم النقد لاتكون صحيحة دائماً . وأن أدب الحذاء والرغيف والاستعمار ليس بكل شيء . الادب هو الانسان بكامله .

مناقشة محاضرة :

الأديب والدولة

عرض لآراء الاعضاء :

المحاضرة القاها الاستاذ فؤاد الشايب وقام بالتعليق عليها الدكتور يوسف ادريس وهذه خلاصة للاراء والملاحظات التي اثارها اعضاء المؤتمر في المناقشة العامة حول المحاضرة والتعليق :

● ليس صحيحاً ان الولاء للمؤسسة الخاصة ينقص الولاء للمؤسسة العامة التي هي الدولة فقد بين « بوكله » ان الفرد وان اصبح بعيداً عن الدولة فهذا ينبيء عن ولاء لها وبين ايضا ان الحقيقه والجمال قيمتان اجتماعيتان . وافتراض وجود الالهام لا يعـــني وجود الالهام المبدع فالالهقم تطور مبدع.

● على الاديب مسؤولية كبرى فلا حرية بلا مسؤولية ولن يكون الالهام مسوغاً لاعفاء الاديب من المسؤولية ، فالاحداث هي التي تملي ولسان الاحداث اقوى من كل شيء .

واذا نادينا بحرية الاديب لاتنفى المسؤولية عنه .

● كان على المحاضر ان يبين واجب الدولة نحو الاديب وواجب الاديب نحو امته ويبين لنا كيف يلقح الادب .

● المحاضر قد اقتصر على شواهد من الغرب معدياً عما في تاريخ الدولة العربية من شواهد هذه الدولة التي هي غرضنا الاكبر وقضيتنا الكبرى اليوم والتي تعاني المخاض المتشد المندفع الى ذروته لتولد وليضع الادباء كل قوى الفكر والقلم في انشائها وارساء قواعدها .

● ينادي المحاضر « يترك الاديب لالهامه » فان كان المقصود بذلك الدولة من حيث هي سلطة تستطيع ان تكم صوت الاديب وتعطل قلمه فنحن والمحاضر على اتفاق وان كان الخطاب موجها الى النقاد الذين يقابلون القلم بالقلم ويعتمدون البرهان والاقناع فلسنا واياه على اتفاق نسلم للاديب بالحرية التي لاتعفيه من المسؤولية، والحرية بلا مسؤولية لون من الاهمال والفوضى .

● المحاضر يطلب للاديب الحريـــة لان الانتاج الادبي فردي وعلى الدولة ان تترك مناطق التفكير الفردي حرة الينابيع .. هذا صحيح فالانتاج الادبي فردي ولكن مادة هذا الانتاج والتفكير الادبي نفسه هو اجتماعي ونتيجة مااجتمع في نفس الاديب من جراء تجاربه الاجتماعية والحياتية، والفرد يكون في فراغ اذا لم يتصـــل وجوده اوثق اتصال بمجتمع ينبثق منه وينفعل به ويفعل فيه .

● كل اثر ادبي تعبير عن مشكلات عصره ، لانريد الزاماً او توجيها بل نريدان يكون هذا المفكر الجريء جريئاً في تصوير مشكلات عصره عن طريق الالهام ، فالهامه حر لاالزام ولاتوجيه الا بمقدار ماينصهر في مشكلات عصره ويعبر عنها .

● كيف يكون التوفيق بين مايقتضيه الادب من فردية وما تمثله الدولة من مثل ومصالح فهناك ثلاثة اتجاهات :

١ ـــ الحرية المطلقة وهو السبيل الذي اختاره المحاضر ولكنه ايده بحجج لاتقوم لهاقائمة

٢ ـــ تحديد مجالات الحرية لأن الادب قوة اجتماعية ولو كان فردياً والوجود للشعب لاللافراد

٣ ـــ واجب الدولة في رعاية الادباء وتشجيعهم وتهيئة الظروف الاجتماعية المتساوية لتفتح العبقريات والمواهب وتوجيهها بطريقة غير مباشرة توجيهاً ينفع المجتمع .

والمحاضر اختار الاتجاه الأول بعد مقدمة طويلة كان يمكن اختصارها في صفحات قليلة .

● التوجيه ليس خنقاً للادب ، لو أن الدولة اتاحت لكثير مـــن الادباء الذين ماتوا جوعاً ان يعيشوا لما لاقوا ذاك المصير . يجب على الدولة ان تحمي قلوب الادباء وحبهم وكيانهم، وان تساعد الاديب على ان يكون حراً .

● لم يبحث المحاضر مشكلة الرقابة الحكومية على الانتاج الادبي وتشجيع الدولة المادي والمعنوي بحيث يستطيع الاديب ان يتفرغ للانتاج الادبي مع احتفاظه بمستوى حياة راقية على الا يتجه الادب اتجاهاً سياسياً معيناً .

فالادب يعيش على الحرية ولا يمكن ان ينمو الا في مناخ حر والمناخ الحر يجب ان يتحرر من كل سلطان عليه ، فتشجيع الدولة يجب ان يكون واجبا ثقافيا دون ان تحاول استغلال حاجة الاديب اليها فتوحي له بما تهوي من الاتجاهات .

ولا مشكله توزيع الكتب الادبية والغاء المكوس على الورق والكتب نفسها ، ثم العمل على حرية انتقال الكتاب العربي وسائر المطبوعات كما لم يبحث.

حماية حق الملكية .

تعزيز المكتبات العامة ودور النشر والطباعة .

توحيد قوانين الرقابة في البلاد العربية بحيث لايباح كتاب في بلد ويمنع في بلد اخر .

رد المحاضر على المناقشة العامة

وتولى المحاضر الاستاذ فؤاد الشايب الرد على الذين اشتركوا في مناقشة محاضرته فقال :

امامي بعض النقاط التي أوردها المناقشون حول محاضرتي ولن يسمح الوقت لارد عليهم جميعاً وسيكون لي معهم جولة ثانية سأفند خلالها أقوالهم ، على أنني أقول ان بعض النقاد والمعلقين قد وقعوا في التناقض ـ فالدكتور يوسف ادريس وقع في التناقض عندما قال لماذا نبحث في الحرية؟ ان قضية الحرية لم ينته البحث بها وسنظل دائماً تواقين الى البحث عنها . وليسمح لي الدكتور ادريس بأن أقول له ان دروسه المنبرية التي أحب أن يعلق بها على محاضرتي كان فيها الكثير من التعالي والتلقين والسذاجة ، هو يطالب منا أن نبحث في قضايا الاستعمار ، أجل ان هؤلاء الأدباء الذين حضروا هذا المؤتمر ليسوا بغافلين عن خطر الأستعمار وانما جاءوا ليدرسوا ويناقشوا قضايا فكرية وفنية وضع الادباء السوريون مناهجها ، وعلى هذا فأعضاء المؤتمر ليسوا مجلس وزراء منعقد في حالة طوارىء وما جاءوا ليصدروا قراراً اجماعياً ، وان يكن من المؤكد أن توصياتهم الفكرية في المجال القومي خليقة بأن تأخذ بالضرورات القائمة وتصدر عنها .

من روح هذه الغضبة المنبرية طفق المناقش الدكتور ادريس يصب اسئلة الناقد على المحاضرة ، ورأى أن كتاب العرب في مؤتمر بلودان انما هم كتاب عرب فحسب ولسنا بكتاب الانسانية . ولعلي هنا بحاجة الى تذكير الدكتور ادريس ومن يشرب من فكرته هذه ، أننا في طموحنا الى تحقيق أهدافنا القوميه الكبرى انما نصدر عن نزوع قومي وانسانية معاً ، لان الصراع العربي جزء لايتجزأ من حركة كونية انسانية كانت في الماضي البعيد والقريب وتستمر اليوم وغداً في سبيل تحرير الانسان من ظلم الوحش ، وقلب اوضاع دولية فرضها الاقوياء بالسيف . والعرب اليوم يمثلون انصع وجوه هذه الحركة التحررية وجهادنا جهاد انساني كبير .

اما انني نسيت ان هناك دولا باغية مستعمرة ودولا اخر صاحبة حق لم انظر الى دولها وادبها كما يزعم الدكتور ادريس فحسبي ان احيله الى الجزء الاخير من المحاضرتي عندما اعطيت الدليل بالمشاهدة ان الانسان بالحرية يرتفع فوق باطل قومه مهما كان هذا الباطل خادع الملامح كذلك ارتفع (ويلز) الانكليزي يطالب برأس الامبراطورية البريطانية ـ امبراطورية بلاده ـ في

سبيل السلام ولذلك جابه (جود) الانكليزي قومه الانكليز بان ثمانين بالمائـــة من ثروة البلاد الامبراطورية تذهب الى ستة بالمائة من اهل بريطانيا ... ففيم الاستعمار اذن اذا كان ظلما للشعوب وهوانا لكل الجزيرة البريطانية ؟ وهل في هذه اللوحة الصغيرة عن بريطانيا بين اديبين من كبار ادبائها ماهو اشمل للفكرة التي يتهمني المناقش باهمالها ؟ والا فما ادري بالحق من اية نافذة ضيقة يريدني المناقش ان اطل على موضوعي ؟ مرة ثانية أقول ان ادباء العرب المجتمعين هنا في هذه القرية السورية الصغيرة هم ادباء الانسانية جمعاء بحكم النضال القومي الذي يشرفهم ان يعلنوه نضالا انسانيا .

ثم قال : يأخذ علي المناقش انني تمثلت بثلاثة او اربعة من الفلاسفة اصطفيتهم وجعلت منهم انبياء . الواقع انني استعرضت مذاهب وفلسفات عدة ممن ذكرت اسماءهم او ذكرتهم بمذاهبهم في ميادين المدارس الفلسفية والعلمية ، وكان قصدي ان أظهر تطور فكرة الدولة والفرد وكيف تنحاز الفكرة الى جانب الدولة مع تطور الحاجات وتراكيها ضد الفرد الذي يحاول محاولاته للافلات منها . وقد كان العرض واضحاً في ان الدولة لابد لها وهي تنظم الحرية الفردية لأجل الخير العام من ان تتدخل عندما يعجز الفرد اوعندما تصبح حرية المئات عبودية للملايين . وكنت واضحاً في قبول ضرورة التدخل لتنظيم القيم الاجتماعية كالأرض والثروة والعمل . كذلك لم افترض وجود دولة خيالية وفرد خيالي ، كما زعم المناقش ، بل مررت بشتى النظريات الفلسفية والمذاهب السياسية كما عرفت في اوروبا واميركا .

ويأخذ علي المناقش انني اخرجت قيم الجمال والحق من حيز القيم الاجتماعية الى حيز القيم غير الاجتماعية ، لقد قلت ذلك حتى لا اترك للدولة حق التدخل والالزام ، لأنني إن وجدت لها مبرراتها في تقييد يد الفرد فلا اجد لها مبررات تعفير جبينه والتحكم في قيمه السامية ، فهو إن وضع القيد في يديه ، لضرورة اجتماعية ما ، فانه يأبى ان يضع رأسه بين قدميه .

وأخذ علي بعض المناقشين أنني الحجت باسهاب على علاقة الفرد بالدولة وتطورها عبر العصور ، آلا لانني هدفت الى تقرير خطر الفرد في المجتمع كمخلوق حر ، ذي كرامة يشعر بكامل انسانيته ولن يكون عمله في المجتمع عمل العضو في الجسد لان العضو وظيفة والفرد ابداع ، وترون أن ليس في هذا خروج عن الموضوع كما اتهمني بعضهم .

نعم انني اعترف بطول المحاضرة ومقدمتها على الأخص التي عالجت فيها المذاهب الفلسفية الفردية والجماعية ولكنني لاأزال أصر على أنها من صلب الموضوع .

على انني أحب أن أجيب بعض المنتقدين أنني كنت واضحاً عندما قلت ان الاديب او الفنان او العالم هو ملهم وليس بملزم فالوطن والمجتمع والدولة والطبيعة والثقافة والاحداث كلها اشياء تلهم الأديب وتوحي له بما تشاء هي ، وقد يلتقيان وقد لا ٠٠ فاذا الزمته تمرد أو انطفأ تبعاً لما هو فيه من ظروف وأوضاع • فالإلزام عدو الابداع والخلق وهو منطلق الدولة الى تصنيع الفكر وجعل الانتاج الأدبي ملكاً للدولة تغرق به السوق ، نماذج متشابهة من مادة البلاستيك. فالالهام ليس الفوضى وليس الصومعة وليس عدم المسؤولية بل انه سر التطور الخلاق في تاريخ هذا الكون.

هذا وكنت أيضاً واضحاً في ان الاديب الملهم ، انما تربطه بوطنه شيجة من عرار ، فيرى فيها جمال مسكنه ومرتعه فكيف لا تربطه بوطنه جراحاته وآلامه وآماله •

وكنت ايضا واضحا عندما قلت ان الدوله عندما تتضخم تحجب عن الملهم صورة الوطن ، وكلما تقلص ظل الزامها ملأ الوطن كل هذا الفراغ تحت عين الشمس ، فلا اريد الأديب أذن كما اراد ان يتهمني بعضهم ، حجراً في صومعة بل اريده حراً في تحسس الحياة حوله .

وهناك اقوال كثيرة احب ان ارد بها على السادة المناقشين ولكنني ارى ان العلامة الاستاذ بهجة الاثري رئيس الجلسة يلح في التمسك بدستورية النظام الذي ينهي زمن المناقشة في الساعة السابعة ، فلابد اذن من الوقوف عند هذا الحد على انه سيكون لي جولة اخرى في المناقشات الخطية اذا اراد الزملاء •

مناقشة محاضرة :

الأدب والفنون الجميلة

عرض لآراء المناقشين

المحاضرة للاستاذ محمود امين العالم والتعليق للدكتور سهيل ادريس وقد سبق نشرهما ونعرض هنا الآراء التي اثارها الاعضاء خلال المناقشة العامة والتي تناولت ماجاء في محاضرة الاستاذ العالم وتعليق الدكتور ادريس :

● بما ان الغرض من المناقشة هو الخروج بمقررات . ومادام الاديب يهمه الغرض ، فهو لا يجعل المضمون يتغلب على الشكل ، ولا العكس ، بل سينتخب الموضوع للاحداث الهامة التي تحيط به ، واذا نادى المحاضر بتوسيع التعاون بين الآداب والفن ،فالواسطةهو الصوت .

والمسؤولية مسؤولية الاديب التي تدفع الى الاخذ بين المضمون الداخلي والشكل الخارجي، المضمون في الادب تعصب لتجربة ، ونحن في تجربتنا نحاول الاستزادة في الجمال ، نزيد حرية ومسؤولية ومزيداً من الجمال .

● لم يأت على ماجاء في كتاب الاغاني وكان بأمكانه ان يأخذها دليلاً وليس من الحق ان يمر عليها دون ان يستنجد فيها لمصلحة الفنون الجميلة ولم يشر الى التشطير في الشعر .

● بعد ان استعرض المحاضر علاقة الادب بالفن ووصل الى النهاية انحرف فجأة الى فن دون ساء الفنون وخصه باختياره حتى انه دعا له وجعله ركيزة من ركائز تثقيف الجماهير ،ونحن باشد حاجة اليه ، واغلب الظن انه اختار السينما دون سواها من الفنون التثقيفية لانها اقصر طريق لاشباع حاجات الشعب للارتفاع بـــه الى مستوى الحاجات الحديثة ، والحاجةادعائية اكثر منها ثقافة ، سلوك تثقيف الشعب عن طريق الكتاب بما فيه من غذاء عقلي وعاطفي اجدى، جعل الكتاب بمتناول الجميع اجدى من الاذاعة والسينما . ومع اعترافي بفائدةهذين الطريقين فانا لاأومن بان المنظور كالمقروء . فالكتاب ظل الاداة المثلى لنشر المعرفة بين الناس . فالمحاضر اختار السينما دون سواها لان الكتاب يتطلب اجيالا طويلة . اذا ان المسرح وغيره من الفنون يتطلب تطوراً اجتماعياً وفكرياً ليسا موجودين في العالم العربي ، عداالصعوبات الكثيرة في توصيل

المعرفة بلغة بين العامية والفصحى . السينما عنصر دعاوة اكثر من عنصر ثقافي ، على مافيها وهي تعطل النقد في النظارة ولاتقوم مقام الكتاب في الثقافة . والثقافةالاذاعيةتبقىسطحية فسماع الف سيمفونية او اذاعية لاتعادل قراءة فصل من كتاب واحد ولكن القضية اعقد من ذلك ، وصول الكتاب الى الجماهير يقتضي اولا تغيير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الشرق العربي ، طالما هناك موانع تمنع وصول الكتاب الى الجماهير ، فاعتقد ان كل حل عن طريق السينما او الاذاعة يبقى محصوله ضئيلا . ولا يأتي بفائدة كبرى ، متى ازيلت الحواجز استطعنا ان نرفع الجماهير الى مستوى الغذاء العقل ، وان نجد الغذاء الملائم اراد المحاضر ان يتحاشى ذلك وان يقف عن حد الايماء . اراد ان يثقف الشعب دون ان يبدل شيئاً من اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية اراد التثقيف عن طريق السينما دون ان يرتفع من الأسفل الى الاعلى.

وهناك قضية الأدب والسينما، اثبتت التجارب فشل السينما في ايصال الاثار الادبية الى الجماهير كما أرادها مؤلفوها ، فقد تجرى عليها تغييرات وتعديلات حسبما يقتضي هذا الفن ، واكثر ما شكى اصحاب الآثار ، انها قضت على الروعة البيانية ثم قضت على التحليل النفسي والتجارب النفسية التي وصل اليها الكاتب بعد عناء تم استبدلت المحاورة بالحركات والاشارات التي تعجز احيانا عن تصوير النفس وكل هذه



بعض اصحاب المعالي الوزراء ورئيس الجامعة السورية وأعضاء المكتب الدائم للمؤتمر بانتظار قدوم فخامة الرئيس القوتلي الى مدرج الجامعة السورية ليرعى حفلة افتتاح المؤتمر .

الملاحظات لاتنقص من قيمة المحاضرة .

● احسن المحاضر حينما نبه الادباء بوجوب الافادة من مختلف الفنون لتلوين صورهم، وكان على حق فالاحساس الموسيقى يقوى الاحساس بالوحدة ، ولكن اتساءل هل يصح ان نطلق على الادب اسماء : أدب أذاعي ، وادب مسرحي وادب لغوي مما يودي بنا الى الأدب الصحفي وغيره الأدب واحد ، وهي الوان من الكتابة وليست ادباً تدخل في دائرة الثقافة وليس في دائرة الأدب.

ثم ان المحـــاضر استشهد بالادباء والفنانين المصريين ، وكنا نود لو ذكر الأدباء والفنانين السوريين واللبنانيين وهذا ليس تجاهلا، ولكن لعدم معرفة زملائنا بوجوه النشاط في الاقطار العربية.

● لقد اتى المحاضر بتعاريف جديدة .

١ ــ اتهم المحاضر الادباء ، لانصرافهم عن الفنون ، أيريدهم ان يكونوا ادباء وفنانين معاً .

٢ ــ الأدباء يستخفون بالاذاعة والسينما ، هذا ماقاله المحاضر ، وذلك غير صحيح ، ان يستطيع الادباء ان يتحولوا الى ادباء اذاعة فالاذاعة خلقت ادباء محدثين، ثم لننظر الى الافلام العالمية ، كيف ان الحوار يجيء فيها قطعة ادبية رائعة فنحن الادباء لانهمل ذلك ، بل نستمتع ، وعندما يكتب للاذاعة او للقراء نجد فرقاً في هذين الموقفين .

● ليس هناك تمثيلة تحوي الف بيت تلقى في مسرح دون ان يصاحبها موسيقى ، فالاطالة في التمثيلية الشعرية مستحيلة ، قد يمكن ان تكون من نوع الأوبريت ، وانا اطالب الحكومات العربية ان تشجع هذا الصنف من التأليف وان تنفق على المسارح والادباء لاخراج هذا النوع من الاوبرات ونحن نحتاج الى ايجاد الصلة بين الابحر والموسيقى ، وعلينا ان ندرسها ، ونهيب بالحكومات ان تدرسها ، فكتاب الاغاني كنز من كتب الادب والموسيقى .

● عندما عرض المحاضر الى تزامل الادب والفن كان بودي ان يذكر شيئاً مـــن تراثنا العربي ، فالشعر والموسيقى والغناء قد تزاملت منذ ان بدأت الموسوسيقى العربية ، لم تنفرد عن الغناء ، ومدلول الموسيقى العربية هو الغناء وفي يومنا نود ان تنفصل هذه الزمالة وان يكون للموسيقى انفصال عن الغناء .

واما مايتعلق بالمسرح وادب المسرح : فالأدب المسرحي شغل الباحثين العرب والمستشرقين، في امر وجوده في الادب العربي وعدم وجوده ، ويهمنا اليوم ان يكون لنا ادب مسرحي ، هو نوع من الادب الرفيع ، ويعز علينا ألا يكون في ادبنا .

والوسائل : الاولى : هي المسرح ، فلا يكون الادب المسرحي عظيماً متطوراً مالم يكن هناك مسرح ، وأؤكد انه لكي يكون لمؤتمرنا يد في ذلك يجب التوصية بان تعني الدولة عناية جدية بالمسرح.

وعندما عرض المحاضر عن فقدان هذا النوع لم يوفق ، وعندما عرض ادب المسرح عرض فقط ادباء مصريين ، نود ان نختلف مع المصريين لنتفق ، المحاضر اقل اطلاعاً على ادبنا ، لعدم وجود تعاون وتبادل بيننا وبين مصر بالتكافؤ ، هناك تصاصون في البلاد العربية يمكن ان يمدوا السينما المصرية.

وكذا مثله في الشعر والتمثيل ، في البلاد العربية تمثيلات لا يعرفها المحاضر .

رد المحاضر على المعلقين

قال الاستاذ محمود امين العالم في الرد على الملاحظات التي اوردها المعلقون على محاضرته :

لقد ذكرت في اوراقي الصغيرة الشاعر سعيد عقل ، والشهال ، ثم اني اعرف غيرهما من كتاب التمثيلية الشعرية ، ولكن لا اعرف للشهال ابداعه في اخراج الكتاب على النحو الذي حدثني عنه حسين مروة ، ولا اقول الا انه جهل مني ، فقضية الاتحاد العربي بحاجة الى ان نغذية بالمعنى الحقيقي للاتحاد ، وان نعرفه بالادباء العرب ، ونوحد وجدانهم . اريد ان اعرف عن الشهال وان اعرف القراء المصريين بالشهال واريد ان انوه بالاشارة الى كلمة المعلق الدكتور سهيل ادريس حول التقريب بين الأدب والفن ، فالوسائل سندرسها واعترف للدكتور بالتقصير نحو الثقافة العربية ، ولكن اثير مشكلة فقط والتفاصيل قائمة في نفسي ، والحق اني لا استطيع ان اقول ان السينما والاذاعة اداتان للتعبير الانساني ، دعونا الى ان نحيل هذه الاداة الى شيء له عمقه ، فكم من اشياء تحولت بالسينما الى مسخ ، ولكن لا انشاءم ، وانما علينا ان نبحث عن وسائل السينما فلا نجعلها اداة للسطحية ، ولكن في تطورنا نضيف الى الادب ونصلح في السينما .

ان السينما كانت افتراضاً لتثقيف الشعب ورفعه الى اعلى ، ان الثقافة وسيلة للتبديل والتغيير ، والسينما عندما تتصل بجماهير المثقفين ، عندما تنقل اليهم خبرة اديب ، تطور وجدانهم وتمدهم لتحمل مسؤوليات الحياة الحقيقية العملية ثم ليس باستطاعتنا التغيير من الاسفل ، التثقيف اداة لتحضير الثورة وانضاجها ، اما تعليقي على الاخ سهيل ادريس ، في التفريق بين الادب والفن. فهذه نظرية توفيق الحكيم في اطروحته . الأدب مادته المعاني هذه نظرية لا المحها واضحة عند كثير من المفكرين ولكني المحها منضمة فيما يكتبون ، حتى عند طه حسين .

اما التفرقة بين القيمة الداخلية والخارجية للفن . فقد اتخذها سارتر في مقدمة كتابه

SITUATIONS ، وقد رأى شبابنا فيما كتب مستنداً يستندون اليه لتعليل الألتزام •

اما قول الدكتور سهيل ادريس ان اللقاء بين الادب والفن ليس دوماً لصالح الادب ، فصحيح ، وماهو في صالح الادب فنتركه للتجارب الانسانية •

ثم ان السيناريو يصرف عن صناعة الرواية ، نعم انه قد يصرف ولكنه لايتحول الى قانون، اننا نود ان نؤكد الرواية وان نتمرس وعلينا ان ننوع قدرتنا الفنيـــة وان لانخشى التنوع واعترف لادريس اني اغفلت الفنون الجميلة تقليدياً ، ووجدت اني لا أحتاج اليها ، وعنـدما قصرت حديثي على السينما كنت ابصر فيها النحات والمصور والموسيقى فهي تحتضن كافة الفنون •

وأما ردي على السيد عبد الحليم عبد الله فالتفرقة بين القيمة الداخلية والخارجية فقدانتقدها وليست من رأيي •

وردي على الاستاذ رامي فانا احترم خبرته ، واذا اكتشف الاستاذ رامي ان التمثيلية الشعرية الطويلة لم تنجح فنحن نحترم هذه الخبرة • ولكن لندفع شعراءنا الى التمرس بها ولنفتح صدرنا الى التجربة

مناقشة محاضرة :

تعريف العرب بنتاجهم الحديث

استعراض تعليقات الأعضاء

تولى الدكتور شكري فيصل التعليق على محاضرة تعريف العرب بنتاجهم الحديث التي القاها الأستاذ بدر شاكر السياب ثم افتتحت المناقشة العامة حول المحاضرة وهذه خلاصة عما أثير من آراء ووجه من انتقادات :

● لم يتقيد المحاضر بالموضوع فلم يوفه حقه ولعل ذلك لثقته من ان النتاج الصحيح يفرض نفسه بدون وسائل خاصة .

وقد جعل الأدب وقفاً على اللون الملتزم او الواقعي مع أن الأدب الصحيح نتيجة اختبار نفسي في كلام رائع وهو في الأكثر صراع ، وقلق وشوق . ولذلك فالأدب الذاتي القائم عن هذا الصراع ليس في المرتبة الي وضعه المحاضر بها مادام مخلصاً . والقطع التي اختارها (الالياذة وغيرها) هي من الأدب الذاتي . وليس الأدب الذاتي خلواً من الخدمة القومية ، وخدمة الحضارة الانسانية . وخدمة الحضارة الانسانية هي خدمة قومية كبيرة نشدد على مسؤولية الأديب ، فهي التي تحدد قيمة الأدب الحقيقية وتحدد قيمة النقد ، وترجع صاحبها الى نفسه والى قداسة الفكر أرجو ان تنشأ عن هذا المؤتمر رابطة لم يتم مثلها من قبل ، تقوم على احترام الفكر والشعور بالمسؤولية نحو الفكر ونحو المجتمع .

● المحاضرة تضمنت دعاية لأشخاص رفعتهم الى اعلى منزلة وفي ذلك غمط لفضل الآخرين وليته تجنب هذا الطريق ، ولم يلتفت الى عدد القراء في البلاد العربية اذ يجب نشر التعليم الألزامي لمحو الأمية وتعديل مناهج الأدب العربي في المدارس الثانوية . ونشر المكتبات العامة يلجأ اليها الشعب . وعلى رجال الفكر العمل من أجل نشر الكتاب العربي .

● كل النقص الذي في المحاضرة كان نتيجة لعدم انتشار الانتاج الفكري بين الكتاب والقراء . لو كان المحاضر ملماً بكل الانتاج في كل الأقطار لما اورد أسماء على حساب أسماء أخرى .

فالأدب الصحيح يشق طريقه بجهد ، الأدب غير منتشر بسبب الأمية والفقر ، وبسبب الصحافة الحديثة والقراءات الخفيفة ، وبسبب الاتجاهات الاستعمارية ، ولأن الثقافة القومية والاتجاه القومي الصحيح ليسا منتشرين بين القراء .

نحن نطالب بضرورة حماية ثقافتنا القومية من الثقافة الخارجية، ومن الكتب المترجمة وغيرها من الكتابات الجنسية المنحرفة، كما نحمي تجارتنا من التجارة الغربية. يجب ان يدعو المؤتمر الحكومات الى تبني حماية الثقافة بقوة القانون. اطلب ذلك بشدة

● النقد عندنا اما هلهلة وتجريح واما مجاملة. النقد الموضعي السليم نادر. لنعتبر الأدب العربي الموجود نبتة صغيرة، فلا ننهال عليه بالنقد والأتهامات لأن فيه شيئاً من الاهمال الى جانب قلة الخبرة.

● قضية الأدباء الشيوخ تحتاج الى بعض التوضيح. لا اوافق على ان يتساوى أدب الشيوخ مع الأدب المراهق. فان معظمهم - ولا سيما شعراء الرعيل الأول - قد عبروا عن وجدان الأمة العربية وقلقها وشوقها الى الحرية. ونحن نفخر بتراثهم ونعده حلقة في سلسلة التراث الأدبي العظيم. والذين اصبحوا الآن لاينتجون، لايحق لنا ان نطالبهم بانتاج جديد. غير ان بعضهم لايزال يجاهد في الميدان، كالزيات وطه حسين ومارون عبود؛ وادبهم يعبر تعبيراً انسانياً واضحاً صريحاً. فلا يجوز الانتقاص من أدب الشيوخ.

لا أميل الى تقسيم الادب الثلاثي: وليست الواقعية هي الصراع السياسي، بل الصراع بكل نواحيه في الحياة. - الأدب الذاتي يدخل في الأدب الواقعي. وكذلك الادب الحر، وادب الطبيعة حتى مادعاه (انحلالياً) هو في الواقع ادب واقعي. وليس من حياء في الحياة، لان الادب الحيادي انفعال بالحياة، والأدب الذاتي ليس حياديا، حتى لو كان شعراً فاننا في حاجة الى هذا الشعر. ان شاعر الحب لهو ايضا في صراع مع الحياة، وينتج لونا من الادب له لونه من الوان الحياة

يجب ان نكشف عن النور لاعن السواد وحده في الحياة؛ وان نفرح فيها بدلاً من ان نسير في حداد وكآبة دائمين. كثير من العرب في البلاد العربية لايعرفون العربية الا لهجات عامية.. حتى في المدارس لايهتمون الاهتمام الكافي بالعربية. فيجب ان نجاهد لجعل التعليم في كل الاقطار عربياً يعرفنا بلغتنا وثقافتنا.

● انعدم التكافؤ بين قسمي المحاضرة. انتظرنا بحثاً موضوعياً فاعطانا بحثا ذاتياً خاصاً بآرائه. ليس المتنبي بطلاً ولا اديباً قومياً، فلم يثر على الظلم ولم يدافع عن الشعب. والجاحظ ليس اديباً يؤدي رسالته الى المجتمع. الادب الماجن او الداعر موجود من ضرورات المجتمع، وهو يدل على مرارة نعانيها في المجتمع وفراغ في العاطفة - لم يصل الكتاب بعد الى جميع من يجب ان يصل اليهم بسبب سلسلة تجارية كبيرة تباعد بينه وبين القراء.

● يجب ان نعرف الأدب الذي يتفاعل مع الجماهير العربية. لماذا نعترف بأن لدينا أدباً

انحلالياً وادبا حيادياً ، وادباً واقعياً ، وهي كلها ادب واقعي ، اذ ان الأديب ينظر الى الحياة من الجانب الذي يروقه ، فقسم ينظرون الى جانب الحياة المرفهة ، وقسم ينظرون الى اكواخ المشردين الجياع ، فيجب ان لانحدد للاديب الاتجاه الذي نريده . والذي يحكم على قيمة الأدب هو الجمهور ؛ ونحن يجب ان نتحدث في ادبنا الى كل طبقات المجتمع بدون تفريق .

رد المحاضر

وكان رد المحاضر الاستاذ بدر شاكر السياب رداً قصيراً فقال ان بعض الاخوان قد كرروا انني هاجمت الأدباء الشيوخ والحقيقة انني قلت (أدباء من الشيوخ) لا (أدباء الشيوخ)

— لم أقل عن الأدب الذاتي خيانة . وانني أطالب الأديب أن لايريد من الثائر الجزائري وغيره من الكادحين أن يقدر ادبه المعبر عن حبه . ونحن مستعدون ان نضحي حتى بشعرنا لنحقق خدمة العرب ، وحتى الجمال لانتذوقه ونحن نسمع أخبار قتل اخواننا واضطهادهم .

توصيات المؤتمر

في هذا الظرف التاريخي الخطير الذي تجتازه امتنا العربية المجاهدة في سبيل بناء وطن عربي موحد متحرر محقق لكل الامانى القومية ومسهم في الحضارة البشرية .

وفي هـذا الظرف الذي تتفاقم فيه شرور الاستعمار بمختلف صوره السياسية والاقتصادية والثقافية ، وتقف للطاقات القومية المتفتحة ، والوعي المتجدد ، والتحفز الخير لتحقيق الاهداف القومية بأوسع معانيها .

في هذا الظرف الخطير التقى الادباء العرب في بلودان في « مؤتمر الادباء العرب الثاني » بين ٢٠ و ٢٧ ايلول من سنة ١٩٥٦ وتدارسوا مهمتهم الادبية ومسؤوليتهم الفكرية ، وانتهى مؤتمرهم الى ما يلي :

(١)

يؤكد المؤتمر مهمة الاديب العربي القومية في اذكاء الروح العربية ، وحماية التراث العربي ، وانشاء مجتمع واع ، يحقق للعربي وجوده الصحيح ، ويجعل منه اهلا لكل تضحية في سبيل وحدة امته وحريتها وعزتها وكرامتها .

(٢)

يؤكد المؤتمر مهمة الاديب العربي في نصرة القيم الانسانية التي يقوم عليها تاريخه ، ويتميز بها تراثه ، والتي تصله بالحضارة الانسانية ، وذلك بالمشاركة الفكرية والابداع الفني .

(٣)

يؤكد المؤتمر ضرورة الاهتمام بالتراث العربي القديم ، وبالتزود بالثقافة الحديثة حتى يتابع ادبنا سيره في الطريق التي تجعل منه ادباً بارزاً بين الاداب العالمية .

(٤)

يؤكد المؤتمر مهمة الناقد الايجابية ، واثره في الحياة الادبية ؛ وتعاونه مع الأديب في الحرص على الابداع الفني ، والسمو الفكري ، واشراق المثل القومية والانسانية في الاثار الادبية .

(٥)

والمؤتمر اذ يؤكد هذه المهمات الاساسية يدعو الى التزامها في الادب والنقد ، يطلب بان تطلق للادباء حريتهم لاداء رسالتهم والوفاء لها ، دون احتجاز او قسر .

(٦)

والمؤتمر يرى ان تحقيق مايهدف اليه في خدمة المجتمع العربي والقضايا القومية يلقي على الدولة واجب المساندة ، ولذلك يطالبها بما يلي :

أولا — في نطاق اللغة

الحرص على اعتبار اللغة القومية هي اللغة الاساسية في جميع مراحل التعليم في جميع الاقطار العربية .

ثانيا — في نطاق المنشورات والمكتبات

آ — الغاء قيود المكوس والنقد والضرائب ، لتسهيل نشر كل ما يتصل بالانتاج الفكري والعمل العلمي ووضع تعريفة بريدية مخفضة خاصة بالمطبوعات .

ب — ارصاد الجوائز ، المحلية والقومية ، تقديراً للانتاج الرفيع وتشجيعاً للأدباء الناشئين .

ج — تشجيع المجلات الادبية والثقافية بالمكافئات الحكومية او باشتراك وزارات المعارف بها وتوزيعها على مدارسها .

د — اشاعة المكتبات العامة في المدن وانشاء المكتبات المتنقلة في القرى والارياف .

ه — اقامة معارض موسمية للكتب والمنشورات الفكرية في المدن العربية .

و — الحزم في مكافحة الكتب والنشرات والصور ، الاجنبية والمحلية ، التي تؤدي الى الانحلال الخلقي او توهي روابط الاسرة ، او تبعث على التشكيك بالقومية العربية .

ز — المعاونة على انشاء شركة توزيع قومية تتولى توزيع المنشورات العربية في الاقطار المختلفة بعيدة عن روح الاستغلال والاحتكار .

ح — المعاونة على نشر التراث القديم نشرا علميا وشعبياً يسمح بتمام الاستفادة منه والتزود من ارثه في اغناء حياتنا الادبية .

ثالثا — في نطاق الفنون

آ — مضاعفة الجهد في رفع مستوي الاذاعات العربية والتمكين لاهدافها التثقيفية والفنية

بما يضمن سلامة الذوق وحماية الخلق وتمكين الروح القومية واشاعة المفاهيم الخيرة في نفوس الناس.

ب ــ مطالبة الاذاعات العربية بتخصيص ركن منظم للتعريف بالكتاب العربي تعريفاً فعالا سواء منه الكتاب القديم او الحديث .

ج ــ دعم المسرح العربي بتشجيع المسارح القائمة والمساعدة على انشاء مسارح جديدة لتشجيع الادب المسرحي .

د ــ المعاونة على بعث التراث الفني العربي وتبسيطه وابراز جوانب الاصالة فيه تمكينا للنهضة الفنية المعاصرة وتثبيتا لجذورها في ماضينا القومي .

هـ ــ التعاون على تسجيل « الفولكلور » الشعبي حفظاً للتراث الاجتماعي والقومي .

و ــ العناية بالسينما وحمايتها من الابتذال والاحتكار ، باعتبار انها وسيلة من وسائل التثقيف بالطرق المناسبة كانشاء مصرف خاص للانتاج السينمائي ، وتكوين هيئات للاشراف الفني ، واستقاء موضوعات السينما من التراث العربي والعمل على ادخال دراسة الجانب الادبي في فنون السينما والاذاعة والتلفزيون ضمن برامج المعاهد الادبية والفنية .

ز ــ عقد مؤتمرات عامة تضم رجال الادب والمسرح والسينما والاذاعة والفنون الاخرى المتصلة بالادب لتدارس القضايا المشتركة واغناء الادب العربي .

(٧)

يؤكد المؤتمر ان الادباء العرب لايستطيعون ان يقوموا بهذه المهمات التي يضطلعون بها قياماً حقاً الا اذا وحدوا وجهودهم ونظموا صفوفهم ولذلك يدعو المؤتمر الادباء العرب الى تكوين جمعيات ادبية في كل قطر عربي شامل .

(٨)

يقرر المؤتمر انشاء مكتب دائم لمؤتمر ادباء العرب يتولى ملاحقة تنفيذ توصياته ، وتهيئة دوراته المقبله ، وسيكون مقره القاهرة ولكنه يعقد اجتماعاته في كل العواصم العربية . ويتألف هذا المؤتمر من :

آ ــ الدكتور سليم حيدر ، والاستاذ رئيف الخوري ممثلين للبنان

ب ــ الاستاذ فؤاد الشايب والدكتور شكري فيصل والدكتور قسطنطين زريق » لسورية

ج ــ الاستاذ بهجب الاثري والاستاذ كمال ابراهيم » العراق

د ــ الاستاذ سيف الدين الكيلاني الانسة فدوى طوقان ممثلين للمملكة الاردنية الهاشمية

هـ ـ الاستاذ محمد نعمان ومندوب يحدد بعد ممثلين لليمن
و ـ الاستاذ خير الدين الزركلي والأستاذ عبد الله بالخير ممثلين للملكة العربية السعودية
ز ـ الاستاذ ابراهيم العريض ممثلا للبحرين
ح ـ الاستاذ عبد العزيز حسين « للكويت
ط ـ الوفد المصري للمؤتمر الثاني « لمصر

وسيترك للمكتب الدائم للمؤتمر اختيار مندوبين عن بقية الاقطار العربية .

وحين ينعقد المكتب الدائم خارج مصر يمثل وفدها الاستاذان يوسف السباعي ومحمود امين العالم .

(٩)

يصدر المؤتمر في هذه التوصيات كلها عن الاعتقاد بأنه ما من شيء يساعد على تحقيق هذه المهمات اكثر من ان يدرك الاديب نفسه مسؤولياته الملقاة على عاتقه نحو مجتمعه ووطنه ومهنته وذاتيته وانسانيته ، وأن يكون انتاجه الادبي منبثقاً عن هذا الادراك .

(١٠)

يهيب المؤتمر بالادباء العرب الذين لم يقدر لهم ان يشاركوا في هذه الدورة ان يعملوا متساندين على تبني هذه التوصيات والاشتراك في تحقيقها .

(١١)

يبعث المؤتمر الى المفكرين والادباء في العالم كله نداء يهيب بهم فيه ان يناصروا قضايا الوطن العربي التي تدافع بها الأمة العربية عن مبادىء الحق والعدالة والحرية العزيزة على كل مفكر وأديب .

وبعد فأن المؤتمر يرفع أسمى آيات الشكر الى صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية على كريم رعايته للمؤتمر

ويقدم للحكومة السورية ولوزارة المعارف خاصة خالص تقديره على دعوتها لعقد هذا المؤتمر وعلى ما بذلته من جهود في تنظيمه وانجاحه .

ويتوجه بالشكر لحكومة جمهورية مصر على دعوتها لعقد مؤتمر الادباء العرب الثالث في مصر ويتمنى عليها ان يشترك في اللجنة التحضيرية لاعداد هذا المؤتمر أدباء ومفكرون يمثلون بقية البلاد العربية .

نداء المؤتمر

يوجه الادباء العرب الى الادباء والمفكرين في جميع انحاء العالم

نحن الادباء العرب ، المجتمعين في مؤتمرنا الثاني في بلودان .

باسم امتنا العربية التي اسهمت في بناء الحضارة ورفع مشعلها في احلك عصور التاريخ ، باسم الكندي وجابر بن حيان وابن سينا والفارابي والبيروني والغزالي وابن رشد وابي العلاء المعري وابن الهيثم والرازي وابن خلدون ومئات من امثالهم من ادبائنا وعلمائنا وحكمائنا الذين اضاءوا قيما واكتشفوا علوما وانشأوا فلسفات . واصبحوا جزءا من التراث الانساني المشترك الخالد .

باسم المواطن العربي الذي يسعى لتجديد حياته ويتطلع اليوم في محبة ورجاء الى عالم افضل تسوده الرفاهية ، والتعاون بين البشر جميعا .

نهيب نحن الادباء العرب بادباء العالم وكتابه ومفكريه ان يقفوا الى جانبنا في قضيتنا العادلة التي نناضل من اجلها .

ان بلادنا العربية التي اكرهت على التخلف طويلا عن ركب الحضارة تتطلع اليوم في اصالة الى حياة جديدة .

ولكن الاستعمار الذي كان يعوق تقدمنا دائما ، ويحرص على خنق ثقافتنا القومية وحرمان امتنا العربية من ثمرات المعرفة الانسانية وتمزيق كياننا الموحد ... يسعى اليوم لكي يسد علينا طريق الحياة والوحدة والاستقلال والتقدم .

ففي جزء من بلادنا ، في فلسطين ، يشرد شعب آمن وتفرض في ارضه المغتصبة جماعة صهيونية غاصبة تثير في كل لحظة عدوانا آثما على بلادنا العربية .

وعلى مقربة من شواطئنا تتربص سفن واساطيل استعمارية للعدوان علينا ، لان بلدا من

بلدانا ، هو مصر ، مارس حقا من حقوقه القومية بأن أمم شركة قناة السويس المصرية .

لقد انكر الاستعمار على مصر هذا الحق وشرع يخلط بين التأميم وحرية الملاحة ويتذرع بهذا للتدخل العسكري في بلادنا وهو في الحقيقة انما يستهدف القضاء على الحركة الاستقلالية المتطلعة في بلادنا الى المشاركة في بناء عالم افضل ، كما يستهدف الحيلولة دون قيام اتحادنا العربي المنشود .

وفي جزء آخر من بلادنا ، في الجزائر، يحشد الاستعمار نصف مليون من الجنود يقومون بحرب ابادة لا مثيل لها في التاريخ ضد الشعب الجزائري الذي لا يطلب غير كرامته وحريته واستقلال بلاده .

اننا في بلادنا نحب السلام ، فمن بلادنا انبثقت الاديان جميعا وفيها عاشت الحكمة والفن والفلسفة .

ونحن لا نستهدف غزوا او عدوانا ولكننا لا نتردد في حمل السلاح دفاعا عن امتنا ، وثقافتها وارضها وسيادتها .

وفي صفوف المناضلين نقف نحن الادباء العرب مدركين اننا بهذا لا نحمي امتنا وتراثنا واستقلالنا فحسب بل نحمي تراث العالم وامنه .

لهذا كله ، يا كتاب العالم وادباءه ومفكريه ، نهيب بكم ان تقفوا معنا في نضالنا العادل . من اجل اعادة الارض المغتصبة الى الشعب العربي المشرد عن فلسطين . ومن اجل تأمين حق مصر في ممارسة سيادتها القومية ودفع العدوان الغاشم عن اراضينا .

ومن اجل وقف حرب الابادة التي تشنها قوى الاستعمار على شعب الجزائر وتمكين هذا الشعب العربي الجزائري من حريته واستقلاله .

ومن اجل تحرير بقية اجزاء البلادالعربية التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار وعدوانه

ومن اجل ان تواصل امتنا العربية العريقة مساهمتها الفعالة والمثمرة في اثراء الحضارة والمعرفة الانسانية التي يحمل ادباء العالم ومفكروه امانة الدفاع عنها .

هذا هو نداؤنا اليكم ، تدفعنا اليه تلك المسؤولية الانسانية الجليلة التي تحملها كواهلنا جميعا امام شعوب العالم وامام التاريخ .

أعضاء وفود المؤتمر

الاردن

الاسم	العمل او الوظيفة	العنوان الدائم
الاستاذ محمد الشريقي	وزير سابق ومحامي	عمان
الدكتور اسحق موسى الحسيني	استاذ في معهد الدراسات العربية العليا لجامعة الدول العربية	القاهرة ١ شارع الطلمبات
الاستاذ سيف الدين الكيلاني	مفتش مركزي في وزارة التربية والتعليم	عمان ــ صندوق بريد ٧٩٢
الاستاذ عبد الكريم الكرمي	محامي	دمشق ــ شارع المتنبي
الاستاذ عيسى الناعوري	موظف في وزارة التربية والتعليم	عمان ــ صندوق بريد ٣٥٢

البحرين

الاسم	العمل او الوظيفة	العنوان الدائم
الاستاذ ابراهيم العريض	شركة نفط العراق	L، P، البحرين

الجامعة العربية

الاسم	العمل او الوظيفة	العنوان الدائم
الدكتور صلاح الدين المنجد	مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة	القاهرة

سورية (الاعضاء الذين حضروا المؤتمر)

الاسم	العمل او الوظيفة	العنوان الدائم
معالي الدكتور عبد الوهاب حومد	وزير المعارف ــ نائب استاذ في كلية الحقوق	دمشق
الاستاذ خليل مردم بك	رئيس المجمع العلمي العربي	دمشق ـ المجمع العلمي العربي

الاستاذ محمد المبارك	نائب دمشق ـ استاذ في كليتي الآداب والشريعة	دمشق ـ الجامعة السورية
الدكتور شكري فيصل	استاذ في كلية الآداب	دمشق ـ كلية الاداب الجامعة السورية
الاستاذ فؤاد الشايب	المدير العام للدعاية والانباء	مديرية الدعاية والانباء ـ دمشق
الاستاذ خليل الهنداوي	استاذ الادب العربي في ثانوية حلب	حلب
الاستاذ بدر الدين الحامد	مدرس	حماه
الاستاذة وداد سكاكيني		دمشق بستان الرئيس
الدكتور اسعد طلس	مدير عام مؤسسة اللاجئين	دمشق شارع أبي رمانة
الدكتور جميل سلطان	مدير التعليم الابتدائي	دمشق ـ شارع الشهبندر الساحة
الاستاذ قدري العمر	مدير التعليم الخاص	دمشق ـ وزارة المعارف
الدكتور جودة الركابي	المفتش الاختصاصي للغة العربية	دمشق ـ ٥٦ ـ شارع المجلس النيابي
الدكتور ابراهيم الكيلاني	مدرس آداب اللغة العربية	دمشق ـ المعهد الفرنسي العربي
الدكتور زكي المحاسني	عضو لجنة التربية والتعليم	دمشق بستان الرئيس
الاستاذ انور العطار	مدير الثانوية الخامسة للبنين	دمشق ـ شارع العابد جادة شرف ٢/٢٦ ف
الدكتور شكيب الجابري		
الاستاذ سليم الزركلي	عضو مجلس التأديب	دمشق ـ قصر العدل
الاستاذ رفيق الفاخوري	مدرس آداب اللغة العربية	حمص
الاستاذ شاكر مصطفى	الملحق الثقافي بمصر	القاهرة ـ السفارة السورية
الاستاذ روحي فيصل	مدير الدعاية والانباء بحمص	حمص
الاستاذ نسيب الاختيار	رئيس دائرة النشر والثقافة في الاذاعة السورية	دمشق ـ دار الاذاعة السورية
الاستاذ نديم محمد		طرطوس ـ اللاذقية
الاستاذ أحمد الفتيح	امين المعارف العام	دمشق وزارة المعارف
الدكتور حلمي اللحام	المدير العام للبريد والبرق والهاتف	دمشق
الاستاذ صلاح الدين المحايري	مدير التدقيق ـ رئاسة مجلس الوزراء	دمشق

الاستاذ سعيد القضماني رئيس دائرة الدعاية والنشر بالدفاع المدني - دمشق عين الكرش شارع القهوجي

الاستاذ عباس الحامض	صحافي	دمشق
الاستاذ سعيد الجزائري	صحافي	دمشق - مجلة النقاد
الآنسة عناية رمزي	مدرسة - بتجهيز البنات الثانية	دمشق - شارع ركن الدين
الاستاذ سعد صائب	وزارة الزراعة	دمشق وزارة الزراعة
الاستاذ ميشيل الله ويردي	اعمال حرة	دمشق - ص . ب ٣٢٣

السودان

الأستاذ عبيد عبد النور

المملكة العربية السعودية

الاستاذ خير الدين الزركلي - الوزير المفوض في السفارة السعودية بالقاهرة .

العراق

الأستاذ محمد بهجة الأثري	مفتش اختصاصي للغة العربية بديوان وزارة المعارف ونائب رئيس المجمع العلمي العراقي	بغداد — الصرافية
الاستاذ بدر شاكر السياب	ملاحظ في مديرية التجارة العامة	بغداد — مديرية التجارة العامة
الآنسة نازك الملائكة	مدرسة — وزارة المعارف	٢٢/٤ أبو قلام . الكرادة الشرقية بغداد

لبنان

الأستاذ ميخائيل نعيمة		بسكنتا — لبنان
الدكتور سليم حيدر	نائب — محامي	بيروت — جادة برتوى
الدكتور قسطنطين زريق	رئيس الجامعة الأميركية بالوكالة	بيروت — الجامعة الأميركية
الاستاذ رئيف الخوري	أستاذ أدب	بيروت - الكلية العلمانية - الناصرة
الدكتور سهيل ادريس	صاحب مجلة (الآداب)	بيروت صندوق ب ٤١٢٣ .
الاستاذة عفيفة صعب	رئيسة مدرسة الصراط بعاليه	عاليه ه ١٣/٥

الدكتورة زاهية قدورة	أستاذة التاريخ في الجامعة اللبنانية بيروت	٥٢ شارع المكحول رأس بيروت
الأستاذ حسين مروة	صحافي	بيروت — جريدة الحياة

مصر

الدكتور طه حسين		
الاميرلاي يوسف السباعي	سكرتير عام المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .	٩ شارع حسن صبري بالزمالك القاهرة
السيدة امينة السعيد	رئيسة تحرير مجلة حواء الجديدة	٤ شارع كامل واصف بالجيزة
الاستاذ احمد رامي	المستشار الادبي بالاذاعة المصرية	٧ شارع منية الاصبع — حدائق القبة ـ القاهرة
الاستاذ محمود امين العالم	سكرتير تحرير مجلة الفجر	شارع جلال ـ القاهرة
الاستاذ احسان عبدالقدوس	مدير تحرير دار روز اليوسف	شارع احمد سعيد . بالقاهرة
الدكتور يوسف ادريس	ادارة التعبئة بالجيش المصري	٢٧ شارع المبتديان السيدة زينب القاهرة ـ
الاستاذ محمد عبد الحليم عبدالله	محرر في المجمع اللغوي	٦٨ ـ شارع قصر العين ـ بالقاهرة
الاستاذ انيس منصور	محرر بجريدة اخبار اليوم	اخبار اليوم ـ شارع الصحافة ـ القاهرة
الاستاذ حسين فؤاد رزق	سكرتير خاص لسكرتير عام المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب	٩ شارع حسن صبري ـ بالزمالك القاهرة
الاستاذ الفريد فرج	محرر بالجمهورية	شارع جلال بالقاهرة ـ
الاستاذ محمد علي ابو دره	المستشار الثقافي في السفارة المصرية بدمشق	السفارة المصرية ـ دمشق

مراكش

الأستاذ محمد المنتصر الكتاني مدرس بمعهد الدراسات العليا شارع قريون ١٢ الرباط (اما الآن مقيم في دمشق — الميدان الفوقاني .)

اليمن

الاستاذ احمد محمد نعمان اليمني لاجيء في مصر ٣٢ شارع التحرير . بولاق الدكرور ص . ب . ١٨٣٠)

اللجنة التحضيرية للمؤتمر

اصدرت وزارة المعارف القرار رقم ٦٩٩ بتاريخ ١٩٥٦/٣/٢٩ القاضي بتأليف اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء العرب الثاني من السادة :

الاستاذ احمد الفتيح
الاستاذ فؤاد الشايب
الدكتور امجد الطرابلسي
الدكتور حلمي اللحام
الدكتور كامل عياد
الدكتور سامي الدهان
الدكتور عزة النص
الاستاذ عبد الهادي هاشم
الدكتور جميل سلطان
الأستاذ صلاح الدين المحايري
الأستاذ حسيب الكيالي
السيدة وداد سكاكيني

لامانة السر

الانسة عناية رمزي
الأستاذ سعيد القضماني
الاستاذ سعيد الجزائري
الاستاذ عباس الحامض



اعضاء المكتب الدائم للجنة التحضيرية
الاساتذة السادة : احمد الفتيح ، فؤاد الشايب وسعيد القضماني

وقد حدد هذا القرار مهمة اللجنة التحضيرية بتعيين موعد انعقاد المؤتمر ومدته ودعوة ممثلي البلاد العربية وتحديد موضوعات ابحاث المؤتمر ووضع النظام الداخلي لادارة المؤتمر وسير اعماله .

اجتماعات اللجنة التحضيرية :

وعقدت اللجنة التحضيرية اول اجتماع لها يوم الثلاثاء ٣ نيسان ١٩٥٦ وبحثت في المهمة الموكولة اليها وبعد عقد ستة اجتماعات عهــدت الى لجنة تنفيذية منها أمر تنفيذ القرارات والقيام بالاتصالات كما شكلت لجنة فرعية لاعداد موضوعات المؤتمر ولجنة فرعية اخرى لوضع النظام الداخلي

وعقدت اللجنة التنفيذية خمسة اجتماعات لها رفعت بعدها مقترحاتها ومشروعاتها الى اللجنة التحضيرية العامة لاقرارها والبت فيها .

ثم عقدت اللجنة التحضيرية اجتماعين آخرين اتخذت فيهما المقررات النهائية المتعلقة بمكان انعقاد المؤتمر وزمانه وبموضوعاته وشارته واصدار نشرة للتعريف بالمؤتمر والدعوة اليه •

واقرت اللجنة التحضيرية قائمة باسماء اعضاء وفود الدول العربية الى المؤتمر رفعتها الى وزارة المعارف .

كما اقرت تشكيل مكتب دائم من الاساتذة السادة : احمد الفتيح الامين العام لوزارة المعارف وفؤاد الشايب المدير العام للدعاية والانباء وسعيد القضماني رئيس دائرة الدعاية والنشر في الدفاع المدني . (اميناً للسر) وقد تولى هذا المكتب تنفيذ مقررات اللجنة التحضيرية واتخذ جميع الاجراءات المتعلقة بانعقاد المؤتمر وتصريف شؤونه خلال انعقاده .

